رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

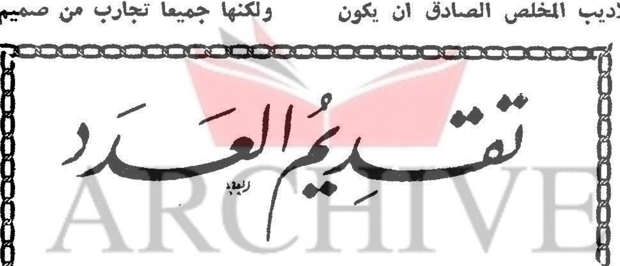
الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب. ٤١٢٣ – تلفون ٣٢٨٣٢

العدد الخامس
ايار (مايو) ١٩٥٧
السنة الخامسة

Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

No. 5. Mai 1957
5ème année



اعتادت « الآداب » ان تقدم لقرائها ، في ربيع كل عام ، عددا ممتازا تجمع فيه شتات القضايا الادبية التي تكوّن « موضوعات الساعة » والتي يعالجها الادباء في مختلف الاوساط .

وفي هذا العدد ثلاث قضايا هامة من قضايانا الادبية : اولاها تعالج العلاقة بين الادب والرسالة القومية ، وتلح على مسؤولية الاديب في أدبه، وانسجام مسلكه العام مع المثل العليا التي تنطوي عليها آثاره ، وصلة ذلك كله بالقضية القومية التي لا بد للاديب المخلص الصادق ان يكون جنديا من جنودها .

ولعل قضية « الشعر الجديد » التي يبحثها هذا العدد بحثا مستفيضا ، في اكثر من مكان واحد ، هي اهم قضايا « الساعة » الادبية . فان هذا الشعر الذي يشق طريقه بقوة عجيبة في ميدان الانتاج الادبي المعاصر يثير الوانا مختلفة من الآراء ، منها ما هو محبذ مشجع ، ومنها ما هو منكر شاجب ، ومنها ما هو متربص منتظر . على ان هذا الشعر ماض في طريقه ، وهو يكشف على الاقل ، عن حيوية واندفاع يوحيان بأنه واثق من نفسه ، رغم ما يعترضه من مصاعب وعقبات ، ما دام يؤمن بأنه صادق في التعبير عن مظاهر جديدة من الحياة لم يكن الشعر الكلاسيكي قادرا على التعبير عنها بمثل هذا الصدق والعفوية والحرارة . وذلك بسبب قيود كثيرة تكبل سيره فيتعثر او يتجمد في مكانه . و « قضية الشعر الجديد » تستعرض بنود هذه المسألة واحدا واحدا ، وتبلور المفاهيم المرتبطة بهذا التطور في الشعر العربي .

وقد تكون « معركة الادب بين الشيوخ والشباب » تعبيرا واضحا لهذا الصراع القائم ابدا بين شكلين ومضمونين من اشكال التعبير في انتاج ادبنا المعاصر . ودارس هذا الموضوع كاتب عاش هذه المعركة وعاناها وكان فيها الى جانب هذه الاقلام الفتية التي تثور على القوالب المجمدة والاشكال المحجرة والتي تبث النسغ الجديد في عروق الادب الحديث .

ونجد في اطار الابحاث عددا آخر من المقالات ، يجيب الاستاذ ميخائيل نعيمه في احدها على اسئلة « للآداب » تدور حول ادبه وصلته بالمجتمع والجانب الفلسفي منه ، وفي ذلك توضيح للخطوط العامة في انتاج كاتب من اكبر كتاب العربية المعاصرين واشدهم تأثيرا في مجرى الادب اليوم . اما « تمزق الروائي الراهن » فتعالج وضع كتاب القصة امام قضية الانسان معالجة معمقة . وتنطوي «صرخة العربي اليوم» على تأثرات وانطباعات استوحاها الكاتب من اقامته بين القطاعين الشرقي والغربي من برلين ، فالتقى هناك بالانسان الذي يتحد رغم الحدود المصطنعة ، وذكر الانسان العربي الذي تصرخ أعماقه بهذا الاتحاد المنقذ .

ولعل هذا العدد من « الآداب » يعوض القراء الذين افتقدوا الشعر في الشهر الماضي ، فقد شارك فيه عدد طيب من شعراء الطليعة في نماذج مختلفة من القصائد التي تصور جوانب من الحياة تتفاوت التجارب فيها بين الخاص والعام ، ويتسم بعضها بالاشراق وبعضها الآخر بالكآبة ، ولكنها جميعا تجارب من صميم ارضنا العربية ، وضميرنا العربي ، وهي كلها لا تفتقر الى الصدق والحرارة .

ويتابع مطاع صفدي قصته « الرجل الكئيب » التي تصلح وثيقة للحالة النفسية التي كان خليقا بالانسان العربي – ولاسيما في سوريا – ان يجتازها في المعركة الاخيرة ، مع ما يرافق ذلك من آمال وخيبات ...
ولا بد من الاشارة الى ان ما كتبه الاستاذ صفدي في رسالة سوريا ، بباب النشاط الثقافي ، يوضح بعض خطوط غامضة في قصته .

ونحب ان ننوه تنويها خاصا بمسرحية العدد « الحرب » التي تعبر بقدرة بارعة عن الوضع النفسي لبعض تجار الحروب الذين يلفون كل ضمير في نفوسهم ويغذون « ساديتهم » المجرمة على حساب شقاء البشرية وتعريضها لاخطر وسائل الافناء . ولكنهم ، في اللحظة الحرجة، يتكشفون عن جبن وذعر هما دليلان ناصعان على انحطاط القيم التي يصدر عنها امثال هؤلاء التجار في مسلكهم العام . والحق ان في هذه المسرحية ارهاصا بالفظائع المادية والمعنوية التي ستخلفها حرب ذرية ممكنة .

وقد اهتم هذا العدد اهتماما خاصا بالفنون العربية ، فعالج كاتب مصري متخصص مشكلة القصة في السينما المصرية معالجة موضوعية لم تتم بعد ، وتحدث فنان عراقي عن المعرض الفني الاخير الذي اقيم لآثار الرسامين والنحاتين العراقيين .

اما باب « مناقشات » ، فحافل هذا الشهر . وقد انصبّ معظم مواده على الاحكام التي أطلقها ناقد الشعر في العدد الماضي ، وبدا انه – على الاقل – لم يكن علميا في نقده وتقييمه للقصائد . وما دامت « الآداب » قد نشرت ذلك النقد على علاته ، فهي لا تستطيع ان تمتنع عن نشر هذه المناقشات ، على عنفها وقسوتها ، لا سيما وان اصحابها هم من الشعراء الذين اصابهم الناقد بسهامه ، فحق لهم ان يدافعوا عن انفسهم . ومهما يكن من امر ، فالادباء والقراء ، ناقدين ومنقودين ، هم اصدقاء المجلة من غير تمييز .

« الآداب »

أحداث الأردن

بقلم محمد النقاش

عندما أقال الملك حسين في العاشر من هذا الشهر (نيسان ١٩٥٧) وزارة السيد سليمان النابلسي ، وتلا ذلك أزمة خطيرة ، وجفت قلوب العرب ، لا سيما العرب المؤمنين بالحياد ، القائلين بالتحرر من كل قيد اجنبي .

ولا عجب ، فللاردن وضع حساس جدا . فهو اولا اكثر الدول العربية تعرضا للخطر الاسرائيلي ، بفعل حدوده الطويلة مع الدولة الغاصبة ، ثم هو ارض الاتصال بين الدول العربية المتحررة : مصر وسوريا والسعودية . فاذا سقطت هذه الحلقة الكبيرة من السلسلة ، تضعضعت كتلة الحياد الايجابي بعض الشيء ، وافادت كتلة الحلف البغدادي والمشروع الايزنهاوري .

وكانت الانباء عن أزمة الاردن مثيرة للجزع حقا . ويبدو ان وكالات الانباء الاجنبية شاءت ان تستثمر الازمة اقصى استثمار ، فخلعت على حركة الملك ثوب ردة كاملة ، تنسف كل الجسور بين الاردن وبين السياسة الجديدة التي انتهجها منذ طرد الجنرال غلوب حتى العاشر من نيسان .

وساعد على تقوية هذا الشعور ، ان اذاعتي القاهرة ودمشق أعتصمتا بالتحفظ ، فلم تلعنا ولم تباركا .. وثبت فيما بعد ان هذا الموقف الرصين كان خير المواقف .

ففي الخامس عشر من الشهر ، اذيع نبأ تأليف الحكومة الجديدة ، فاطمأنت القلوب الواجفة ، وخاب امل الذين علقوا على الازمة انحرافا اردنيا خطيرا . وثبت من تصريحات الملك الشاب ، ومن مجيء النابلسي وزيرا للخارجية في الحكومة الطالعة ، ومن كتاب الرئيس الجديد الوطني المجاهد الدكتور حسين الخالدي الى الملك ، ثبت من هذا كله ان سياسة الاردن العربية والخارجية لن تتغير ، وان الاردن سيبقى عضوا امينا في اسرة الدول العربية المحايدة ، كما ثبت ان المعركة كانت داخلية صرفا ، معركة نفوذ .. من يحكم الاردن ؟ الملك أم حكومة النابلسي ؟ . وقد انتصر الملك في هذه الجولة الاولى .

اسباب الازمة

ولنحاول ان نستعرض الان ، على ضوء ما نملك من معلومات ، مراحل الازمة .

من المعلوم ان الموجة الشعبية الطاغية التي أطاحت بغلوب ، وحفرت الهوة بين عمان وحلف بغداد ، حملت الى البرلمان عناصر تقدمية منها المعتدل (الحزب الوطني الاشتراكي الذي يتزعمه سليمان النابلسي) ومنها المتطرف (الجبهة الوطنية او الشيوعيون وحزب البعث الاشتراكي) .

ومن المعلوم ان الملك الشاب ساير هذه الموجة ، بل بدا انه كان على راسها .

ولما تألفت أول وزارة منبثقة عن البرلمان الجديد ، اشتملت هذه الوزارة على سائر العناصر التقدمية ، اكثرية وطنية اشتراكية ، ووزير بعثي (عبد الله الريماوي) وآخر شيوعي (عبد القادر الصالح) .

وهكذا كان الانتصار الشعبي كاملا ، لم تشبه شائبة ، او يتسرب اليه وهن ، عند الوصول الى مقاليد القيادة . وسار الاردن خطى واسعة في سياسته التحررية ، فتحرر من المساعدة البريطانية (عن طريق اتفاق التضامن العربي المعقود في القاهرة) وتخلص من المعاهدة البريطانية ، ووقع مع مصر وسوريا والسعودية بلاغ الحياد الايجابي ، والامتناع عن خوض الحرب الباردة بين الشرق والغرب .

ويبدو أن العناصر اليسارية شاءت ان تقطف ثمار النصر جميعا ، وان تنهب المراحل نهبا ، فالهبت ظهور خيلها بالسياط .. وكان ان ايقظت الملك الشاب فرقعة سياطها، وبدأت تتراءى له في الافق اشباح جمهورية.

وكان رد الفعل الاول عنده ، ذلك النداء الذي اذاعه بضرورة مكافحة الشيوعية ، لتعارضها مع مبادىء الاسلام وتقاليد العروبة . لكن الحكومة بدلا من ان تستجيب للنداء تركت الحزب الشيوعي يتظاهر علنا في شوارع عمان ، ومنحته رخصة جريدة ..

وبدأ الملك حسين ينشط من ناحيته ، فردت حكومة النابلسي باعداد مشروع لتعديل الدستور. ومن المعلوم ان الدستور الاردني كسائر الدساتير العربية ، يمنح رئيس الدولة ملكا كان او رئيس جمهورية ، سلطات واسعة ، في طليعتها حق اقالة الوزارة . وجاء حديث الاتحاد الفدرالي مع سوريا ومصر .. وهو حديث لا ينسجم كثيرا مع الملكية والعرش ، لا سيما وانه يدور في الاصل بين جمهوريتين ..

وهكذا . قرر الملك ان يعمل .. ولم يتردد في اقالة حكومة النابلسي متحديا كل القوى الشعبية والاوساط البرلمانية .. وربما بعض المقامات العسكرية ، لكنه في الوقت نفسه ـ وهنا دلل على انه اكبر من عمره في الحكمة وعلو الكعب في السياسة ـ لم يقطع الصلة بينه وبين اقطاب الاحزاب الاخرى .. حتى انه في فترة من الفترات كلف احد اركان الحزب الاشتراكي الوطني بتأليف الوزارة ..

ولسنا ندري ان كان صحيحا ما روجته بعض وكالات الانباء الاجنبية ، من ان انقلابا عسكريا كاد يقع وان الملك الشاب خنقه في المهد ، واثبت ان الجيش بأكثريته موال له .

المهم ان الملك سيطر على الموقف . لكنه لم يثمل بنشوة النصر فى هذه الجولة الاولى ، وادرك بثاقب بصره ان الموجة التي سايرها منذ عام ، او كان على راسها لا يمكن قهرها ، حتى بحكم عسكري صرف . فالف الحكومة الجديدة من عناصر وطنية لا غبار عليها ، وجاء بالنابلسي نفسه وزيرا للخارجية ، مستبعدا فقط العناصر المتطرفة ، اي البعثيين والشيوعيين ، دون اي اشارة



جديدة الى مكافحة الشيوعية ...

مـــاذا بعد ؟

وفي اعتقادنا ان الملك وقد ربح الجولة الاولى ، وجاءت حكومتـه الجديدة منسجمة مع اهـداف السياسة العربية المتحررة ، لن يطمئن الى الغد كل الاطمئنان . فالعناصر اليسارية ، وان تركت الحكم ، فهي لا تزال في المعارضة . مع العلم بأن النابلسي الذي تعاون مع هذه العناصر تعاونا وثيقا ، باق في الحكم ، وفي منصب بارز .

ولعل في طليعة ما سيطرح على بساط البحث في الايام القليلـة القادمة ، مشروع ايزنهور .. وربما تعديل الدستور . وأهم من هـذا وذاك ، هل سيترك للبعثيين والشيوعيـين حرية القول والعمـل ، أم سـيكافحون بأيزنهور ودون ايزنهور ؟

المهم ان المبادىء الاساسية خرجت سليمة من المعركة ، وان لم يخرج بعض الاشخاص . ولا بد من مرور فترة هدوء يستجم فيها الاردن ،وتنتهي خلالها المشكلات الملحة التي تشغل العرب في هذه الفترة ، كمشكـلة السويس ومياه خليج العقبة . ولا شك ان حكمة الملك وحكمة وزرائـه ــ واكثرهم من المحنكين ــ وحكمة زعماء الاحزاب المتطرفة ، ستساعد علـى مرور هذه الفترة بسلام .

تحية الى الملك

ولا يفوتنا ان نرسل بتحية الى الملك الشاب ، تحية اجلال واعجاب . فحسبه انه عمل علىاقتلاع اشواكه بيديه وحدهما، وظل الوطني الخالص الوطنيـة . وحين يظل الصراع بين قوى الداخل على هذا الصعيـد القومي الصرف ، دون اي يد اجنبية ، ففيه البركة ، وفيه الخير .

مكافحـــة الشـيوعية ...

تجتاح الاوساط الحاكمة في كثير من البلدان العربية اليوم ، فكـرة مكافحة الشيوعية . وتنشط الفكرة في رؤوس هذه الاوساط ، تحت عوامل متعددة . لكن لا شك في ان لموقف الاتحاد السوفياتي والكتلـة الشيوعية عامة ، موقفها من العالم العربي والاماني العربية في الآونـة الاخيرة ، علاقة ماسة بالموضوع .

فهذا الموقف الذي تجلى طيبا مؤازرا في حالات متتابعة : صفقـات الاسلحة ، تأييد مصر في قضية تأميم شركة السويس ، التهديد بالحرب في حال استمرار العدوان على مصر ، مواصلة تأييد العرب في قضيـة القناة وغزه والعقبة ، مناصبة اسرائيل العداء ــ نقول ان هذا الموقف الجديد المفاجىء الى حد ما وقفته الكتلة الشيوعية من اماني العـرب وقضاياهم ، احدث موجة جديدة من الكراهية للغرب ، وبالتالي موجة جديدة من الاستلطاف نحو موسكو .

ولما كان الحب يبدأ بنظرة فابتسامة .. فان الطبقات الحاكمـة التقليدية اوجست من الامر خيفة .. وساعدتها على ذلك دعاية غربيـة مركزة حاولت تضخيم التغلغل الشيوعي عبر الشرق العربي ، فهبت تنادي بضرورة مكافحة الشيوعية .

ولا يغيب عن ذهن احد ان الهبوب لمكافحة شيء من الاشياء ، هـو اعتراف تلقائي مسبق بقوته وخطر شأنه ، كما ان المكافحة ، وهـي الكفاح ، تدعو الخصم الى حشد قواه واستنفار وسائله .. ولسنا ندري ان كان من المصلحة القومية العربية اعطاء الخطر الشيوعي كل هـذه الاهمية .. زد على ذلك ، ان الاستعانة بدولة اجنبية ، كأميركا ، مهمـا تحسن نياتها ، فهي بالفعل والواقع صديقة الصهيونية الاولى في العالم وحليفة دول غربية استعمارية لها في عالمنا العربي ماض وحاضر غـير مشكور على الغالب .. نقول ان الاستعانة بهذه الدولة على مكافحـة الخطر الشيوعي ، قد تحدث نكسة ورد فعل ليست في مصلحة المكافحة.

نحن من جهتنا لا نرى الخطر الشيوعي داهما ولا شبه داهم على بلادنا .. لأسباب عديدة لا نود التبسط فيها الان . ولا نعتقد بانتصار قريب لها عندنا ، الا فى حالة حرب ينتصر فيها الروس .. ومساهمتنا فى مثل هذه الحرب ، مع هذا الجانب او ذاك ، لن تكون بعيـدة الاثـر ، كمـا نرجح ، ولا حاسمة في أي حال . لهذا لا نرى ضرورة الى احـلال الخطر الشيوعي هذا المحل الطاغي .. بل نعتبر ذلك بمثابة الهاء وتحويل عن الخطر القائم الداهم ، عنينا الخطر الصهيوني .

ونحن نعتقد ان هذا الخطر الصهيوني ، وما يلابسه احيانا من مطامع غربية ، هو الداعية الوحيد للشيوعية في العالم العربي . فلا الجهـل ولا الفقر ولا المرض الخ.. تروج للشيوعية بجزء من مائة ، قياسا الى ما تروجه النقمة على الصهيونية والغرب . فمعالجة هذه النقمة التي لا تعشش وتفرخ في اوساط الجهلة والفقراء والمرضى .. بل في اوسـاط المستنيرين وحتى الميسورين ، هي الاساس لمكافحة الشيوعية . معالجة هذه النقمة عند اناس لهم أثرهم البعيد في قيادة الرأي ، والحـؤول بينهم وبين الارتماء في سياسـة اليأس ، هي المعالجة الايجابية الناجعة .

ومعالجة هذه النقمة لا تكون عن طريق الرشوة ، وانما عن طريق حلول جذرية تقمع اسباب النقمة من الصدور المخلصة ، أي الصدور الوحيدة القادرة على قيادة الناس ، ودفعهم الى اقصى المغامرات .

لو ان الشيوعية تنتشر في بلاد الفقر ، لحق لها ان تنتشر في الهند ، حيث هي شرعية ، لا تكافح بالضغط والاكراه ، وانما تكافح بأساليب ايجابية ، تجعل عامة الهنود يطمئنون الى غدهم .

ان البحبوحة ــ والف مساعدة اميركية لا تكفي لنشر بحبوحة حقيقية في البلدان العربية ، وفي مستقبل قريب ــ قد تخدر بعض الناس بعض الوقت ، ولكنها لن تخدر الجميع كل الوقت ..

من البديهي ان اصلاحا داخليا في نظم الحكم ، يساعد كثيرا علـى مكافحة الشيوعية .. لكن هذا الاصلاح ينفع في ظروف عادية ، اكثر مما ينفع في ظروف العالم العربي اليوم . ظروف العالم العربي تأتمر اول ما تأتمر بالخطر الصهيوني وخطر الاستعمار ، ان يبقى حيث هو ، او ان يعود حيث كان . والاصلاح الداخلي منشود ومرحب به ، لانه في الدرجة الاولى ــ يساعد على درء هذين الخطرين . اما الخطر الشيوعي الذي تحسه اميركا علينا اكثر مما نحسه على انفسنا ، فلن يجد فـي مجتمعنا ، حين نأمن شر الصهيونية والاستعمار ، ارضا اخصب من التي يجدها في اميركا او بريطانيا نفسيهما ...

التدخل في شؤون العرب الآخرين ...

في بلاغين مشتركين عربيين او اكثر ، صدرا في الآونة الاخيرة ، اشارة الى امر قومي خطير ، هو امتناع اية دولة عربية عن التدخل في شؤون دولة عربية اخرى ، شؤونها الداخلية ..

والعجيب ان يصدر مثل هذا التصريح عن دول تدين بالقومية العربية، وتقول بالوحدة العربية ... فدعوة كهذه هي دعوة شعوبية اقليمية هدفها تجميد الاوضاع الراهنة ، ولا يمكن ان تفسر الا على اساس اعتبار الدول العربية ، اجنبيا بعضها عن بعض . والحال ليست كذلك في نظر القوميين العرب ..

فنحن القوميين العرب نعتبر الاوضاع الراهنة والحدود الحاضرة ، اوضاعا مصطنعة وحدودا مزورة .. تضافرت عدة عوامل على اقامتها ، منها ما هو اجنبي استعماري ، ومنها ما هو داخلي رجعي . وما دمنا نعتبر انفسنا مواطنين عربا في الدرجة الاولى ، سواء أكنا في الحكم أم خارج الحكم ، فمن قبيل الطعن فيوطنيتنا والتجديف على عقيدتنا ، ان نطالب بعدم التدخل في شؤون قطر عربي لا نعيش فوق ارضه ، لان عدم التدخل يعني عدم الاهتمام واللامبالاة بمصيرنا كأمة . ولو سلك كل منا هذه الطريق ، لما كان لها الا نتيجة واحدة : تنشيط العناصر الاقليمية وترك الميدان لها وحدها ، وبالتالي تفكيك العرى الوثيقة التي تجمع العرب حيثما كانوا .

ومتى عرفنا كم تتشابك مصائر الدول اليوم ، الدول الاجنبية بعضها مع بعض ، بحيث يؤثر ما يجري في أقصى الارض على من في ادنى الارض ادركنا تفاهة الرأي القائل بالامتناع عن التدخل في الشؤون الخاصة بين دولة عربية واخرى .

وليس يكفي ان نتحسس ما يجري في عالمنا العربي ، وان نسايره بالعاطفة ، بل علينا ان ننشط ، ان ننتقل من حيز الشعور الى حيز الفعل ، فنسهم في انهاض كل بلد ، وفي توجيهه وفي دفعه نحو الهدف الاكبر الذي هو الوحدة .

على اننا ، ونحن نؤدي هذا الواجب القومي ، لا نستسيغ الا الاساليب المشروعة ، والاساليب النظيفة ، فالغاية في نظرنا لا تبرر الواسطة ، والاساليب المشروعة والنظيفة تعنى عندنا الاتصال الشخصي والتبشير او الترويج بالقول والكتابة، اي اننا ننهج طريق الاقناع والارشاد، لا طريق القوة العنف ، ولا طريق الدس والمخاتلة .

ولا فرق عندنا بين شؤون داخلية وشؤون خارجية . فكل ما يجري في دولة عربية ، يهمنا تماما كالذي يجري في الدولة التي نحمل جوازها .. موقتا . ذلك انه ما من احد يستطيع اليوم التفريق بين الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية ، لتداخل احداهما بالاخرى تداخلا يصعب تبينه أو تبيانه . وعلى هذا الاساس ، فان ما يجري في اقصى بلدية مصرية او عراقية يهمني ويحركني كالذي يجري في بلدية بيروت .. ولن اتردد لحظة ، حين املك الوسائل ، للمساهمة في تشجيعه وتعزيزه ان كان على حق وللخير ، او تغييره وابطاله ان كان على خطأ وللشر .

ومن حسن الحظ ، ان بعثنا القومي تواكبه وسائل اتصال وتواصل كثيرة وناجعة . فالراديو والصحيفة والكتاب ووسائل النقل السريعة ، كلها ادوات صالحة في ايدينا تيسر لنا مهمة الاهتمام بما يجري عند الاشقاء ، والتدخل فيه تدخلا فعالا عند الاقتضاء .

هذه عقيدتنا ، وهذه خطتنا. وان لم ترق بعض الحاكمين ، ممن يحبون الاستئثار والاحتكار ، فذلك شأنهم ، والعاقبة لنا ..

السعودية ومشروع ايزنهور ..

هل قبلت المملكة العربية السعودية مشروع ايزنهور ؟

من يتأمل البلاغ السعودي ـ الاميركي الصادر اثر زيارة المستر ريتشردز مبعوث ايزنهور الخاص الى الشرق الاوسط لشرح مشروعه لا يجد اشارة صريحة الى ذلك . كما ان هذا البلاغ يختلف في نصه وروحه عن البلاغ اللبناني ـ الاميركي حول الموضوع نفسه .

فالسعودية توافق على تعاون الدولتين في مكافحة الشيوعية ، لكنها تضيف الى ذلك ، مكافحة سائر الحركات الاستعمارية ، و « كل خطر يتهدد السعودية من المنطقة نفسها » وفي هذا المامة الى الخطر الصهيوني.

ثم ان البلاغ ينص على مقاومة العدوان من حيثما اتى . فلا يقتصر على وصم الشيوعية وحدها بطابع العدوان .

والبلاغ بعد هذا تأكيد للبلاغ السعودي ـ الاميركي الذي صدر في واشنطن اثناء زيارة الملك سعود اميركا .

ان السعودية تقبل المساعدات الاميركية الاقتصادية والعسكرية ، وقد تأتي هذه المساعدات من صندوق المشروع الايزنهوري .. لكن هذا ما تحب ان تتجاهله المملكة السعودية .

ولا ننسى ان السعودية جددت ايجار قاعدة الظهران الجوية للاميركان خمس سنوات اخرى .. لكن .. ليس لهذا علاقة بمشروع ايزنهور .. ولو انه يذهب الى ابعد مما قد يذهب اليه مشروع ايزنهور !

يجب الاعتراف بأن لحكومة الرياض قدما راسخة في الفن الديبلوماسي .. وكثيرا من الفطنة والرهافة !

محمد النقاش

الأدب في الرسالة القومية

بقلم رئيف خوري

ما رأيتني مقبلا على الكلام في موضوع الادب الا ذكرت قولا لابي عثمان الجاحظ : « ان مدار الامر والغاية التي يجري اليها القائل والسامع انما هي الفهم والافهام . »

السامع همه ان يفهم ، والقائل همه ان يُفهم . ولا بد في هذا كله من الوضوح ، ولا سيما الوضوح في ذلك الضرب من اللفظ الذي يسري اليه الغموض لا من كونه مهجورا عويصا ، وانما يسري اليه الغموض من كونه مطلقا لا يمثل معنى مقيدا بل يثير معاني تختلف باختلاف ما في الاذهان من سابق تصورات .

والرسالة القومية لفظ من هذا اللفظ ، كثيرا ما يتقاذفه المتجادلون ، وكثيرا ما يتوافقون بشكل مبدئي ، لكن ليجدوا انفسهم من بعدُ مختلفين بشكل عملي ، وما ذلك الا لأن توافقهم كان على ظاهر اللفظ ، بينما كان كل منهم يقصد بالرسالة القومية الى معنى آخر .

وهكذا أراني أتساءل ، اول شيء : ما الرسالة القومية ؟ واراني اجيب كما يخيل لي الواقع انه الحقيقة .

واقول : الواقع ، لأن الرسالة القومية عند شعب من الشعوب لا يصح الحديث عنها بالانقطاع عن واقع ذلك الشعب ، لأنها تتكيف بذلك الواقع تكيفا لا شكليا وحسب بل صميميا أيضا .

فما هو الواقع القومي فيما يتعلق بالشعب اللبناني ؟

يستتبع هذا السؤال فورا سؤالا آخر: أيكوّن اللبنانيون قومية خاصة ام ان قوميتهم عربية ؟ وأجيب مسرعا الى الجواب :

ان قومية اللبنانيين عربية رغم جميع محاولات الانكار **هي عربية لأن لغتهم عربية ، ولان ارضهم موصولة بأرض عربية ، ولأن تاريخهم متفاعل أقوى تفاعل مع تاريخ الشعوب العربية ، وكذلك اقتصادهم ، وكذلك روحيتهم، هذه الروحية التي نجد عنها تعبيرا فيما نسميه الادب اللبناني ، وهو برغم خصائصه المميزة لا يعدو ان يكون امتدادا للأدب العربي في قديمه وفرعا له في حديثه .**

اذن ، فالقومية اللبنانية عربية . وهذا لا يعني ان اللبنانيين اصلهم جميعا عرب . فالقومية العربية ما قامت في يوم على عرق ولا دم ، شأنها في ذلك شأن جميع القوميات التي شاركت في الحضارة واختلطت بشعوب الارض . ومنذ اقدم العصور تحدث النسابون عن عرب بائدة وعرب باقية ، وتحدثوا في العرب الباقية عن عرب عاربة ومستعربة ، وكان أغلب الجيل العربي الذي مثل النهضة العربية في القرن السابع الميلادي (الاول الهجري) ينتمي الى العرب المستعربة .

ولنا ان نقول ان جيلنا العربي الذي أطلق عليه المرحوم ضاهر خيرالله الشويري اسم العرب العائدة هو أيضا جيل محدث من العرب المستعربة .

واذا قلنا ان القومية اللبنانية عربية ، فلا يعني قولنا ان اللبنانيين يفقدون بذلك حقهم ان يعيشوا في دولة لهم خاصة ، فرب قومية واحدة تعددت في نطاقها الدول المتآخية على نحو ما ننشد ان تكون عليه الحال في الدول العربية اليوم .

اذن ، — واعيد القول — ان القومية اللبنانية عربية . وليس في عروبة القومية اللبنانية ما يناقض مطمحا من مطامح اللبنانيين مع ما في ذلك العيش في دولة لبنانية خاصة تتآخى وشقيقاتها العربيات ، دولة لبنانية مستقلة حق الاستقلال . **بل ان قدرة اللبنانيين على انشاء مثل هذه الدولة منوط بالقومية العربية وانتصارها في صراعها مع الاستعمار لتنشىء الشعوب العربية دولا حقا مستقلة.**

ولئن كان في اللبنانيين قلة لا يفهمون بالاستقلال اللبناني الا استقلالها عن سوريا مثلا ، وعن مصر ، حتى لو أدى ذلك — وهو حتما مؤد — الى فقدان لبنان كل استقلال والى استسلام لبنان للاستعمار وخضوعه لأسرائيل ، فان أكثرية اللبنانيين الساحقة لن تقبل هذا المفهوم المجرم . **فالاستقلال الوطني اللبناني لا يمكن ان يكون له معنى الا الاستقلال مباشرة وغير مباشرة عن الاستعمار بجميع صوره ، والاستقلال مباشرة وغير مباشرة عن ربيبته اسرائيل ، والتعاون مع القومية العربية اصدق تعاون وأوثق تعاون ، في سبيل تحرر الدول والشعوب العربية جمعاء .**

هذه هي الرسالة القومية التي افهمها والتي اقصد اليها . انها الرسالة القومية ، العربية ، التحررية ! رسالة تنبعث من نقطة انطلاق واحدة هي التحرر التام وتعتمد على ركائز سبع متساندة متماسكة :

١ — قلع كل استعمار قائم في أيما بلد عربي .

٢ — صد كل استعمار يطمع في التسرب الى أيما بلد عربي .

٣ — محاربة الدس والتفريق والاستغلال الطائفي .

٤ — تحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية التامة .

٥ — خلق النظام السياسي والاجتماعي الصالح وهو في رأيي النظام الذي يجمع بين الحرية والديمقراطية

والعدالة الاجتماعية .

٦ ـ اقامة التآخي والتعاون التام بين الدول العربيـــة

٧ ـ مكافحة العدوان أينما وجد وفي أيما صورة برز .

« والانسانية » ؟ أكاد أسمع قائلا يقول : « انك اكتفيت بالقومية ولم تأت على ذكر الانسانية » ؟ بل أين تراني كنت الا في صميم الانسانية ؟ فمن لا ينصر قومه اذا كانـــوا

صيـــدا .

تلك تجربة اقدم عليها المتنبي مستهينا بقيمه الـــتي أخذ بها نفسه ، وبالتالي متجاوزا مسؤوليته امام نفسه . قيم يتراءى لنا وميض منها في ثنايا شعر المتنبي قبلمـا اتصل بسيف الدولة ويوم اتصل به وبعدما غادر حـلب . ألســـنا نسمعه قبل اتصاله بسيف الدولة يقول :

قال المتنبي وهو يتخيل نفسه في الطريق الى حلب :

كلما رحبت بنا الروض قلنا
حلب قصدنا وانت السبيل
والمسمّون بالأمير كثير
والأمير الذي بها المأمول
ليس الاك يا علي همام
سيفه دون عرضه مسلول
كيف لا تأمن العراق ومصر
وسراياك دونها والخيول
لو تحرفت عن طريق الاعادي
ربط السدر خيلهم والنخيل
ودرى من اعزه الدفع عنه
فيهما انه الحقير الذليل
أنت طول الحياة للروم غاز
فمتى الوعد ان يكون القفول
وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أي جانبيك تميل ؟
قعد الناس كلهم عن مساعيك وقامت بها القنا والنصول
ما الذي عنده تدار المنايا — كالذي عنده تدار الشمول

فسيف الدولة هو الامير المأمول عند المتنبي على كثرة من يسمون بالامير . ذلك بأن سيف الدولة هو وحده الامير المناضل . والعراق ومصر تجدان الامن والدعة ، لأن خيول سيف الدولة وكتائب جيشه تقف سدا بوجه البيزنطيين من الشمال . ولو ان سيف الدولة تنحى لهم عن الطريق لربط البيزنطيون خيلهم بشجر السدر والنخيل في العراق ومصر ولاحتلوهما ، ولدرى الاخشيديون والعباسيون انهم حقراء اذلاء ولم يعزوا الا بفضل سيف الدولة . ولكن على سيف الدولة بعد اليوم ان ينهج نهجا جديدا ، فيتحول عن مكافحة الروم البيزنطيين الى مكافحة الروم الآخرين خلف ظهره ، يعني الاخشيديين والعباسيين

أفكان يجوز لأبي الطيب ان يتجاوز مسؤوليته امام نفسه ويستهين بالقيم التي دان بها فيقصد كافورا ويمدحه ويبدو كأن قد رضي عن الدولة الاخشيدية ؟

أفكان يحق له ان ينتهك حرمة هذه المسؤولية لمجرد ان سيف الدولة آذاه في كبريائه ولم يشف غليل الشاعر ممن حسدوه او عادوه وعاداهم عداوة شخصية ؟ لا لعمري ! ولا عبرة بما يقال من ان المتنبي ربما تقرب الى كافور والدولة الاخشيدية لينال غايته من الولاية ، ثم ينتقض على تلك الدولة . فقد كان كافور على ذكاء اوفر مما تصور المتنبي ، او هي طبيعة الاشياء ارادت ان تنتقم من المتنبي لهذا الاخلال بالقيم التي أحبها وآثرها . وما اريد ان اتشفى بالمتنبي وانا حزب له ، فضلا عن ان طبيعة الاشياء قد ثارت منه ثأرا بلغ الغاية ، فأخفق في مساومته العبد الاخشيدي ، ولم يمقت العبد بأكثر مما انتهى الى مقت نفسه :

أريك الرضى لو اخفت النفس خافيا
وما انا عن نفسي ولا عنك راضيا

مقت نفسه لهذه المساومة مع كافور ، فاعترف انه كان فيها فائل الرأي ، وانه وقع فيها كما يقع المريض في المرض غير مريد ولا مختار . أجل ، اعترف المتنبي صادقا نادما وان عز على كثير من دراسه ان يعترفوا بصدقه تحاملا عليه او انسياقا مع الاحكام الشائعة المتداولة .

فما اريد اذن ان اتشفى ، **وانما اردت ان أؤكد على مسؤولية الادب والاديب ، وانه ليس مسؤولا فقط عن تعبير بليغ او تصوير رائع ، انه ليس ملزما فقط بشروط توجبها عليه الحرفة ، بل انه لمطالب بالوفاء لقيم يدين بها .**
ولذلك توخيت من هذا العرض لتجربة المتنبي مع كافور **ان أؤكد على المأساة التي يواجهها الاديب حين يخلع عنه المسؤولية الجدية ويستسهل المساومة في القيم التي اعتنقها فتتشوه عليه نفسه وتمسخ مسخا ، وبالتالي تضعف شهوته الى الخلق وقدرته على الابداع وتجف موارد الالهام وينابيع الروعة في ادبه ،** الا حين يصف مأساته الخاصة ، كما حدث للمتنبي بالضبط ، فهو في مدحه لكافور ، ثم عضد الدولة ، ما شئناه من صناع لبق الكلام، ومن ممثل بارع ، يشعوذ في تضمين المدح ما يحتمل الهجو ، وفي الروغان من الموضوع ، ولكنه ليس ذلك الشاعر الشاعر الا في الاستطرادات تتصل بأشياء تعنيه وخواطر تخصه بل لقد هانت عند المتنبي نفسه ، تلك النفس التي تحدى بها الدنيا فقال : كذا انا يا دنيا ! وملأت عليه وجوده وشاءها ان تملأ على الناس وجودهم .

هانت نفس المتنبي عنده بعد مساومته مع كافور ، فاذا به في القصيدة التي ودع بها عضد الدولة البويهي يكيل له التعظيم ويعرض بغيره من الملوك ، ويسخو عليه بعواطف الولاء والوفاء وقد ظن شراح المتنبي ان يمدحه جادا صادقا وما فطنوا الى ان أبا الطيب كان متشائما يتوقع شرا يصيبه في تلك الرحلة من شيراز الى العراق ولا يبرىء الامير البويهي من شركة في هذا الشر . فلذلك عظمه وعرض بغيره من الملوك وسخا عليه بعواطف الولاء والوفاء على سبيل الزلفى والتملق . فاذا قال له :

ومن يظن نثر الحب جودا
وينصب تحت ما نثر الشباكا

فالمراد ليس التعريض بالملوك الآخرين وانما المراد حمل عضد الدولة على الحياء من ان يعامل الشاعر مثل هذه المعاملة ، فيغدق عليه العطايا بينما يبيت له شرا كالصياد الذي يغري الطير بالحب ليستدرجها الى الفخ . وكذلك حين يزعم لعضد الدولة انه ليس في طريقه سلاحا من رضى الامير يذعر الاعداء ، فانه انما يتملقه ويتزلف اليه خوفا ورهبة من شر يتوقعه في الطريق . ويبلغ ابو الطيب اقصى الشعور بهوان نفسه حين يقول :

وما انا غير سهم في هواء
يعود ولم يجد فيه امتساكا

ولماذا يصبح سهما في هواء لا استقرار له ؟ لأنه رضي ان يخلع عنه المسؤولية ويساوم في تلك القيم التي دان بها ففقدت نفسه المرساة التي كانت تركزها وتثبتها وتجعل لوجودها معنى ووزنا .

وهذا ينتهي بنا الى موجب آخر يقيد الاديب وادبه بالمسؤولية الصارمة امام قيم يصطفيها ويدين بها .

ان الاديب حين يختار ان يصبح لا مسؤولا فانه يؤذي القيم بقدر ما يؤذي نفسه وادبه ، فينزوي بنفسه ويضعف ويوهن قوة انصباب ادبه في النفوس ويوهي ما بينه وبين النفوس من تجاوب وتقبل .

وهنا يخطر لي تعليل لهذا الضعف في نفوذ الادب عندما نقول ان الناس لا يقرأون ، نقول ذهب عصر الكلمة ، انصرف الناس عن الشعر الى العلم ، نتساءل عن الوسائل التي تجعل اللغة العربية وسيلة اداء اطوع وأفعل كأنها ليست في اللغات من اقوى وسائل الاداء . نقول على الحكومات ان تخص الادب بالتشجيع ولكننا ننسى على ما يبدو لي ان نفوذ الادب ان كان رهنا برشاقة تعبير واناقة تصوير ، فهو ايضا رهن - وبقدر اوفى - بالقيم التي يشيعها ويخلص لها وهو ايضا رهن بشخصية الاديب يقتضيها الصدق في المسلك والاخلاص لتلك القيم .

وهل فكرنا لماذا تمتع ابو العلاء المعري طوال هذه العصور بذلك الوقع البليغ الذي نحسه لادبه ، رغم ما يبهظه احيانا من التكلف والقصد الى الاغراب ؟

هل خطر لنا ان جانبا كبيرا من ذلك الوقع البليغ المؤثر انما يتصل بصدق شخصية المعري وشعورها بالمسؤولية امام ما اخذت به ذاتها من قيم ؟ والا فكيف نفسر اننا في أحيان ، نخالف المعري في الرأي ومع ذلك يهزنا حتى هذا؟

واذن ، فنفوذ الادب قضية لا يمكننا ان نفكها من اخلاق الاديب متقيدة بالمسؤولية ، وعبثا نرجو ان يكون لكلمة الادب نفوذها حتى يكون لنا ادباء مسؤولون يعيشون الكلمة التي يقولونها ويستشهدون في سبيلها ، فينسجم ادبهم وشخصياتهم وتضفي شخصياتهم على ادبهم جمالا واشراقا يكسبانه بلاغة ومدى تأثير فوق ما يكسبه وغير ما يكسبه محض التصوير والتعبير بالغين ما بلغاه من الاناقة والرشاقة .

ما معنى ان نحلم الاحلام متصلة بالحق والخير والجمال ، ما معنى ان نتغزل بالحرية والاستقلال ، ما معنى ان نتناول الحكام الفاسدين بالنقد والتقريع ثم نبيع ذلك كله بفتات عن مائدة اولئك الحكام ؟

وربما كان في هذا تضييق شديد على الادب والادباء ، فمن اين يعيشون

والجواب : ان من يلزم نفسه خدمة الحرية هو اول من يوشك ان يحرم حريته الفردية ، تحرمه اياها طبيعة الخدمة للحرية وما تقيده به من قيود .

ولم يؤذ الادب العربي فى ماضيه آفة كآفة التكسب . ولئن اختلفت صور التكسب اليوم ، فانه ما زال ينال الادب العربي بالاذى ، وبقدر من الاذى ان لم يكن أشد فليس أخف ولا أقل خبثا . ان الاديب لا حق له ان يرتزق بأدبه . انه مسؤول عن رسالة يفي بها ، والرزق هو من هذه الاشياء التي تعطى له وتزاد ، والا فايصبر ، او فليلتمس رزقا من وجه غير وجه المساومة في ادبه .

أجل ، ان ادبنا العربي لن يكون له نفوذه قبل ان يعيش ادباؤنا ويموتوا مسؤولين عن قيم وشهداء لقيم !

على ان ثمة قيما اخرى ، وهذا يخرج بنا الى ماهية القيم التي يجدر بالادب ان يُسأل عنها وبالاديب ان يلتزمها بل ان هذا يدور بنا الى حيث بدأنا حديثنا، فلا نرى اقرب ولا أصح ولا اوجب من ان نقول **ان هذه القيم التي يجدر بالادب ان يُسأل عنها ، وبالاديب ان يلتزمها ، انما هي القيم النابعة من الرسالة القومية العربية التحررية ، القيم المشتقة من الطموح الشعبي الاصيل الى العدل والحرية ، الى الخير والجمال ، الى الحق والسعادة .**

ولكن لما كان العدل والخير والجمال والحق والسعادة أشياء غير قارة ولا جامدة ولا رسم لها معنى عملي يصح في العصور كلها ، وانما تختلف باختلاف دور عن دور ، وتتشكل صورا بين طور وطور ، فان الاديب ليس مسؤولا فقط عن الوفاء للقيم الفضلى التي اصطفاها ، وانما هو مسؤول ايضا عن معرفة المعنى العملي لهذه القيم في عصره بالذات . وقد حاولت جهد الطاقة ان ألم بمعنى عملي يصح في عصرنا لهذه القيم الفضلى حين عددت الركائز السبع التي تنهض عليها رسالة القومية العربية التحررية، وخلاصتها : محاربة الاستعمار والدس الطائفي ، وتحقيق الاستقلال الوطني ، وترسيخ قواعد الحرية الديموقراطية والعدالة الاجتماعية ، واقامة التعاون التام بين الدول العربية ، ونفي العدوان . فهذا في رأيي هو المعنى العملي للقيم التي يطالب بها الادب العربي والاديب العربي في عصرنا ، وهي كلها توجب المعرفة الدقيقة المعمقة .

فليس بمغني الاديب ، ولا سيما في عصرنا ، ان تكون عدته تعبيرا طليا وشعورا متحفزا ، وخيالا متحفزا - على شدة الحاجة الى هذه العدة كلها - وانما ينبغي فيه ان يأخذ من المعرفة الدقيقة المعمقة بالنصيب الاوفر ، فمجرد التعلق بالقيم الفضلى ، والفنية فى التعبير ، وقوة الخيال والشعور لا تعصم الاديب من الشطط في ممارسة مسؤوليته الكبرى ، ولا تدله بوجه عملي كيف يجعل ادبه وثيق الصلة حميم التفاعل بالطموح الشعبي الى العدل والحرية ، الى الخير والجمال ، الى الحق والسعادة . المعرفة وحدها هي التي تعصمه هذه العصمة ، وترشده هذا الارشاد ، لأنها تساعده على ان يفهم المعنى العملي لهذا العدل والحرية والخير والجمال والحق والسعادة ، فلا يخدع بالمظاهر ، ولا يتفاءل التفاؤل الاحمق ، ولا ييأس اليأس الاشد حمقا، بل يميز بادراك واقعي وروح نضالية قوى البناء الناشئة وقوى الهدم المتقهقرة ، وان بدت غالبة - وهنا فلنتخذ لنا مثلا اديبا مرموقا كولي الدين يكن . فمن ذا يشك في ان الرجل قد شغف حبا بقيمة من القيم العليا هي الحرية

وتحدى السلطان عبد الحميد وحمل عليه بقلمه حملات شعواء وذاق في حربه مر الاضطهاد والحرمان .. من ذا يشك في ان ولي الدين رغب صادقا في ان يسلك في معركة الحرية مسلك الجندي الامين المسؤول عن قضية يقدسها ثم من يشك فيما اوتي ولي الدين من حظ في رونق التعبير ونشاط الخيال وزخر الشعور .

ولكن مع ذلك كله كان حظ ولي الدين من المعرفة بحقيقة الحرية ضئيلا . فهو لم يدرك مثلا ، ان الحرية اعمق عمقا وابعد بعدا من مظاهر التنظيم والاصلاح على مصر ، ولم يعلم ان هذه المظاهر في التنظيم والاصلاح لم تكن ، بالدرجة الاولى ، الا لتحسين حياة المستعمرين في البلد المستعمر . كلا . ولا كانت الا لضمان شروط افضل للاستثمار الاستعماري والتحكم في البلد المستعمر وشعبه فأيد ولي الدين الاحتلال الانكليزي لمصر ، وتصور مصر تصاب بكارثة من التدهور والتأخر اذا فقدت نعمة الاحتلال البريطاني . وقد يكون اعتقد ذلك جادا ، صادقا، مخلصا ، ولكن هذا لا يغير شيئا من الواقع ان ولي الدين قد خدع عن الحرية ، فالحرية تأبى بطبيعتها ان تكون عطاء من الغير ، فكيف اذا كان مستعمرا تأبى طبيعته ان يعطي الحرية ؟ وكل اعمال التنظيم والاصلاح اذا لم يبدعها شعب مستقل بارادته وجهده ويتصرف بخيراتها لنفسه ، فلا قيمة لها ولا معنى لها سوى انها قيد ودين يرزح تحت ثقلهما الشعب .

وهكذا نرى ان ولي الدين ، على شغفه بالحرية ، قد انتهى الى موقف تنكر فيه للحرية اقبح تنكر، وأخل شر اخلال بمسؤولية القلم والاديب ، لا لشيء الا لان عنصر المعرفة كان يعوزه . وآل امره الى ذلك القنوط الذي سحق نفسه ودفع به الى شكاوى جوفاء في بكائيات لا طائل تحتها دار بها على حظ الاديب في الشرق وعلى اليأس من الاصلاح في الشرق !

مع ان المعرفة تقطع بأن الاصلاح والحرية منتصران في الشرق كله ، وفي أوطان العرب ، وتقطع المعرفة بأن الاديب في الشرق ، وفي اوطان العرب ، عظيم الحظ شريفه ، اذا هو وفى بأدبه للرسالة القومية التحررية ، فمثل الدور الذي يليق به في تربية جيل عربي كفؤ للنضال في سبيل التحرر القومي ، كفؤ للنصر .

رئيف خوري

رسالة الى خطيبها في الجبهة

دمشق : ١٧ نيسان ١٩٥٧ .. صباح عيد الجلاء

الصبح لملم ... عن ذرى « قسيون » أهداب الظلام
والربوة الخضراء .. أغنية تهز بلا كلام
والشام ... ساقية الربيع ، ولو عرفت بأي جام !
بردى ، وامواج الضياء ، وعطرها بعض المدام
والعيد ... فى نيسان سكرة امة ، وشباب عام
والطالعون على الحياة ... كأنهم عَبَق السلام
جيل البطولة كله - والدرب يهدر - فى الزحام
بعثت بلادي ... فالربيع شموخ ناصية وهام
الصبح ينفض عن ذرى « قسيون » اهداب الظلام
والشام ... غار الوحدة الكبرى اكاليل الشآم

***

وضاح ... اين يداك اشبك فى لهيبهما يديا ؟
واضيع فى حلم ، صباح العيد ، يرعش جانحيا
ويمر موكب امتي نشوان ، هدارا ، أبيا
وخطاه خفق فى ضلوعي ، او سنا فى مقلتيا
وملاحمُ الثوار تملأ مسمع الدنيا دويا
ما زلت ... فى عينيك ابصر شعبي العربي حيا
تظما ميادينُ الكفاح ... فتستقي دمه الزكيا
ما زلت .. فى عينيك ابصر شعبيَ العربي حيا
كالموج ... كالشلال .. يهدر صامداً ابدا عتيا
من غمغمات الاطلسي ... الى الخليج احس شيا ..
ميلاد ارضي ... أين انت ؟ اضم حلمي فى يديا

***

جَدلت من خُصل الربيع ، ومن ذؤابات الاقاحي
أضمومة خضراء تعبق بالاباء ، وبالسماح
للموكب الهدار ، مر بشرفتي عند الصباح
لقوافل الابطال ، سمرٌ زنودهم حلم السلاح
لرفاقك المتعطشين الى الفداء .. بكل ساح
للجيش ... تقفو خطوه قصص البطولة والاضاحي
يحمي زنابق ارضنا من بطشة الغدر الوقاح
ويرد ناب الوحش منحطما على صخر الكفاح
ضَفرت اطواقي ... لموكب امتي ملءَ البطاح
يتعجل الثأر القريب ، وعودة الوطن المُباح

***

وضاح ... حدثني عن الميدان ، عن ظمأ الحدود
للموعد المضروب بينكمُ وبين ثرى الجدود(١)
اللص ، أفقده الصواب تفتح الفجر الوليد
وتألق التاريخ ، تاريخ. العروبة ، من جديد
اللص ينذر باللظى والحق جبار الصمود

انى اخاف ... فلست ممن يصبرون على وعيد
اني أكاد اراك تهزأ بالزوابعِ والرعود
وتشد رايتك الخضيبة ـ فوق ناصية الخلود
آمنت بالوطن الكبير ... يظل خفاق البنود
بطريقنا الدامي ، بأمتنا ، بصخرة بور سعيد ..

***

أيغيب عن عينيَّ طيفك خلف « حفرتك » الرهيبه لا
كف على ضِلع الزناد ، ونظرة ثبتت ، مهيبه
وعلى يمينك ، او يسارك أرضنا الثكلى الحبيبه
وأراك تهمس : لن تظل ديار آبائي سليبه
لا ... لن اعود ... فساعة الاعصار قد باتت قريبه
العيد ، والافراح ، والحب العميق ، رؤى كئيبه
العيد تَغصه الذئاب ، نيوبها ابدا خضيبه
لا ... لن اعود ... لاسرقَ اللحظات مرهقة عصيبه
لي موعد ... مع من يريدك فوق موطننا غريبه
سنرى .. لقطاع الطريق النصر ... ام لضحى العروبه!

***

أملي اليك ... وحولي الضحكات تطفر ، والاغاني
والمهرجان ... وعبقرية امتي فى المهرجان
تثب السطور هوى ، ويرعش فوق احرفها كياني
لمَ يحرمون بلادنا الخضراء من نعمي الامان ؟
لمَ يحملون لنا الدمار ... بألف فحة افعوان ؟
الاننا قلنا : لنا هذي المرابع والمغاني ؟
الان ارضي لم يعد للص فيها .. من مكان
أشدد يديك على السلاح .. احس عزمك فى جناني
يتعرف « القرصان » حقك حين يلمع في السنان
قَدر تحررنا ، ودعهم يوقفوا سير الزمان

***

وضاح ... حدثني متى تصفو لنا نعمى الجلاء
أنظل نستهدي الجراح ، ونقتفي الق الدماء ؟
ستقول ... - اعرف ما بصدرك من سعير الكبرياء -
ستقول ... امتنا بخط النار ... والهي ان تشائي
يحلو نشيد الحب حيث اكون حرا فى غنائي !
شعبي بخط النار يقتنص الحياة من الفناء
تلك الحقيقة كالضحى يجتاح مقلة كل رائي
وضاح ... أبصرت الطريق ، وقد توشح بالضياء
سأكون فى الميدان قربك .. عند تمتمة النداء
هذه الرفيقة فى السلاح ... وتلك معركة البقاء !

سليمان العيسى

معركة الأدب بين الشيوخ والشباب

بقلم الدكتور محمد مندور

ليست المعركة الادبية التي تدور الآن بين الشبان والشيوخ فى العالم العربي بالحدث الجديد ، وانما هي معركة متجددة مع تجدد الاجيال وتجدد الحياة وهي دليل قوة ونماء مستمرين .

والواقع ان ظهور هذه المعارك قد عاصر حركة البعث العربي الحديث وكان انعدام مثل هذه المعارك فى عالمنا العربي اقوى دليل على الركود الذي يشبه الموت تحت سيطرة العثمانيين وانعزال عالمنا العربي عن تيارات الفكر والحضارة الانسانية النامية .

واذا كنا قد نكبنا بعد سيطرة العثمانيين وعهدهم المظلم بالاستعمار الغربي فان هذا الاستعمار لم يكن يملك من وسائل التخدير والتضليل ما كانت تملكه السيطرة العثمانية الغاشمة .

والذي لا شك فيه ان حركة البعث العربي الحديث انما ابتدأت من اليوم الذي اخذ ينتشر فيه الوعي بقوميتنا الخاصة المنفصلة عن القومية العثمانية ، او كما كانوا يسمونها الجامعة العثمانية . وكان ذلك اليوم هو يوم ان هب البطل المصري أحمد عرابي لينتصف للفلاحين المصريين اي للفلاحين العرب من غطرسة الاتراك والجراكسة وظلمهم واستعلائهم واحتقارهم للمصريين اي للعرب . ولا ادل على ذلك ان هذه الثورة قد صاحبتها حركة البعث العربي القوي ، وكان احد زعماء هذه الثورة ، وهو محمود سامي البارودي اكبر رائد لهذه الحركة التي نحب ان نبرز منها جانبين خطيري الدلالة .

اما اولهما فهو ان الفلاحين المصريين عندما اخذوا يدركون ما صاروا اليه من ضعف ومهانة واستخذاء امام غطرسة الاتراك والجراكسة وجشعهم وانانيتهم ، لم يحاولوا معالجة هذا الوضع واسترداد كرامتهم المهدورة بالعودة الى حضارة الفراعنة يحاولون بعثها ليجابهوا حضارة الاتراك والجراكسة المزعومة بالرغم مما فى تلك الحضارة الفرعونية من روعة وامجاد لا تزال شواهدها تغالب الزمن — بل عادوا الى حضارة العرب ، مما يقطع بان الشعور الذي يعتز به الشعب المصري ويعود اليه بغريزته ليسند اليه حاضره ، ويقوى هذا الحاضر ليجابه به الظلمة الغاشمين ، انما هو الشعور بالقومية العربية وبحضارة العرب وامجادهم . ولكل هذا كانت حركة البعث التي صاحبت هذه الثورة الوطنية العاتية انما هي حركة بعث لحضارة العرب وامجاد العرب وتراثهم الخالد .

واما الجانب الثاني فهو ان حركة البعث انما تناولت قبل كل شيء بعث الشعر العربي بديباجته الناصعة وقوة بيانه التصويري بعد ان كان قد انحدر خلال قرون الظلام الى الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية التي لا تدل الا على العبث والمهارة التافهة حتى ليصدق عليها اكبر الصدق ، تلك العبارة الخالدة التي هاجم بها ناقدنا العربي الفذ الآمدي البديع وفنونه بقوله : « انه تطريز على ثوب خلق » والتطريز هنا هو المحسنات اللفظية وزخارف البديع ، والثوب الخلق هو مضمون الشعر ومادته الحية النابضة التي اصابها البلى حتى اصبحت كالثوب الخلق لا تجديد فيها ولا ابتكار ، رغم تجدد الحياة المستمر وتتابع الاجيال — ولا غرابة فى ان تبدأ حركة البعث العربي بالشعر ، فهو بلا ريب اكبر تراث اصيل خلفه العرب وهو الفن الذي برعوا فيه وانعكست فى مرآته عبقريتهم الخاصة وميزات روحهم .

وهكذا يتضح كيف ان نهضة العرب الحديثة فى مجال الادب قد ابتدأت بحركة بعث قوية ، وان هذه الحركة قد انصرفت اول الامر الى خير ما خلف العرب من تراث وهو الشعر الذي اعاد اليه محمود سامي البارودي ديباجته الناصعة وطاقته الشعرية الخلاقة ثم تبعه عمالقة من امثاله ساروا على نفس الدرب وهو استيحاء شعرائنا القدماء الفحول ، ومحاكاتهم والاخذ عنهم ، بل ومعارضتهم احيانا من امثال شاعرنا الفذ احمد شوقي وحافظ ابراهيم واضرابهما فى بلاد العرب المختلفة كالزهاوي والرصافي وغيرهما ممن يغارون على سلامة العبارة اللغوية وقوتها ويحرصون على ان يعيدوا الى الشعر العربي الحديث نصاعة الديباجة القديمة . ولعل شاعرنا المصري الاستاذ علي الجارم قد دافع عن مذهب هؤلاء الشعراء التقليديين اروع دفاع فى قصيدته الشهيرة التي رثى فيها احمد شوقي بقوله:

سكت العندليب فى وحشة الدو ح وغنت نواعق الغربان
فسمعنا من النشوز أفانين يرعن صادح الافنان
أسمعونا برغمنا فصبرنا ثم ثرنا غيظا على الآذان
جلبوا للقريض ثوبا من الغر ب ولم يجلبوا سوى الاكفان
ثم قالوا مجددون فأهلا بصناديد آخريات الزمان
لا تثوروا على تراث امرىء القيس وصونوا ديباجة الذبياني
واتركوا هذه المعاول بالله فاني اخشى على البنيان
واحفظوا اللفظ والاساليب والذوق وهاتوا ما شئتمو من معاني
ما لسان القريض من عربي كلسان القريض من طمطماني
انما الشعر قطعة منك ليست من دماء اللاتين واليونان
كل فن له مكان واهل ان غدا العلم ماله من مكان
ان رأيتم اخوة العود للجز بند فابكوا سلالة العيدان
لا يهز النخيل الا حنان النا ي فى صمت ليلة من حنان
وجهة الشرق غيرها وجهة الغرب فانى وكيف يلتقيان

واللسان الطمطماني ودماء اللاتين واليونان التي يقابل

الاستاذ الجارم بينها وبين اللسان العربي وديباجية الذبياني انما تشير الى تيار جديد ظهر الى جوار التيار التقليدي وهو تيار لا شك انه قد نشأ متأثرا بالثقافة الغربية والادب والفن الغربيين وقامت بينهوبين التيار التقليدي معركة حامية تجددت منذ اوائل هذا القرن ثلاث مرات واشتركت فيها ثلاثة اجيال متتابعة : ــ

اما الجيل الاول الذي خاض معركة الادب ضد المدرسة التقليدية القائمة على بعث الديباجة العربية فحسب فيمكن القول بانه كان ذا ثلاث شعب .

الشعبة الاولى هي تلك التي يمكن ان نسميها شعبة « الديوان ». والديوان اسم لكتاب كان الاستاذان : عباس محمود العقاد وابراهيم المازني قد قررا ان يصدراه في عشرة اجزاء ، ولكنهما لم يصدرا منه غير جزئين اثنين تناولا فيهما بالنقد العنيف بل المسرف الشعراء والادباء التقليديين مثل احمد شوقي ومصطفى لطفي المنفلوطي واضرابهما وقد اخذا عليهم السير في الدروب المطروقة ومحاكاة القدماء وعدم التجديد والابتكار والولوع بالاعراض دون الجواهر وتفكك القصيدة الشعرية وعدم توافر الوحدة العضوية في بنائها فضلا عن التصنع والميوعة احيانا . ومعظم هذا النقد مستوحى من النقد الغربي والادب الغربي ونظرياته الفلسفية والجمالية . ولا ادل على ما في نقد صاحبي الديوان من تحامل واسراف من ان نلاحظ انهما كانا يكونان في الاصل جبهة موحدة مع الشاعر الكبير عبد الرحمن شكري الذي ربما كان اقوى الثلاثة طاقة شعرية واتساع المام بالثقافة والادب الغربيين وبخاصة الانجليزيين . ثم اختلف الاستاذان العقاد والمازني مع عبد الرحمن شكري فأدخلاه في الديوان تحت عنوان « صنم الألاعيب » وكالا له النقد اللاذع بل السباب .

والشعبة الثانية هي تلك التي يمكن ان نسميها بشعبة « الغربال » أو شعبة « المهجر » والغربال كما هو معروف كتاب للاستاذ ميخائيل نعيمه حمل فيه حملة عنيفة على تقاليد الشعر العربي المتوارثة التي ساقته الى المحاكاة والتحجر ونزلت به الى التكسب او التفاهة ولكنه عالج موضوعه على أساس نظري فلسفي عام لم يتعرض فيه لشاعر او شعراء بالذات بل ولم يحاول ان يطبق نظرياته على أي شاعر قديم او حديث وكل ما طالب به هو ان يتجه الشعر العربي الحديث نحو أهدافه الحقة وهي أهداف تنبع من صميم الحياة وطبيعة البشر وحاجاتهم المختلفة مثل الحاجة الى التعبير عن النفس والمجتمع والحاجة الى الجمال والطرب بالموسيقى والتصوير البياني الخلاق ، وهو في كتابه هذا يحيي في حرارة صاحبي الديوان وحملتهما النقدية القوية وان يكن الاستاذ العقاد في المقدمة التي كتبها للغربال قد حرص على ان يظهر الفارق الذي يتمسك بين دعوة اصحاب الديوان ودعوة المهجريين التي عبر عنها نعيمة في غرباله . وهذا الفارق هو التمسك بفصاحة اللغة واستقامتها بل ونصاعة الديباجة التي يلوح ان الاستاذ العقاد واخوانه كانوا يتهمون المهجريين بعدم احترامها والتمسك بها .

وكانت الشعبة الثالثة شعبة هادئة ــ رقراقة صافية لا عنف فيها ولا تهجم بل عبقرية وادعة مبتكرة اصيلة هي عبقرية الشاعر خليل مطران الذي يمكن ان نعتبره بحق رائد التجديد في الشعر العربي الحديث ، لا في مصر وحدها ، بل في المشرق كله . والتيار الذي احدثه هو التيار الذي اخذ عنه الجيل اللاحق الذي استمر في الدعوة الى التجديد ومكافحة القديم الذي اخذ يضم من تبقى في مجال الشعر من جماعة الديوان ، وهو الاستاذ العقاد وتلاميذه المحدودون وهذا الجيل الذي تتلمذ على مطران واعتز باستاذيته هو جيل جماعة « أبو للو »وعلى رأسها الشاعر الخصب الدكتور احمد زكي أبو شادي .

وابوللو اسم لجماعة من الشعراء تألفت في مصر واصدرت سنة ١٩٣٢ مجلة بنفس الاسم خصصتها للشعر ونقده فكانت ظاهرة فريدة في تاريخنا الادبي كله .

وقادت جماعة « ابوللو » ومجلتها حركة التجديد الشعري والدعوة اليها فكانت الجيل الثاني في تلك المعركة الادبية التي اشرنا الى ابتدائها في اوائل هذا القرن واستعرضنا الجيل الاول فيها بشعبة الثلاث .

وبالرغم من قدم هذه المعركة ومرور عشرات السنين على بدئها فاننا لا نستطيع ان نزعم انها قد تمخضت حتى ذلك الحين عن مذاهب ادبية بعينها ولا ادل على ذلك من ان نعود الى الاغراض التي اتفقت عليها جماعة « ابوللو » وسجلتها في العدد الاول من مجلتها فنجدها اغراضا عامة لا تحدد مذهبا شعريا معينا بل ولا تحاول ان ترسم للشعر أي مذهب او هدف بعينه .

وها هي تلك المبادىء :

١ ــ السمو بالشعر العربي وتوجيه جهود الشعراء توجيها شريفا .

٢ ــ مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر .

٣ ــ ترقية مستوى الشعراء ادبيا واجتماعيا وماديا والدفاع عن كرامتهم .

ومن البيّن ان أيا من هذه الاغراض لا يفيد تخصيصا بمذهب او بتوجيه فني أو فلسفي خاص .

هذا ومن الواجب ان نلاحظ انه حتى هذه المرحلة من مراحل معركة التجديد المستمرة لم تتجاوز تلك المعركة حدود الفن الشعري الذي ورثناه عن العرب القدماء وهو الشعر الغنائي اي شعر القصائد ، وان كان من الواجب ان نلاحظ ايضا انه الى جوار المعركة المستمرة كانت هناك جهود اخرى لم تشارك في هذه المعركة ولكنها اخذت تعمل في صمت لتوسع من معنى الادب وفنونه وتخلق في الادب العربي تلك الفنون التي لم نتوارثها عن اجدادنا العرب بينما هي تحتل في الآداب العالمية مكان الصدارة مثل فن القصة والاقصوصة وفن المسرحية الشعرية والنثرية وبذلك توثق الصلة بين الادب والحياة .

ومن الواجب ان نلاحظ ايضا انه اذا كانت الدعوة الى التجديد لم تسفر حتى هذه المرحلة عن مذاهب ادبية او شعرية محددة ينطوي تحت كل منها طائفة من الادباء أو الشعراء فان هذه الظاهرة يمكن ان نفسرها في يسر بظروف الحياة التي سادت في النصف الاول من هذا القرن في مصر بل وفي البلاد العربيــة كلها .

فكل هذه الفترة قد طغت عليها الفردية الجامحة التـي ترفض ان تنطوي تحت مذهب وتتمسك بالحرية المطلقـة التي كنا نجاهد جهادا مريرا لتحقيقها في كافة الميادين حتى اصبحت تلك الفردية نتيجة طبيعية لدعـوة التحرر : التحرر من الاستعمار وسيطرته الطاغية المذلة .. والتحرر من الاستبداد الداخلي وظلم الملكية الفاسدة ، والكثير مـن حكوماتها التي كنا ننظر اليها ـ كما يقال ـ نظرة الطير الى الصائد .. والتحرر من سطوة الاقطاع . وفي النهايـة محاولات متفرقة للتخلص من التقاليد البالية الضـارة والخرافات والاسرائيليات التي تسللت الى ديننا الحنيف، وفي كل هذا ما يوضح الى أي حد كان تفكيرنا العـام وجهودنا كلها موجهة الى الحرية والتخلص من كافةالقيود. وفي مثل هذه البيئة المشغولة بالحرية بل والمتعصبة لها تعصبا عنيفا لم يكن بد من ان تنمو الفردية وان تطغى على سلوك جميع المواطنين في السياسة والاقتصاد والثقافـة على السواء ، بحيث لا نكاد نرى لروح الجماعة اثرا فى مثل هذه البيئة ، واذا كانت هذه العقلية التي سادت عندئـذ قد عززت تعزيزا قويا كفاحنا من اجل الحرية فانها لا ريب لم تساعد على نمو روح التضامن والتآزر في نــواحي نشاطنا المختلفـة .

وفي مثل هذه البيئة كان من الطبيعي ان ينادي رجال الادب والفن بالحرية المطلقة وعدم الخضوع لاي مذهب وكان من الطبيعي ايضا الا تتمخض دعوة كبيرة كالـدعوة الى التجديد في الادب عن مذاهب محددة ينطوي تحتهـا عدد من الشعراء او الكتاب وعلى العكس من ذلك نرى كل شاعر او اديب يتمسك بحريته المطلقة ويقول كما قـال الشاعر أبو القاسم الشابي :

« ان روح الشاعر حرة لا تطمئن الى القيد ولا تسـكن اليه .. حرة كالطائر في السماء والموجة في البحـر والنشيد الهائم في آفاق الفضاء .. حرية فسيحة لانهائية لا تحددها نزعة واحدة ولا مذهب محـدود وان كانت لا تضيق بكل هاتيك النزعات مجالات نفس الشاعر ولا تتقيد بصورة أو مثال » .

والواقع ان دعاة التجديد منذ أوائل هذا القرن قد كانوا كقوم نيام نفخت الحياة في بوقها الذي يدعو الى التجديد حفاظا على الحياة نفسها فانتبهوا وهبوا خفافا وثقالا واخذ كل منهم يعدو في سبيل غير سبيل الآخر دون ان يجتمعوا على درب واحد ما لم تحملهم تضاريس الحياة نفسـها على هذا التجمع والسير في درب واحد أي في مذاهب موحدة . وما تضاريس الحياة فى حالتنا هذه الا تيـارات الحياة العامة في السياسة والاقتصاد والثقافة . ولذلك ظل هؤلاء الدعاة الى التجديد فرديين في نزعتهم ولم نلحظ تجمعا دقيقا محددا حول مذهب معين الا في يومنـا الحاضر وبخاصة بعد ان وجهت الثورة الاخيرة حياتنا كلها وجهة اشتراكية فظهر عند شبابنا ، مذهب الواقعيـة الاشتراكية في الفكر والادب والفن وان يكن هذا المذهب الناشيء ـ ككل مذهب جديد ـ قد اخذ يضيق مـن حدوده ويفرض سلطته ويتعصب لنفسه تعصبا نرجو ان تخف بعد قليل حدته ، حتى يصبح وسيلة لتنمية المواهب والملكات لا وسيلة للاختناق .

وفي ضوء هذه الحقائق التاريخية نستطيع ان نتبين كيف ان دعاة التجديد وهم الشباب في كل جيـل لم يستطيعوا تكوين مذاهب ادبية محددة بالرغم من معرفـة الكثيرين منهم لمذاهب الغرب المختلفة كالكلاسيكيـة والرومانسية والرمزية والواقعية والسريالية وغيرها حتى السنوات الاخيرة وذلك بحكم ان التعصب للحرية والتعطش اليها كان من شأنه ان ينمي النزعة الفردية المسرفة في كافة النفوس وهي نزعة ترفض الخضوع لاي مذهب وتتمسك بحريتها المطلقة ، وكل ذلك فضلا عن ان مذاهب الفكـر والادب لا ترتجل ولا تصطنع ولا يمكن انتتأصل اذا اخذت عن الغير دون ان تتهيأ لها البيئة او تنبع منها على نحـو طبيعي تلقائي ، على نحو ما تبعث المذاهب في الغـرب عن ظروف الحياة ذاتها .

ولما كان الوعي السياسي بل الوعي بالحياة قد أخذ ينمو عند الجيل الذي تلا جماعة « ابوللو » وهو الجيل الـذي يكون شباب يومنا ـ ذلك النمو الذي احدث في عالمنـا العربي المعاصر اكبر حدث ، وهو الثورة المصرية الاخيرة ، فقد كان حتما على هذا الوعي ان يوجه الادب وغيره مـن الفنون الوجهة التي يهدف اليها هذا الوعي . ولما كان هذا الوعي الجديد قد اصبح قدرا مشتركا بين الشباب كلـه فقد كان من الطبيعي ان يتمخض عن مذهب ادبي يساوق هذا الوعي ولا يرتضيه الجيل الناشيء فحسب بـل ويتعصب له ويكافح من اجله من يعارضونه من الشيوخ الذين يعارضون هذا المذهب معارضة جزئية او كلية ولا يحجمون عن ان يخوضوا كمعارضين معركة الادب التـي نتحدث عنها الان ، وقد انتهينا الى مرحلتها الاخيرة وهي المرحلة التي ظهر فيها ما يمكن ان نسميه مذهبا محددا ، وهو مذهب الواقعية التي تدور حولها المعركة .

والواقعية كما هو معلوم اصطلاح لا يتقيد بمدلوله اللغوي الاشتقاقي وذلك لانه في الاصطلاح لا يقصد منه الا تصوير الواقع بخيره وشره تصويرا آليا . فالتصوير الآلي ليس من الادب او الفن في شيء وانما تعني الواقعية في الفكر والفن نظرة خاصة الى الحياة والاحياء .

والواقعية كما ظهرت في التفكير والادب الغربيين يختلف مدلولها عنه في العالم الاشتراكي المعاصر . فلو اننا رجعنا الى رواد الواقعية عند الغربيين من امثال بلزاك في فرنسا

وتوماس هاردي في انجلترا لوجدنا ان واقعيتهم تعني نظرة متشائمة تؤمن بأن الشر اصيل في الحياة والاحياء وان الانسان على الانسان ذئب ضار . والواقعية في الادب نقد الحياة وكشف عما فيها من شرور وآثام لان هذا الكشف هو الذي يظهر واقع الحياة اي حقيقتها الجوهرية الاصيلة الدفينة .

وما من شك في ان النزعة الذاتية العاطفية اذا كانت هي النزعة الغالبة على جيل جماعة « ابوللو » فان هذه النزعة قد اخذت تتراجع شيئا فشيئا بطغيان الوضع السياسي واجتياحه لكافة ميادين الحياة واخذت تحل محلها النزعة الواقعية التي اوشكت ان تصبح مذهبا ، فرأينا الجيل الجديد يصرف جهده كله او معظمه لنقد الحياة والكشف عما فيها من شرور وآثام وهو ذلك الكشف الذي زاد الوعي السياسي ضراما ونشر الاحساس بل الفطنة لما كان في حياتنا من مذلة وبؤس ، وهو ذلك الاحساس وتلك الفطنة اللذان مهدا النفوس لثورتنا الاخيرة التي حررتنا مما كنا نشكوه من استعمار واستبداد واستغلال .

ولقد كان من الطبيعي ان يقلق هذا الاتجاه الجديد بال بعض الفئات وان يزعجها لانه يهدد مصالحها او يتعارض مع عاداتها ومفاهيمها ومطالب حياتها .

ولما كان هذا الاتجاه الواقعي يولي وجهه نحو جماهير الشعب ، فقد كان من الطبيعي ان يعنى بمشاكل تلك الجماهير وبخاصة سوادها من البسطاء المحرومين وهذه الحقيقة هي التي تفسر شعار « الادب للشعب » ثم « الادب في سبيل الحياة » وهي عبارات لم يستسغها كثير من شيوخ الادب الذين درجوا على اعتبار الادب والفن للخاصة لا لعامة الشعب كما درجوا على الايمان بأن الادب ليس للحياة ولا للشعب وانما هو لذاته وللمتعة الخالصة باعتباره فنا جميلا او كما يقولون باعتبار ان الفن للفن لا لشيء آخر . ولاقى الشبان عناد هؤلاء الشيوخ بعناد اشد عنفا حتى لنراهم ينكرون احيانا الصفة الجمالية للادب ولا يريدون ان يحتفلوا بغير مضمون الادب وهدفه حتى لنراهم يواجهون اليوم ادب الشيوخ الجمالي بما يسمونه الادب الهادف. وان يكن من الواجب ان نفطن الى ان هذا الهدف قد اختلف عند جيلنا الناهض بعد نجاح الثورة عنه قبلها. ففي السنوات القليلة التي سبقت الثورة كان الاتجاه الغالب عند شبابنا كما قلنا هو الاتجاه نحو واقعية النقد وهي واقعية وان تكن متشائمة الا ان تشاؤمها لم يكن يأسا بل تشاؤما ثوريا ايجابيا لا سلبية فيه ولا استسلام .

واما بعد الثورة واتجاهها الاشتراكي الواضح وبعد نجاحها وتخليصنا مما كنا نشكوه من آفات فقد اخذ شبابنا يتجمعون تجمعا واضحا تحت راية الواقعية الاشتراكية وهي وان سميت واقعية الا انها ليست واقعية نقد وتشاؤم بل واقعية بناء وتفاؤل ، وهي لا تؤمن بأن الانسان شرير بطبعه بل تفترض انه خير او قادر على ان يكون خيرا او على الاقل من الواجب ان توحي اليه بأنه خير وقادر على الخير حتى يثق بنفسه وبغيره ويتعاون معه في غير حذر ولا قلق لكي نبني الحياة ونعمرها ونرفع مستواها بتضامن اجتماعي شريف ، وكان ذلك باعتبار انه بعد ان قامت الثورة بهدم القديم البالي الفاني يجب ان يأتي دورها في البناء والتعمير وهو دور يحتاج الى ثقة الانسان في نفسه وفي غيره وتضامنه معه وايمانه بأنه سيد مصيره .

وان يكن من الواجب ان ننبه الى ان هذه المفاهيم كلها لم تتسرب الى شبابنا من المذهب الاشتراكي وحده بل تسرب بعضها من المذهب الوجودي ايضا وذلك بحكم ان هذا المذهب يدعو الى التخلص من كثير من القيم المتوارثة التي بليت وتحكيم العقل وتحمل المسؤولية والايمان بحرية المصير والتحكم فيه ووجوب السعي الى كل ما تحققه مصلحة الفرد المشروعة ومصلحة مجتمعه باعتباره جزءا منه وباعتبار وجوده متصلا بوجود مجتمعه .

وبمزيج من الاشتراكية والوجودية يتكون ذلك الهدف الذي يقصد اليه اليوم شبابنا من عبارة « الادب الهادف » فهي ايضا اصطلاح لا يجوز ان يؤخذ على معناه اللغوي ، والا كان لغوا من القول باعتبار ان كل ادب قد كان له دائما هدف أي علة غائية سواء أكان هذا الهدف هو التعبير عن الذات او عن المجتمع او نقد الحياة او بناء الحياة او توجيهها بينما المقصود من عبارة الادب الهادف المنتشرة اليوم بين شبابنا هدف او أهداف بعينها ، وهي تلك التي اوضحنا كيف انها تجمعت من جداول تسربت من الاشتراكية ومن الوجودية ووجدت عند شبابنا تربة خصبة ممهدة فتأصلت واخذت تؤتي ثمارها .

واذا كان شيوخنا من الادباء يحاربون اليوم هذا المذهب ويعتركون حوله فاننا لا نستطيع ان نقرهم على هذه المعارضة عندما يتناولون بالتجريح اهداف شبابنا النبيلة الخيرة .

واما عندما يجرحون اهمال شبابنا او بعضهم في ادبهم الجديد للنواحي الجمالية في هذا الادب فاننا نقرهم على هذا التقريع وندعو شبابنا جاهدين الى ان يتمسكوا بأصول الفن ومبادئه الخالدة وان يجمعوا ما استطاعوا بين الفن الجميل والهدف النبيل اذا أرادوا ان يكتب لادبهم الخلود وان يظل قادرا على الاثارة والايحاء . (✶)

محمد مندور

(✶) محاضرة القيت في بيروت بدعوة من هيئة المحاضرات في كلية المقاصد الاسلامية .

اغنية الى مسافرة

صديقتي ،
صديقتي الحبيبه ،
غريبةَ العينينِ .. في المدينة الغريبه ..
شهرٌ مضى ..
لا حرفَ .. لا رسالةً خضيبه
لا أثرٌ
لا خبرٌ
منك يضيء عزلتي الرهيبه
يقولُ : أينَ انتِ
كيف انتِ ؟ .
في المدينة الغريبه ..
صديقتي ،
صديقتي الحبيبه .

***

تشرين ، يا صديقتي
أغنيةٌ كئيبه ..
أغنية سوداء .. مثل نفسيَ الكئيبه ..
والعطر موجوعٌ .. على مقاعد الجنينة الجديبه ..
حتى العصافيرُ اختفت
فوق حقول الحنطةِ القريبه
حتى السنونو أصبحت
في سقفنا غريبه
غريبةَ .. مثلك يا صديقتي الغريبه ..

***

أخبارُنا . ؟
لا شيء .. يا صديقتي الحبيبه ..
نحنُ هنا ..
اشقى من الوعود فوق الشفةِ الكذوبه ..
أيامُنا
تافهةٌ .. فارغةٌ .. رتيبه
دارُكِ ذاتُ البذخ ، والستائر اللعوبه ..
هاجمها الشتاء ، يا صديقتي الحبيبه ..
بغيمِهِ ..
بثلجِهِ
بريحه الغضوبه ..
فالورقُ اليابسُ غطى الشرفةَ الرحيبةَ ..
توقفَ الحاكي ..
فلا لحنَ .. ولا اغنيةٌ سكيبه ..
والكتب التريكة التريبه ..
تفتقد الاصابعَ الشمعيةَ الرطيبه ..
والخفّ ..
والمنامة الصفراءُ ..
والحقيبه ..
جميعُها
ساهمةٌ .. واجمةٌ .. غريبه ..
مثلك يا صديقتي الغريبه ..
جميعُها
تسأل عن خطاكِ .. عن مشيتك الطروبه ..
تسألُ عن عودتك القريبه ..
صديقتي ..
صديقتي الحبيبه .

نزار قباني
دمشق

النِّداء

من الاقصوصة الشعرية (هو وهي)



انا من يناديك هـل تسمعيني انا من رماني عليك القدر
طويت حياتـك نفسا تلوب وروحا محيرة تنتظر
وكنت بقبلك لم تعرفيني سوى حلم فى الضباب اغتمر
تحسينني ظمأ في وجودك شوقا الى مبهم منتظر
وكم هفّ حولك مني عبير وكم ضم حلمك منى صور
وها أنا يا (ليل) ها أنا جئت كيانا تجسَّد ، روحا حضر
أجيبي ندائي ، أنا من يريدك جسما وروحا ، خيالا وشعر
انا ، فافهميني ، اسمعيني ، اجيبي حرارة صوتي بصوت احر

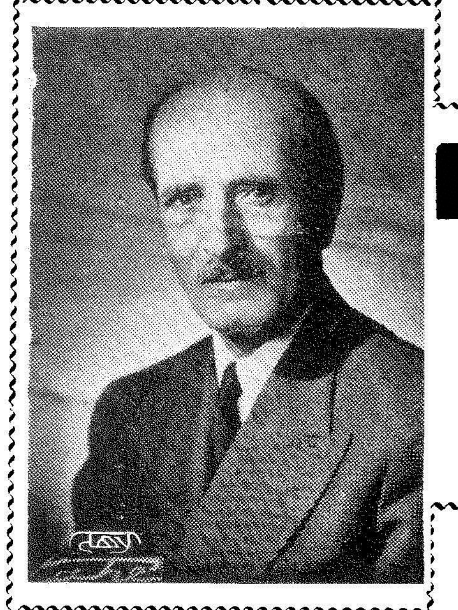
✶

قرأتك يا (ليل) شعرا تفجر نارا مدومة زاخرة
فأدركت اية روح جموح وراء اناشيدك الهادره
تحديتِ مجتمعا زائفا يمثل اكذوبة ماكره
فضيلته خدعة ضخمة وتقواه شعوذة فاجره
خرجتِ على الناس يا ليل نفسا كما هي عارية سافره
فلم تلبسيها ثياب النفاق ولم تخدعي نفسك الطاهره
وكنتِ كما انت بنت الطبيعة ، كنت حقيقتك الباهره
فاحببت صدقك يا ليل فى شعرك الحىّ ، فى روحه الفائره

✶

واقبل يوم رأيتك فيه يظلل وجهك لون الالم
بأمواج عينيك تدنو وتبعد اصداء لحن حزين النغم
فأحسست جذبا غريبا اليك يشد كيانيَ روحا ودم
ومر بقلبي نداء العناصر فى خطفة عبرت كالحلم
بان المقادير قد وضعتني امامك .
يا ليل هذا قسم :
سيهواك قلبي ، سيهواك ما تنفس عرق به واضطرم
هوى سوف يرويه جيل لجيل قصائد حب تحدى العدم
الا فاعلمي الان انك لي ، لي ، لانانيتي ، لهواي العرم

« نابلس » **فدوى طوقان**



ميخائيل نعيمه يحدّث «الآداب» عن :

- خصائص أجيالنا الأدبية الثلاثة
- أهداف الفلسفة «النعيمية» وعلاقتها بالواقع
- الأدب والحياة القومية • انتاج الشباب

س ١ – عاصرتم ثلاثة اجيال من الادباء العرب في هذا القرن : جيل الرواد الذين كنتم من كبار ممثليه ، وجيل ما بين الحربين ، وجيل الشباب الحاضر . فما هي في رأيكم خصائص كل من هذه الاجيال، وبم يمتاز واحدها عن الآخر؟

الجواب – جيل ما قبل الحرب العالمية الاولى كان جيل هدم وتمهيد . ومهمته كانت اشق مهمة . اذ كان عليه ان يجدد الصلة ما بين الادب والحياة – تلك الصلة التي انقطعت في عصر الانحطاط الطويل ، وبانقطاعها بات الادب جسما بغير روح. وكان عليه ان يقيم للأدب مقاييس جديدة ، وان يدافع عنها بضراوة ضد المقاييس القديمة ، وان يوسع في آفاق الادب فيدخل عليه عناصر جديدة لا عهد له بها كالأقصوصة ، والرواية ، والمسرحية ، والملحمة، والنقد ، الذي ليس تجريحا او تقريظا ، بل كشف شامل لما ينطوي عليه الاثر المنقود من قيمة ادبية .

وجيل ما بين الحربين كان جيل تجديد وتعمير . وقد اسعفه على القيام بعمله ذلك الجو من الهدوء النسبي الذي ساد العالم من سنة ١٩١٨ وحتى سنة ١٩٣٩ ، ثم انفتاحه الواسع على ادب الغرب . فراح يقتبس حيث خانه الابداع ، ويبدع حيث كان في غنى عن الاقتباس . الا انه في اقتباسه وابداعه كان يعمل وكأنه في سباق مع الزمان. فالقراء في ازدياد مطرد ، وهم يتقبلون نتاجه تقبل الارض العطشى للغيث . من هنا ذلك الفيض من المؤلفات والصحف الادبية الذي شهدته فترة ما بين الحربين .

واما جيل ما بعد الحرب الثانية فجيل حيرة ، وقلق ، وتفتيش ، وصراع ، وما ينتج عن هذه من تشاؤم ولا مبالاة واستهتار ونزق . فلا عجب ان تتشعب مسالكه ، والا يكون له وجه يعرف به. واستثني منه الادب القومي العنيف الذي ولده كره الاستعمار . وادب الصراع الطبقي الذي خلقته الشيوعية. فهذان لهما لون معروف واتجاه بيّن المعالم . ولكن هذا الجيل ، على ما فيه من حيرة وقلق وتشاؤم واستهتار ونزق ، قد تكشَّف عن مواهب ادبية ذات شأن .

س ٢ – هل تعتقدون ان نظرتكم الى الحياة تشكل نظاما فلسفيا متسلسلا مترابط الاجزاء؟ وهل لكم ان توجزوا للقراء خطوطه الرئيسية ؟

الجواب – المهم في أي فلسفة ان تقيم لصاحبها هدفا وان تختط له الطريق الى الهدف . وبذلك تجعل لوجوده معنى ، فلا تبدو الولادة والموت وما بينهما وقبلهما وبعدهما ألغازا ، بل حلقات في سلسلة غير متناهية أحكمت صنعها الحياة اللامتناهية التي لا يمكن ان تضمر لنفسها ولأبنائها غير الخير اللامتناهي . وليس على أي فلسفة ان تُقنع كل الناس بصحة هدفها وصواب طريقها . اذ أن الناس في مرتبات متفاوتة جدا من حيث الفهم والتفتح .

أما هدفي فمعرفة النظام الذي يسيرني ويسيِّر جميع ما في الكون . وهذا النظام يدلني على وجوده عقلي . مثلما يدلني عقلي على انه حيثما وُجد النظام فهناك المنظم . وحيثما كان المنظم فهناك الغاية من التنظيم . واذن فعلي، لكي احقق الغاية من وجودي ، ان اعرف المنظم بمعرفتي نظامه . فأطاوعه في نظامه مطاوعة العارف لا مطاوعة الجاهل. وبذلك يصبح نظامه نظامي، وأصبح واياه واحدا.

والمنظم والنظام كلاهما في داخلي . وليس علي ان اذهب بعيدا في التفتيش عنهما . بل كل ما أحتاج اليه هو ان احسن استعمال الوسائل التي وضعها المنظم تحت تصرفي لفهم نظامه . وهذه الوسائل هي العقل والخيال والبصيرة والوجدان والارادة . والانسان ما يزال حديث العهد بها . فما اتقن استعمالها بعد . ودليلك على ذلك انه ما يزال الى حد بعيد مسيرا بالغريزة ، شأنه فى ذلك شأن النبات والحيوان. وصاحب الغريزة مسير فى كل



شيء . فهو عالة على النظام كما هو الطفل على أمه سواء بسواء ، ولا قدرة له على معاندته ، وبالتالي على فهمه .

اما الانسان المسلح بالعقل والخيال والبصيرة والوجدان والارادة فقد بات في قدرته ان يخالف النظام . ولأن النظام السرمدي لا يطيق أية مخالفة فقد جعل الالم نتيجة حتمية لها كيما ينبهنا اليها فنرتد عنها . فنحن ما توجعنا الا لأننا خرجنا على النظام عن قصد أو عن غير قصد . ولو اننا أتقنا استعمال الوسائل التي لدينا لمعرفة النظام لبتنا في مأمن من الوجع – وحتى من الموت . واذ ذاك فالقصد من وجودنا في دنيا من المتناقضات هو ترويضنا على استعمال الوسائل التي نملكها عن طريق المقارنة والاستنتاج . فالخير والشر ، والولادة والموت ، مرحلة من مراحل الحياة لا أكثر . والغاية منها الوصول بنا الى معرفة النظام . حتى اذا تم لنا ذلك نزعنا عنا مآزر اوراق التين – مآزر الخير والشر – ولبسنا الحياة التي هي ديمومة خارج الزمان والمكان ، وفوق الخير والشر .

قد يعجب القارىء لقولي ان الانسان – ما خلا أفرادا قلائل – لم يتقن استعمال عقله وخياله وبصيرته ووجدانه وارادته في خلال الآلاف ، بل الملايين من السنين التي عاشها على الارض . وأي عجب في ذلك ؟ فهل اتقن الانسان أي علم من علومه ؟ فكيف بعلم النظام السرمدي الذي لا قبله ولا بعده علم ؟

وهنا لا بد من الاشارة الى أنني من القائلين بوجود الشخصية الانسانية الفردية ، وبعنادها في الاستمرار الى ان تبلغ المعرفة الكاملة فتنعتق من فرديتها ، وتندمج بذات المنظم الاعظم . ولذلك كان لا بد لها من ان تولد وتموت مرات عديدة قبل ان تبلغ نقطة الانعتاق .

ثم لا بد من القول بأن النظام الذي أحدث عنه لا يقتصر على ظواهر الحياة المادية ، بل انه نظام روحي في جوهره . وليس ما ندعوه مادة غير عرض من أعراضه ، او ظل من ظلاله . لذلك فهو يسري على الاخلاق سريانه على اللحم والدم . والنظام الخلقي يقضي بأن نعامل الغير معاملتنا لانفسنا . لاننا ، لو أحسنا التفكير ، لوجدنا أننا والغير يتمم واحدنا الآخر . واذ ذاك فمحبتنا لانفسنا تحتم علينا محبة الغير كذلك . وأي اساءة نلحقها بالغير اساءة نلحقها بأنفسنا . وكل خروج على هذا النظام نتيجته التشويش والخوف والحذر والقلق ، وبالتالي النزاع والالم والموت .

لقد حاولت ان الخص نظرتي في الانسان وحياته عالما ان كل تلخيص قلما يخلو من المسخ والتشويه . وكيف الخص في سطور ما انفقت جل عمري باحثا عنه ، وما ألفت فيه المؤلفات ؟

س ٣ – في معرض الحديث عن أدبكم ، يرى بعض النقاد انكم لا تخوضون قضايا الحياة خوضا واقعيا يساعد على ادراك الحقائق الارضية وعلى مواجهتها مواجهة ايجابية فعالة . فما رأيكم في ذلك ؟

الجواب – « الواقع » كلمة مطاطة جدا ، ومبهمة جدا . فواقع سمكة في قعر البحر غير واقع سمكة على سطحه . وواقع النملة غير واقع الفيل . وواقع الخلد يحفر نفقه في ظلمة الارض غير واقع النسر يجوب رحاب الفضاء . وواقع المسيح غير واقع قيافا . وواقع محمد غير واقع أبي لهب . فنحن وان مشينا على ارض واحدة ، وتظللنا سماء واحدة وتشابهنا في ما نأكل ونشرب ونلبس ، لا نعيش في جو فكري وعاطفي واحد . ومن ثم فالحياة البشرية « ورشة » متعددة الوظائف وليس يمكن في الورشة ان يقوم الكل بوظيفة واحدة . بل لا بد ممن يجبل الطين الى جانب من يهندم الحجارة ، ومن يحملها ومن يبنيها مدماكا فوق مدماك ، ومن يصنع تصاميم البناء الخ . الخ .

واذا انا اخترت ان أقف ادبي على بناء الانسان من الداخل فلأنني واثق كل الثقة من انه يوم يصطلح داخله يصطلح خارجه . ولا أعكس القول ابدا . فجميع مشكلات الانسان بذورها في داخله لا في خارجه . ونحن اذا قضينا في قلب الانسان وفكره على بذور الكره والجشع والنفاق والرياء وحب الاثرة والسلطان ، وزرعنا بدلا منها بذور المحبة والقناعة والصدق والاخلاص والدعة والتسامح ، قضينا على الحرب والاحتكار والظلم والجوع والخوف والعبودية . اما قتلنا المبغضين والجشعين والمنافقين والمرائين والمحتكرين والظالمين فلن يقتل البغض والجشع والنفاق والرياء وحب الاثرة والسلطان . بل انه يبني لها مساكن جديدة في قلوب وافكار جديدة . والذي يداوي آفات الانسان المادية من غير أن يداوي آفاته الروحية كمن يداوي سرطانا في الكبد بمساحيق يطلي بها وجه المريض ليبدو زاهيا نضرا . انه الخداع الذي لن يلبث ان ينتهي الى مأساة وفاجعة .

وأزيد على ذلك فأقول انني ما نسيت يوما – ولا تناسيت ان الانسان من لحم ودم ، وان لا غنى للحم والدم عن الارض ولست اظن ان بين كتابنا المعاصرين من يحدب على العامل والمزارع ، وعلى المحروم والمظلوم ، حدبي عليهم . او من مجد العمل تمجيدي له اذ دعوته « اكبر نعمة » (مذكرات

الارقش) . او من قبح النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي نعيش في ظله تقبيحي له حيث قلت :

« يا للحيف ان يجوع من يزرع ، ويعرى من ينسج ، ويبقى بدون مأوى من يبني القصور !

« يا للعار ان يكون فينا من يريد ان يعمل فلا يجد ما يعمله . ومن يحب الارض فنقيم السدود المنيعة بينه وبين الارض . ومن يطلب لقمة يتبلغ بها فلا يجد اليها سبيلا سوى يد ممدودة ، وجفن كسير ، ولسان يكيل الدعاء بغير حساب !

« يا للفضيحة ان نستر خزينا وحيفنا وعارنا **بستار** واه من **فضيلة جرباء ندعوها الاحسان !**

« انما الحياة **حق من عل لا** صدقة من اسفل . وللبطيء فيها ، والكسيح ، والضرير ، والابرص ، مثل ما للسريع ، والقوي ، والمبصر ، والسليم » . (الاوثان)

«وعندما عدت من المهجر، جاءتني احدى القرويات مسلمة اعتذرت عن خشونة يدها بقولها : « يا عيب الشوم منك . دياتي مخشبرين » فأجبتها على الفور : « بل يا عيب الشوم منك . دياتي ناعمين » وعجبت لزمان تعتذر فيه اليد التي تعطي لليد التي تأخذ . (زاد المعاد)

ولا عرفت من قدس الانسان تقديسي له اذ جعلته كائنا يتفتح على الزمان عن آلة . ثم جعلت قيمته فوق كل ما في الارض من كنوز وخيرات ، لا فرق بين رضيع ويافع ، وبين شاب وأشيب ، او بين ذكر وأنثى . وانكرت على الناس ان يجعلوا تفاوتا فاضحا بين قيمة انسان وانسان . (قيمة الانسان في « صوت العالم »)

والواقع هو ان كتاباتي تدور جميعها حول الانسان ومشكلاته المادية والروحية . والذي يبدو لي هو ان الذين يعيبون علي ابتعادي عن الارض لم يقرأوا غير القليل مما كتبت . ولعلهم فهموه على غير منحاه . ومن الاكيد انهم لا يعرفون شيئا عن حياتي الخاصة . ولو عرفوا لوجدوني الصق منهم بالارض وابناء الارض . فأنا قروي وابن قروي وصوت الارض ابدا في اذني ، وعبيرها في انفي ، وحبها في دمي ، وابناؤها معي في كل حين .

ثم اذا نحن اعتبرنا مشكلات الناس الارضية ضروبا من الامراض ، واعتبرنا الادباء اطباء مطالبين بمعالجتها ، أفلا يحق لي ان « أشخص » المرض غير تشخيص زملائي ، وان اصف دواء غير الذي يصفون ؟

س ٤ ـ الى أي حد يستطيع الاديب في رأيكم ان يشارك في الحياة القومية لوطنه ؟

الجواب ـ الى أقصى الحدود . على ان تستأثر الحياة القومية بأفكاره ومشاعره فلا يجد لقلمه موضوعا سواها .

س ٥ ـ ألفتم بعض الكتب في اللغة الانكليزية ـ فهل تعتقدون ان طاقة التعبير باللغة العربية هي دونها في اللغة الاجنبية ؟

الجواب ـ ما ضاقت بي اللغة العربية وهي ما هي من رحابة الصدر . ولكنني أحببت ان أخرج بأدبنا الحديث من عزلته . لعل الاجنبي يعرف أن عندنا ما هو جدير باهتمامه . لقد أخذنا الكثير من الغرب ، وآن لنا ان نعطيه وان نتغلب على مركب النقص الذي نشعر به تجاهه .

س ٦ ـ هل تعتقدون ان جيل الادباء الشيوخ ما يزال قادرا على توجيه الادب العربي الحديث ؟

الجواب ـ ليس في الادب شيوخ وشباب . فهنالك كتاب وشعراء **رثت عظامهم منذ مئات السنين ، ولا يزال لهم تأثير بارز** في أدب هذا الجيل . انهم « شبان » اكثر من شبان اليوم . وهنالك من ادباء الشباب من باتوا شيوخا وهم لا يعلمون . والادب الذي يملك قوة التوجيه هو الادب الذي لا تسلبه السنون رونقه وقوته وجدته ، والذي يصمد لتقلبات الازياء البيانية ، سواء أجاء ذلك الادب من شيوخ اليوم أم من شبابه .

س ٧ ـ ما هي المآخذ التي تأخذونها على انتاج الادباء الشباب ؟

الجواب ـ أحب في أدب الشباب حماسته وانطلاقه ـ حتى واعتزازه بنفسه . ولست أحب استهتاره وعنجهيته فكأني به يريد ان يقول :

« انا الادب وكفى ! »

بسكنتا **ميخائيل نعيمه**

الجِسْر

(الى الايدي الخيرة التي تعطي بفرح ومحبة ، الى الاقلام الصلبة التي تمتد جسراً بين ماكان وبين ما يجب ان يكون .)

●

وَكَفاني أنَّ لي اطفالَ أترابي
ولي من حبّهم خمرٌ وزادْ ،
من حصادِ الحقلِ عندي ما كفاني
وكفاني أنَّ لي عيدَ الحصادْ ،
أنَّ لي عيداً وعيدْ
كلما ضوَّأَ في القريةِ مصباحٌ جديدْ
غير أني ما حملْتُ الوردَ للموتى
ولم احفلْ باعراسِ العبيدْ ،
طفلهم يولدُ خفّاشاً عجوزاً
أينَ منْ يفنْي ويُحيي ويُعيد
يتولّى خلقَهُ طفلاً جديدْ
غسلهُ بالزيتِ والكبريتِ
منْ نتنِ الصديدْ ،
اين منْ يفنْي ويُحيي ويُعيد
يتولّى خلقَ فرخِ النسرِ
منْ نسلِ العبيد .
. . . .
أنكرَ الطفلُ أباهُ ، أمّهُ . . .
ليسَ فيهِ منهما شبهٌ بعيد !
. . . .
ما لهُ ينشقّ فينا البيتُ بيتين

ويجْري البحرُ ما بينَ قديمٍ وجديدْ
صرخةٌ ،تمزيقُ ارحام ،وتقطيعُ وريدْ ،
كيفَ نبْقى تحتَ سقفٍ واحدٍ
وبحارٌ بيننا . . . سورٌ عنيدْ ؟
ومتى نطفرُ ، نشتدُّ ونبني
بيدينا بيتَنا الحرَّ الجديد ؟
. . . .
يعبرُونَ الجسرَ في الصبحِ خفافاً
أضلُعي امتدّتْ لهمْ جسراً وطيدْ
من كهوفِ الشرقِ ، من مستنقعِ
الشّرقِ
الى الشّرقِ الجديدْ
أضلعي امتدّتْ لهمْ جسراً وطيد .
. . . .
. . . .
« سوفَ يمْضُونَ وتبْقى
فارغَ الكفّينِ ، مصلُوباً ، وحيد
في ليالي الثّلجِ والافقُ رمادُ
ورمادُ النار ، والخبزُ رمادْ
جامدُ الدمعةِ في ليلِ السُّهادْ

وَيوافيكَ معَ الصبحِ البريد :
.. صفحةُ الأخبارِ .. كمْ تجترُّ ما فيها
تقلّبها .. تعيد .. !
سوفَ يمْضُونَ وتبْقى
فارغَ الكفّينِ ، مصلوباً ، وحيد . »
. . . .
اخرسي يا بومةً تقرعُ صدْري ،
بومةَ التاريخ مني ما تريد ؟
في صناديقي كنُوزٌ لا تبيد
فرحُ الأيدي التي أعطَتْ ،
وإيمانٌ وذكرى ،
إنَّ لي خمراً وجمْرا
إنَّ لي اطفالَ أترابي
ولي منْ حبّهم خمرٌ وزادْ
من حصادِ الحقلِ عندي ما كفاني
وكفاني أن لي عيدَ الحصادْ
يا معادَ الثلجِ لن أخشاكَ
لي جمرٌ وخمرٌ للمعادْ

كمبردج ــ انكلترا

خليل حاوي

قضية الشعر الجديد

بقلم ملاك عبد العزيز

ماذا نعني او يعني الناس حين يتحدثون عن الشعر الجديد ؟

ان احد شيوخ الادباء فى مصر ـ يؤيده غيره من الشيوخ ـ يدعى « ان دنيا العرب قد خلت منذ ذهب شوقي وحافظ وخليل مطران والزهاوي وعبد المطلب والجارم من الشعر الخليق باسمه ومعناه.. اما شعر المجودين فلا يصلح اكثره الا لتكملة صفحة ناقصة فى مجلة تحليه شجرة مهدلة الاغصان ، او بجانب فتاة عارية حتى من القمصان » ..

ومثل هذا الاديب الشيخ لا يرفع من قيمة شعر من ذكرهم من الشعراء احساسا منه بقيمته الحقيقية ، بل اعجابا بالقديم لقدمه اول الامر ، ثم اعجابا بالرصانة اللغوية والجزالة الشكلية التي امتاز بها أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، وامتازت بها حركة البعث الشعري التي بدأها فى مصر محمود سامي البارودي ، فارتفعت بالشعر العربي عن الركاكة والتفاهة واللعب بالالفاظ ، التي كانت صفته الغالية فى العهد التركي ، والتي نفضها عنه الشعر حين بدات الشعوب العربية تحس بقوميتها ، فأخذت تنزع الى ماضيها المجيد ، تحيي تاريخها وتراثها اللغوي .

مثل هذا الاديب الشيخ ينظر الى الجزالة اللفظية فحسب ، والا فكيف اسقط شعراء الجيل اللاحق من امثال ناجي وعلي محمود طه وشعراء المهجر والاخطل الصغير وغيرهم ، بينما شعرهم أكثر تعبيرا عن عوالم النفس وأكثر تجاوبا مع الاجيال اللاحقة ؟.. والا فأين الشعر فى نظم شاعر كالجارم ؟ .. لقد فتشت فى دواوينه الاربعة فلم اكد أجد شعرا الا قصيدة او قصيدتين فى رثاء ابنه وصديقه ، أما بقية الدواوين فقد كانت محشوة بتهنئات لا اول لها ولا آخر للملك الراحل فى اعياد جلوسه وميلاده وحله وترحاله . ليس فيها نفثة قلب او نداء روح او حيرة فكر او انطلاق وجدان .

وعبدالمطلب اراد ان يجدد فاتخذ سبيله الى «الامام علي» على متن طائرة بدلا من الناقة القلوص . اما الزهاوي فقد كان فى شعره نثر كثير . ومع ذلك فقد كان هو داعية تجديد بل لقد كتب بالفعل قصائد من الشعر المرسل المتحرر من القافية تحررا كاملا وان لم يصاحبه التوفيق . وهو القائل « ولا ارى للشعر قواعد ، بل هو فوق القواعد ، حر لا يتقيد بالسلاسل والاغلال . وهو اشبه بالاحياء فى اتباعه سنة النشوء والارتقاء ، يتجدد وأحر به ان يتجدد بحسب الزمان . » ذلك ما يقوله الزهاوي ...

على ان المتمسكين بالجزالة ينسون ان الحياة تتجدد وان اللغة تتجدد بتجدد الحياة ، وان الادب اليوم لم يعد ترفا يختص به نفر من الصفوة المنقطعين لمعاجم اللغة واضابيرها الصفراء ، بل اصبح غذاء حيويا لنفوس ابناء الشعب الذين انتشر بينهم التعليم بعد النهضة الحديثة فى البلاد العربية .

وتطور مفهوم الجمال فلم يعد للجزالة قيمة ذاتية تستغنى بها عن كل مدلول ، بل اصبح الجمال هو القدرة على التعبير الدقيق عن خلجات النفوس تعبيرا موحيا مؤثرا . وأصبح الشعر يتناول الاشياء الاليفة البسيطة بأسلوب يماثلها الفة وبساطة . أصبح يلتفت الى الشعب ، الى افراده العاديين البسطاء ، ويحس بآلامهم احساسا انسانيا صادرا عن القلب بعد ان كان يقف بأبواب الملوك والامراء والوزراء . لم يعد ينتظر حريقا كبيرا و حربا ضروسا او خلافة تتزعزع او اميرا يموت لكي يترنم بشعره ، وان كان لم يهمل احداث وطنه بل احداث الانسانية الكبرى .

أصبح الشاعر فى قصيدة كمال نشأت « لبيبة » يلتفت الى آلام طفل يتيم أقبل عليه العيد فى القرية ، وهو يستمع الى طفلة ، ابنة عم العمدة تتحدث عن فرحها وبهجتها :

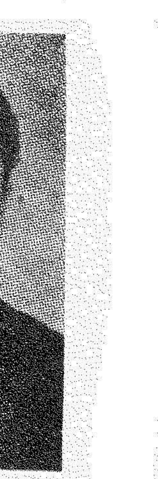
كنا فى الليل على البيدر … وجناح الليل بأيدينا
ولبيبة تسرد رحلتها … لأخيها الساكن ادفينا
ونقيق الضفدع فى السمع … وهديل حمام الابراج
موسيقى بين جوانحنا … تهتز مع الليل الساجي
همست فى صوت لونه … فرح الاطيار على الشجره :
«العيد صباح الاثنين … اني للعيد لمنتظره
سأطوف أطوف مع الركب … لنهنىء حكام البلده
فأبي في العيد سيصحبني … أو ليس ابي عم العمدة
وأخي سيجيء ويمنحني … ثوبا فى لون البرسيم
وفطيرا يصنع فى البندر … والتمر والتمر الابريمي »
فتجعد وجه محتقن … وتململ فوق الاوراق
هو عيسى يتيم نعرفه … هو عيسى ربيب الحلاق
قد فر ليخفي دمعته … والليل كهمس الغريد
فضحكنا منه .. ورجعنا … لحديث لبيبة في العيد

بتلك الخفة والبساطة المؤثرة والتي تناسب الحديث عن الاطفال يصور الشاعر فرح طفلة قروية والم طفل يتيم ويهز ضمائرنا نحوه ونحو امثاله ، فى غير صخب او ضجيج ، ويلومنا على اغفال

« ان الشعر الجديد روائعه وسقطاته . وكل ما نرجوه ممن يهاجمونه او ينكرونه من الشيوخ ان يدركوا انه قد كتب لجيل غير جيلهم ، تأثر والفعل بغير ما تأثروا به هم او انفعلوا ، فاذا نظروا اليه بتلك العين السمحة ، فلن تبقى ثمة خصومة بين الشباب والشيوخ » .



كمال عبد الحليم



كمال نشأت



محمد العنتيل

شأنه حين يقول :

فضحكنا منه ورجعنا لحديث لبيبة في العيد

انه يدعونا الى التكافل الاجتماعي والى محبة المستضعفين ولكن بغير تلك الخطب المنبرية الجوفاء التي تعبر الأسماع ولا تصل الى القلوب . وهو حين يصور جو القرية لا يذكر تغريد البلابل التي لا نعرفها في مصر ولا النسيم العليل أو الماء السلسبيل ، بل يذكر أبراج الحمام المنتشرة في قرانا ، ونقيق الضفادع التي هي نغم حي من موسيقى ريفنا الجميل . والثوب الاخضر ليس من لون السندس الذي لا نعرفه ، بل من لون البرسيم الندي الذي نألفه ويحمل الى نفوسنا صدى مباشرا . ثم ان الصور التقليدية القديمة قد ألفنا سماعها وتكرارها من الشعر القديم بحيث لم تعد تهز نفوسنا هزة الجديد ، اذ أصبحت في نظرنا مجازات ميتة بهت منها ألق الصورة الحية من فرط ما استخدمت ، فلم نعد نرى فيها الصورة المعبرة الموحية ، بل المعنى التقريري المجرد .

نعم ، لقد ظهر الشعر المهموس في الادب الجديد ، ولم يعد قاصرا على بعض شعراء المهجر . لقد كانوا هم بحق أساتذته ، تأثر بهم الجيل الجديد من الشعراء ، فكم من قصيدة في الادب المعاصر تجد فيها أصداء من ميخائيل نعيمه أو نسيب عريضه او ايليا أبي ماضي . ولكنهم تأثروا أيضا بألوان من الادب الغربي .

نعم ، لقد ظهر الادب المهموس ، ولكن بتيارين مختلفين ، ذلك التيار الذي يضيف الى النغم الاليف الصور الحية المجسمة ، وهو أقرب الى الشعر المهجري ، وذلك الذي يجنح الى السذاجة والبساطة والعذوبة والمحبة، ويتخذ جماله من الصورة الكلية والمغزى العام، وهو اقرب الى الشعر العامي .

لقد تنوعت نغمات الشعر الجديد ، ولم تعد نغما واحدا ألفته الآذان حتى مجّته . فالشعر التقليدي واحد النغم لانه يقلد شيئا واحدا . وأكثره لا ينبعث من القلب بل من الصنعة الجوفاء . ان المرء قد يختلف في الدرجة ولكن لا يختلف في النوع . ليست لديه سوى نغمة واحدة يجود فيها العرض الفني او يسوء . فالحركات التجديدية في الشعر التقليدي كانت دائما حركات تجديد في الزخرف لا في الجوهر ، حتى لقد لمس ذلك بعض نقاد العرب القدامى كما سبق أن اشار الدكتور مندور . ولكن الشعر الجديد يتنوع في النغم .

هناك النغم العاصف العتي الذي يساوق الثورات التي تشتعل اليوم في ربوع الامة العربية وان كان لا يجنح الى التقرير الخطابي القديم بل يستعين بالصور الحية المنفعلة المتدافعة فيزيد النغم العاصف ثراء على ثراء .

هذا النغم يتردد لدى الشاعر الفلسطيني معين بسيسو والشاعرين المصريين الفيتوري وكمال عبد الحليم والشاعر اللبناني عاطف كرم ، والشاعر السوداني ربيب مصر تاج السر الحسن ، وغيرهم .

استمعوا الى صوت معين بسيسو في قصيدته «تحدي» :

أنا لا أخاف من السلاسل فاربطوني بالسلاسل
من عاش في ارض الزلازل لا يخاف من الزلازل
لمن المشانق تنصبون لمن تشدون المفاصل
لن تطفئوا مهما نفختم في الدجى هذي المشاعل
الشعب أوقدها وسار بها قوافل في قوافل
قد أقسموا والشمس ترخي فوقهم حمر الضفائر
ان يطردوا من ارضنا الخضراء تجار المقابر
ويجردوا التاريخ من قلم المغامر والمقامر
فنحقق الوطن الكبير لنا ونزرعه منائر

وهناك الحيوية الطافرة في التعبير والحوار تتجلى في شعر نزار قباني وتلك الالفاظ المشحونة باللون والعاطفة والاناقة الرشيقة :

من حرجنا الدروز شوحا
سقف منزلنا اختفى
حرسته خمس صنوبرات
فانزوى وتصوفا
نسج الثلوج عباءة
لبس الزوابع معطفا

وبدخنة من غزل مغزله
اكتسى وتلفلفا
الطيب بعض حدوده
أتريد ان لا يعرفا
وحدود بيتي غيمة
عبرت وجنح رفرفا

وهناك النغم الذي يمتاز بالعذوبة والرقة ، ويعشق الطبيعة ويتنسم عبير ارضها ويمزجه بعبير الحب ، في وحدة شعرية خفيفة مجنحة مثل شعر فدوى طوقان وفوزي العنتيل . استمع اليه يقول :

سكب الربيع نداءه المشتاق في أحنائيه
فحملت افراح الطفولة في ذراعي العاربه
مترنما متوثبا ... أعدو وراء الرابيه
كالنحلة الحمراء تلثفها خمور الداليه
فتظل تهذي أو تثرثر للزهور الحانيه
زنارها لهب ... وعيناها ورود قانيه

وهناك النغم الوادع الهادىء ، النغم المهموس المفعم بالانسانية والمحبة والحنان ، ولكنه ينفذ الى قلبك بصدقه وبساطته ، ورهافته والفته ، فيحرك منه اخفى الاوتار . هذا النغم نجده عند عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور وكمال نشأت وجيلي عبد الرحمن . وهو يتخذ جماله من الصورة الكلية المؤثرة لا من الابداع الجزئي في كل فقرة .

وبعض النقاد الذين ينظرون الى الشعر الجديد نظرتهم الى الشعر التقليدي يصفون مثل هذا الشعر بالنثرية اذ ينظرون الى كل سطر منه على حدة منتزعا من بنية القصيدة الكلية ، ثم يقولون أين الجمال أين الشعر اذا لم يجدوا صورا جزئية رائعة او تعبيرا ذا رنين . ونسوا ان القصيدة الجديدة أصبحت بنية حية لا يمكن الحكم على جزء منها منفصلا عن سائرها . فكما لا يمكن الحكم على صورة أو لوحة بانتزاع جزء منها والنظر اليه على حدة فكذلك لا يمكن الحكم على مثل تلك القصائد بمثل هذه الطريقة . فالجمال يبدو في الانسجام بين اجزاء اللوحة وترابطها ومن تناغم الالوان وايحائها ، النافذ بالهدف الذي ترمي اليه .

فعبد الرحمن الشرقاوي في قصيدته الموجهة الى الرئيس ترومان يدعوه فيها الى انتهاج سبيل السلام ـ يتحدث عن طفلته فيقول :

فدعني أقل لك اني أب ... أب لسن غير
وأنت أب ... وكلانا حنون
سوى ان بي رقة للبنين
ولي طفلة كائتلاق الصباح
كحلم الربيع كهمس القبل
كنوارة في اخضرار الحقول
ينفنغ في شفتيها الامل
تحاول جاهدة أن تسير ، وكانت لعهدي لم تقعد
فحينا تلوذ الى حائط ، فان لم تجد فالى مقعد
فان لم تجد وقفت لحظة لتضرب ما حولها باليد
ويا ربما رنحتها الخطا ... ويا طالما وقعت ضاحكه
لتنهض عازمة من جديد ، كذلك تمضي بنا المعركه
تدربها عثرات الطريق وتدفعها خبرة التجربه

ثم يضيف :

ولست أريد لها أن تموت .. فرفقا وأنت تخط المصير
أترمي حماماتنا بالنسور ؟
معاذ الابوة يا سيدي .. فأنت أب وكلانا حنون .
ألست تصون حياة ابنتك ؟
فهل تصنع الموت للاخريات ؟
واني لأدعوك باسم الابوة باسم الحياة وباسم الصغار
لتعقد حلفا يصون السلام ويرعى المودات بين الكبار
فأنت أب قد صنعت الحياة ولن تصنع الموت بعد الحياه

فلو اننا انتزعنا مثل هذا السطر :

تحاول جاهدة ان تسير وكانت لعهدي لم تقعد

لنرى أي نوع من الجمال يكمن فيه فلن نجد شيئا ، وسنقول مع النقاد التقليديين انه نثر لا شعر فيه . ولكنه في الحقيقة ليس سوى بقعة من اللون في اللوحة الكبيرة المعبرة. ان تجسيم صورة الطفلة امامنا وهي تحاول المشي تستند الى حائط تارة وتضرب الهواء حولها تارة اخرى ثم تتعثر وتنهض ، هذه اللمسات الجزئية البسيطة التي خلت من الضجيج والالوان الباهرة ـ قد جعلت صورة الطفولة تتجسم امامنا ، وجعلت تذكرنا بأطفالنا الذين نحبهم والذين مروا بتلك التجربة ، وتثير في قلوبنا المحبة والحنان، بحيث نؤمن مع الشاعر بالهدف الذي قصد اليه وهو الدعوة للسلام لنجنب اطفالنا قسوة الحروب ومرارتها .

ان الخيط جد دقيق بين البساطة والنثرية . ولكن لا ينبغي ان نطلق هذه على تلك الا في حالات خاصة حين يخلو الشعر من صورة كلية

عاطف كرم



محي الدين فارس





محمد الفيتوري

مؤثرة أو صور جزئية مشحونة بالابداع الفني ، او اذا خلا من العاطفة النافذة التي تسري في ثناياه وتعدي قارئه ، وان لم يكن الامساك بها في صورة كلية او جزئية بل في طريقة نظم الكلمات كما قال عبد القاهر الجرجاني ، الناقد القديم ، حين أراد أن يضع يده على سر اعجاز القرآن . قد نجد هذه العاطفة في تقديم او تأخير ، في استفهام أو تعجب وفي كل تلك الطرق النفسية البلاغية التي تحفل بها وسائل التعبير .

نعم ان النثرية تهمة كبرى تلصق بالشعر الجديد . وليس معنى ذلك انه ليس هناك شعر نثري جديد — ان جاز هذا التعبير — ولكن مثل هذا الشعر كان موجودا دائما في القديم والجديد على السواء . كان هناك دائما النظم الى جانب الشعر ، والزمن وحده هو الكفيل بالتعفية على آثاره. على ان للنقد دوره في هذا الامر لانه يستطيع ان يميز الخبيث من الطيب ، وان يرشد الناشئين الى ما ينبغي احتذاؤه او اجتنابه . اما انكار الشعر الجديد جملة فلن يفيد الشعر شيئا ، اذ سيحتمي الخبيث بظل الطيب ، ويستر سوءاته في ردائه ، فلا يمكن الكشف عنها او التنبيه اليها .

ثم هناك الشعر الذي يتسربل بوشاح من الظلال والاسرار وينقل اليك الجو الذي في نفس الشاعر اكثر مما ينقل المعنى الواضح المحدد ، كبعض شعر نازك الملائكة في ديوانها الثاني والكثير من شعر عبد الوهاب البياتي.

واخيرا فهناك ذلك النغم الذي يمتزج بين الشعر الصافي وجمال الطبيعة ورقتها وبين المشاكل الانسانية الكبرى ، كمشكلة السلام والاستعمار واضطهاد الزنوج ، في صوت انساني مليء بالمحبة والحنان ، وينحت صوره من محجر الانسانية البكر ، من طفولة القلب الذي يرى الطيوف ويقتنص الالوان وتتجسد امامه الرؤى والاشباح كشعر محي الدين فارس . استمع اليه في قصيدة « السلام الاخضر » :

انظري
أصابع الفجر على شباكنا المنور
قد نمنمت ستارة من نسجها الشجر
واستيقظت جاراتنا الاطيار عند الشجر
تصغي الى حديثنا المنغوم في تستر .
وهذه الشمس على ذوائب الخميله
أرخت ضفائر السنى جديلة جديله
حبيبتي حبيبتي ، يا أخت قلبي الشاعر
سوقي معي الرياح عن درب الحياة الاخضر
مدي معي يديك نقطف زهرات السوسن ،
ومن دروب العوسج
خوضي معي خوضي الى ضفاف الوهج
سنغرس الدرب غدا بالفل والبنفسج
الى هنا أرسم لوحات السلام الاخضر
ليصبح الوجود غنوة تموج بالعبير
ليهمس الغدير للغدير
لتصدح الطيور للطيور
لتلتقي الدموع بالدموع والجراح بالجراح
ليلتقي الانسان بالانسان في عناق
وفي ربى افريقيه
وفي ليالي آسيه
فلا تئن راعيه
ولا تنوح ساقيه
وطفلتي فراشة تمرح فوق الرابيه .



نازك الملائكة

نعم ، لقد اصبح الشعر الحديث يتحدث عن السياسة بعد ان صمت عنها الجيل السابق جيل ابراهيم ناجي وجماعة ابوللو والاخطل الصغير . ولكنهم لم يعودوا يتحدثون عنها بنفس الطريقة التقريرية التي كان يتحدث بها جيل شوقي وحافظ والزهاوي . لقد اصبحوا يمزجونها بتجاربهم الشخصية وروابطهم الانسانية الوثيقة لا بالمعاني المجردة التي لا تصل الى اغوار القلوب ، في اسلوب قصصي يجسم المآسي وينفذ الى القلوب ، كتلك القصيدة الرائعة لهارون هاشم رشيد بعنوان « قصة » يصف فيها طفلا فلسطينيا قتل اليهود اباه المجاهد الشهيد ثم قتلوا امه امام عينيه ، ثم عقبوا بحرق القرية كلها :

ومشى الجند ... مشوا من فوق امي
وأنا اصرخ من رعب ومن بؤس ملم
وتكاد الخيل أن تدفن فوق الدرب جسمي
غير أن العمدة المسكين يحميني ، ويهتز ليتمي
واجتمعنا خارج القرية في سفح الجبل
وبدت قدامنا قريتنا نبع الامل
تأكل النار نواحيها وتجتاح القلل
ورأينا بيتنا المحبوب في النار اشتعل
من هنا قد بدأت مأساة عمري
بدأت قصة آلامي واحقادي وثأري
من هنا قد شبت النيران في أعماق صدري
وتعلمت لماذا حفر الجلاد قبري .

أو تلك القصيدة الاخرى « مع الغرباء » التي تترنم بها

الشادية اللبنانية فيروز بصوتها الحنون الذي يتغلغل الى ابعد اعماق النفوس .

ومثلها قصيدة نزار قباني « راشيل روزنبرج » ، وغيرها من قصائد عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور وبعض قصائد فوى طوقان .

وقد يعمدون الى الحماسة فى الحديث عن المشاكل السياسية ولكن دون ان يتخلوا عن التعبير بالصور المتدافعة الذي هو احد المميزات التي تفرق بين القديم والجديد .

لم يعد الشعر السياسي تعليقا على الاخبار كما كان الشأن من قبل ، فقد كانوا يقولون: ما تكاد الحادثة تقع حتى نجد شوقي قد نظمها قصيدة تنشر فى اليوم التالي .

لم يعد الشعر ينتظر الاحداث ليعلق عليها ، بل اصبح يبشر بها ويدعو اليها . أصبح رائدا لا تابعا . والرائد يشق الطريق ، ويستمسك بالرأي ، لا يتلون او يهادن تملقا لحاكم او خوفا من سلطان او ايثارا لعافية .

وما كان للشعر من قبل مثل هذا الدور . لقد كان شوقي يرثي للخليفة العثماني المخلوع ويمدح جمعية تركيا الفتاة التي خلعته قضاء على الاستبداد والطغيان ـ يفعل كل ذلك فى قصيدة واحدة . وكان يتابع الملوك : ان لاينوا الانكليز لاينهم وان غاضبوهم غاضبهم .

وكان حافظ شاعر النيل يخاطب الانكليز فى تردد وخنوع اثر حادث دنشواي الشهير :

أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو أنفوسا أصبتمو أم جمادا

كان ذلك الجيل جيلا مترددا حائرا ، لم تكن له ثقة كاملة بنفسه وبشعبه وبالمثل العليا التي قد يرددها فى بعض شعره . كان ينظر الى الشعب المتفتح بعين ، والى الطغاة بعين .

ولكن صلاح عبد الصبور الشاعر الشاب جعل من زهران ـ احد قتلى دنشواي ـ اسطورة تعرفها شعوب العرب . جعل منه نصبا للذكرى ... رمزا حيا لظلم الاستعمار ، وطغيانه .

والشاعر المصري الشاب كمال عبد الحليم يبشر للثورة قبل ان تقع الثورة :

يا رفاق الشقاء هل من مريد
لنزوح الى بلاد بعيده
حيث تحت السماء قوت وستر
وحياة يقال عنها سعيده

وكان وهو فى السجن يدعو الشعب الى ان يقاوم المعاهدة التي اراد الجلاد صدقي باشا ان يكبل بها شعب مصر سنة ١٩٤٦ :

ايها الشعب تمرد افلا تبصر قبرك
ها هو الحفار قد اوشك ان ينهي امرك

وهارون هاشم رشيد يبشر بعودة اللاجئين ، عودة الغرباء :

فيصرخ سوف نرجعه
سنرجع ذلك الوطنا
فلن نرضى له بدلا
ولن نرضى له ثمنا
لنا أمل سيدفعنا
اذا ما لوح الثأر
فصبرا يا ابنتي صبرا
غداة غد لنا النصر



فدوى طوقان

نعم ان شعراء اليوم يخوضون المعارك بأنفسهم ، عرفوا السجن والنفي والتشريد ، ولذلك فشعرهم منبثق من صميم المعركة ، شعر حياة وتجربة لا شعر صناعة وزخرف . لم يعودوا يتفرجون على التاريخ بل اصبحوا يشاركون فى صنعه .

بقيت قضية الموسيقى في الشعر الجديد .

ان بعض النقاد يوحون بأن التمسك بالشكل القديم للقصيدة العربية أو للبيت الشعري الكامل التفاعيل ، أو للقوافى المطردة اطرادا كاملا او جزئيا ـ يوحون بأن مثل هذا التمسك رذيلة تحد من حرية الشاعر ، وتقتل قدرته على التعبير عن عوالم النفس والحس اللانهائية الاغوار ، بينما يرى آخرون ان اطراحها هو الرذيلة بعينها ، وهو النزول بالشعر العربي فى مهاوي الموسيقى الساقطة ، فأيهم على حق وأيهم أحق بالاتباع ؟

الواقع ان الشعر المتحرر من التزام البيت الكامل وحدة للقصيدة انما ينبغي ان ينظر اليه باعتباره مكملا لأنغام الشعر القديمة ومعبرا عن جوانب من النفس لم تكن بمستطيعة ان تصل اليها . وهو بذلك لا يلغيه بل يكمله . فعوالم النفس لا حد لأغوارها واسرارها . فالشكل الجديد بما له من قدرة اوسع على تطويع النغمات وتنويعها قد يستطيع ان يعبر عن بعض الظلال والالوان التي قد تعجز عنها الطريقة التقليدية .



نزار قباني

ولكن ليس معنى ذلك ان يقسر الشاعر نفسه على اتباع طريقة بعينها كما يفعل بعض الشباب احيانا ، فيأتي شعرهم مهشما عاطلا من العاطفة الصادقة والتعبير المؤثر . المهم ان يستجيب الشاعر الى نداء نفسه فيتخذ النغم الذي يعبر عنها تعبيرا دقيقا . فالموسيقى هي العنصر الوحيد فى الشعر الذي تخلص تخلصا كاملا من تحكم العناصر العقلية الملازمة للتعبير اللغوي ، واصبح فيضا او تعبيراً مباشرا عن عواطف النفس . فاذا تدخل فيها عنصر الارادة والافتعال فقدت قيمتها فى حمل الشحنة العاطفية التلقائية التي كثيرا ما تعجز عن حملها

اما التزام القافية او تنويعها او التخلي عنها ، فالحكم فى ذلك كمال القدرة على استخدامها أو كمال القدرة على الاستغناء عنها . فالقدرة على استخدامها فى حاجة الى غنى الثروة اللغوية التي يستخدمها الشاعر ، ثم قدرته على الاختيار الدقيق بحيث لا تأتي القافية قلقة او نافرة او مجتلبة . والقدرة على الاستغناء عنها كليا او جزئيا فى حاجة الى اذن موسيقية اشد ارهافا ، لكي تقيم النغم وتحقق الانسجام الصوتي بغير الاداة المألوفة . وكذلك الامر في استخدام التفعيلة وحدة للقصيدة . انه اكثر مشقة لمن أراد ان يكتب شعرا في مستوى فني رفيع يحتفظ بما ينبغي للشعر من موسيقى منسجمة متكاملة . فعلى الشاعر ان يقيم النغم بين كل سطر وما يسبقه وما يليه بينما كان شاعر الطريقة القديمة يكتفي بأن يعثر على البحر المعبر فى نفسه حتى يسير بعد ذلك فى سبيل مطروقة . والى ان يظهر بيننا « خليل » جديد يضع قواعد « للهارموني » أو للانسجام الواجب توافره في الانتقال من سطر لسطر يخالفه في الطول أو من وزن لوزن يخالفه فى النغم ، ويحدد انواع الاوزان التي يجوز الانتقال بينها فى القصيدة الواحدة ، أو الى أن يكثر الشعر الجيد المكتوب بالطريقة الجديدة كثرة كافية ، بحيث يصبح نماذج تستقر نغماتها فى نفوس الناشئين بغير حاجة الى قواعد أو أصول — الى ان يحدث هذا ، على الشباب ان يحذروا الالتجاء الى تلك الطريقة الجديدة دون اتقان لوسائلها ، ودون ان تكون منبعثة عن دافع نفسي بل عن مجرد التقليد او التأثر بأقوال بعض النقاد غير الشعراء. فالموسيقى عنصر اساسي فى الشعر لا يجوز الاستغناء عنه او الترخص فيه اذ انها تعبر عن طاقة عاطفية أعتى وأعمق من تلك التي يعبر عنها النثر ، بل اننا لنلاحظ ان النثر الجيد له موسيقى وان كانت أقل طبقة من موسيقى الشعر ، وكلما زادت حرارة العاطفة فيه زاد استشعار النفس لموسيقاه .

والعنصر الموسيقي فى الشعر ليس قيدا .. انه ضرورة للتنفيس عن تلك الطاقة العاطفية الكبرى التي تحفز الى قوله . والشاعر الحق القوي العاطفة لا يضيق بها ، بل على العكس يراها اداته الكبرى لاخراج ما بنفسه ، كالشاب المملوء قوة وفتوة ، وحيوية فياضة ، لا تكفيه نزهة هادئة فى سهل منبسط ، بل تراه يبحث عن الحركة العنيفة فى تسلق جبل او مجالدة امواج أو عدو سريع او مصارعة خشنة لينفس عن قواه المحتبسة ودوافعه المكبوتة .

وأخيرا فللشعر الجديد روائعه وسقطاته ، وكل ما نرجوه ممن يهاجمونه او ينكرونه من الشيوخ ان يدركوا انه قد كتب لجيل غير جيلهم ، تأثر وانفعل بغير ما تأثروا به هم او انفعلوا ، فاذا نظروا اليه بتلك العين السمحة فلن تبقى ثمة خصومة بين الشباب والشيوخ . ★

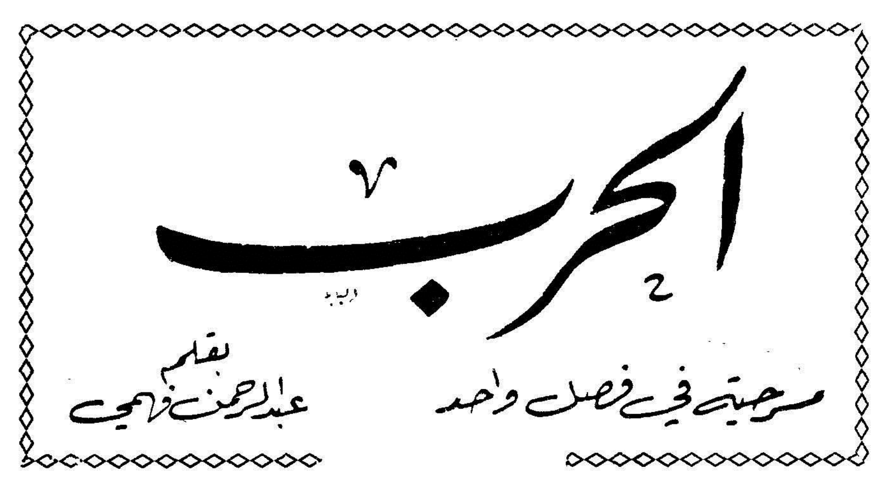
ملك عبد العزيز

(★) محاضرة القيت فى بيروت بدعوة من هيئة المحاضرات العامة فى كلية المقاصد الاسلامية .

رسم في خندق جزائري

على السلاح قبضتي الحـديدْ
وحول جنبيكِ تطوف الثانيه
فراشةً وادعة حانيه
ونظرةٌ الى المدى البعيد
ونظرةٌ في طرفك الشرودْ ،
تهيم ، يا فضائيَ النقي
طرفك ، يا سراجيَ الصبي
يا نجمتي
في الليل ، يا مدفأتي
عبر فصول الثلج ، يا نافذتي
على روابي غدنا البهي
★★★
لو تعلمين اننا هناك
في غابة لا تعرف الضياء
واننا لا نلمح الربيع
عامان مرّا لم نرَ الرّبيع
ولم نرَ النهار
عامان مرّا والمدى جدار
امامنا ، من الدجى ، جدار
وحـولنا مواسم الصقيع
في غابة خواء .
★★★
لو تعلمين أنّنا هناك
لا نسمع الغناء
ـ يا طائري الوديع ـ
الاّ من الذئاب والغزاه
احفاد « جن درك » الفرنسيّه
يا خجلة الدماء ..
ووارثي الاحرف الوضاء
ـ فأي سخريّه ! ـ
عن ثورة بالنار مرويه
لتحرق البوار والموات
وتلقف النعمى المجانيه
ومبدأ القطيع
وتلهب الايدي الربيعيه
فيورق الانسان والحياه ..
★★★
لو تعلمين كنت تدركين
اي دنى تبعثها العيون
في خندقي وحوليَ الرفاق
اليك يرمقون
فيلمحون فيك ، يلمحون
أحبّة رقاق ..
مثلك في الوفاء
مثلك في السماح والفداء
احبة بالنار يحبكون
والقطن يحبكون
الدرب والحقول للضياء
للطيب والغناء
والقمح والكتاب والصفاء
★★★
انا هنا وانت ، والرفاق
كما يحط الحلم يلمسون
جيوبهم ... فتضحك العيون
وتعصر الاصابع الزناد ...
انا هنا مثلك في العطاء
انا هنا في الغابة الخواء ..
وحوليَ الجليد والظلام
في خندقي تمضغني الرطوبه
ويعبث الصقيع في العظام ...
لكنّ بي ، من لهب العروبه ...
من شوقيَ الجديد للحياه
من رسمك المجاور الفؤاد ،
ما يهزم الغزاه
ويقهر الظلام والوباء ..
ويصنع الحياة والسلام
لارضنا الجريحة الحبيبه

بيروت ـ حبيب صادق



(جاء فى الانباء ان صفارات الانذار انطلقت فى احدى عواصم أوروبا لخلل أصابها فأصاب الناس فزع، وأسرعوا الى المخابيء واصيب بعضهم بانهيار عصبي فى الشوارع)

المنظر : حجرة مكتب في منزل بول ، وهو وزير في احدى دول شمال أوروبا . تستطيع ان تتخيل الاثاث الذي تراه مناسبا ، ولكن يعنينا وجود تلفون على المكتب ، ومدفأة مطفأة في ركن الحجرة .

الوقت : بعد الظهر بقليل ، يمكن تحديده بساعة حائط

(يرفع الستار على الحجرة خالية ، ثم يفتح باب في الصدر فيدخل كبير الخدم في ثياب رسمية وخلفه رجل عجوز قصير القامة يرتدي ثيابا خاصة بعمال شركة التليفون . يتنحى الخادم فيسير عامل التليفون الى المكتب في خطوات ثقيلة لها وقع مسموع . يرفع سماعة التليفون ويدير رقما) .

العامل ـ هللو ..! هللو ..! نعم ..؟! .. حسن ..!

(يضع السماعة ويخرج في نفس الخطوات الثقيلة ، كبير الخدم يخرج خلفه ثم يعود بعد لحظة ويأخذ في ترتيب بعض المجلات على مائدة صغيرة وهو يصفر بفمه . يمسك احدى المجلات وينطلع الى صورة الغلاف باهتمام ، ثم يفتح المجلة ويبدأ في القراءة . تدخل مدام روبير أم الوزير ، وهي سيدة جاوزت الستين مشلولة ، تتحرك بمقعد ذي عجلات يدفعه خادم في الخمسين تقريبا)

مدام روبير ـ (لكبير الخدم) ألم يعد بول بعد ..؟

الخادم ـ كلا يا سيدتي .. صاحب السعادة ربما يتأخر اليوم .. قرأت في الصحف انه سيجتمع بسفير انجلترا ..!

مدام روبير ـ وكريستين ..؟

الخادم ـ خرجت السيدة لتتفرج على المعرض الجديد في صحبة السيد ولفريد ..!

مدام روبير ـ (بضيق) ولفريد ..!! ومعهما الصغير انطوان بالطبع ..؟!

الخادم ـ كلا يا سيدتي .. السيد الصغير يلعب في الحديقة ..!

مدام روبير ـ في هذا البرد الشديد ..؟ (تشير لخادمها فيدفع بالمقعد الى جوار المدفأة) لماذا لم تشعل المدفأة ..؟

الخادم ـ قيود الوقود الجديدة يا سيدتي .. لن نشعلها الا ساعتين في المساء ..!

مدام روبير ـ وأموت انا من البرد .. أليس كذلك ؟!

الخادم ـ (يهز كتفيه) انها تعليمات الحكومة يا سيدتي ! (يعيد النظر الى صورة الغلاف في المجلة ثم يضعها مكانها) .

مدام روبير ـ ما هذه المجلة !.. عدد جديد ؟!..

الخادم ـ نعم يا سيدتي .. فيه مقال عن ناصر !.. (يمد يده بالمجلة اليها)

مدام روبير ـ أعطها لجورج .. (تشير الى خادمها) لم أعد قادرة على قراءة الحروف الصغيرة .. أو .. انتظر .. دعني أرى صورة ناصر .. (تأخذ المجلة وتنظر الى الصورة ثم تقرأ ما تحتها) ناصر أنقذ العالم من الحرب الثالثة . (تفتح المجلة وتنظر قليلا في احدى الصفحات ثم تناولها لخادمها) اقرأ لي هذا المقال يا جورج ..!

جورج ـ (يقرأ) لا يسع المراقب للاحداث الدولية الخطيرة الا ان يسجل موقف الرئيس ناصر من قرارات الامم المتحدة . فقد كان مستقبل العالم معلقا بكلمة منه . وكان يستطيع ان يقولها فتشتعل نيران الحرب العالمية ، وتدخل الحضارة الحديثة فرنا ذريا يكون فيه القضاء على كل ما احرزته من تقدم واكتشافات علمية ..

مدام روبير ـ (مقاطعة) وملايين الارواح التي ستأكلها الحرب ..؟! الا يعدونها من الخسائر ؟ لقد فقدت ولدي روبرت في الحرب العالمية الاولى .. وكدت أفقد ولدي بول في الحرب الثانية.. عندما أخذه الجستابو ..

جورج ـ وانا يا سيدتي فقدت ولدا في الحرب الماضية ..

مدام روبير ـ نعم .. انني أعلم ذلك يا جورج !..

كبير الخدم ـ هذه الحرب التي يريدون اشعالها ... لا افهم لها سببا يا سيدتي ..!.. لقد قرأت خطبة سيدي بول فى هيئة الامم.. وقرأتها مرتين .. ومع ذلك لم افهم لماذا يريد اشعال الحرب!!.

مدام روبير ـ (فى غضب) انه ولد شقي ..!.. أنسي أخاه روبرت ..؟.. لقد افسده اصدقاؤه الجدد من اصحاب الملايين

جورج ـ واصحاب الطائرات الخاصة ايضا ..!

كبير الخدم ـ فى الحق يا سيدتي انني لا افهم لماذا يقتني امثال السيد ولفريد .. والكونت ميشيل .. طائرات خاصة .. بينما ولدي لويس مثلا يقطع نصف ميل على قدميه الى المدرسة ؟...

مدام روبير ـ لويس ولدك ..؟.. كم عمره الآن ..؟!

كبير الخدم – اثنا عشر عاما .. انه في عمر السيد انطوان .. (يبتسم في رقة) وعفريت ايضا يا سيدتي ..!

مدام روبير – مثله ..؟. كلهم كذلك في هذه السن ..!.. أما زال أنطوان في الحديقة ..؟.. قل له يدخل البيت .. فالبرد شديد ..!

كبير الخدم – حاولت يا سيدتي اكثر من مرة .. ولكنه رفض !..

مدام روبير – رفض ..؟!

كبير الخدم – أجل يا سيدتي (يبتسم) قال انه يطارد الرجل الذري ..!

مدام روبير – حسن .. سأذهب اليه بنفسي ، خذني اليه يا جورج ... العفريت ..!.. سيؤذي صحته في هذا البرد ..! (يدفع جورج مقعدها الى باب جانبي يطل على الحديقة .. يسمع صوتها من الخارج منادية على انطوان – يفتح باب الصدر ويدخل عامل التليفون .. يتقدم الى المكتب ويرفع سماعة التلفون ويدير رقما ، ثم يضع السماعة ويتجه نحو الباب خارجا)...

كبير الخدم – هل انتهيت من عملك ..؟

(عامل التليفون ينظر اليه في صمت .. ثم يخرج لسانه في تحد ويخرج من الباب . كبير الخدم يشيعه في حنق . تدخل مدام روبير وجورج من الباب الجانبي . وخلفهما انطوان في ملابس رعاة البقار وفي يده لعبة على هيئة مسدس . يجري نحو كبير الخدم مصوبا المسدس الى صدره) .

كبير الخدم – (مبتسا) آه ... لماذا قتلتني ايها الفارس الشجاع ..؟ ... قتلته برصاصة واحدة !..

كبير الخدم – (مبتسما) آه ... لماذا قتلتني ايها الفارس الشجاع ..؟

انطوان – لماذا قتلتك ..؟.. كما يفعل راندولف سكوت .. (يجري نحو باب الحديقة)

مدام روبير – (صائحة به) انطوان ..!.. تعال هنا ..!.. قلت لك لا تخرج الى الحديقة ..!

انطوان – (يقف ويقول محتجا) الرجل الذري قادم يا جدتي .. وسأنتظره خلف الاشجار لاقتله !..

مدام روبير – اهمد يا ولد ... اذهب الى غرفتك (لكبير الخدم) خذه الى غرفته .. ولا تدعه يخرج الى الحديقة ... (يتذمر انطوان ولكنه يطيع ويخرج من باب الصدر وخلفه كبير الخدم)

مدام روبير – جيل من العفاريت .. يلعبون بالمسدسات بدلا من العرائس.! ... اين المجلة يا جورج ..؟.. اقرأ لي بقية المقال ..

جورج – (يفتح المجلة ويقرأ) والحرب القادمة ستجلب الدمار على المنتصر وعلى المهزوم معا . واولئك الذين يقومون بمغامرات عسكرية انما يعرضون العالم كله للخطر . وهذه الحقيقة لم يدركها وزيرنا بول عندما وقف في هيئة الامم منذ اسبوعين .. (يدخل الوزير بول .. متعبا .. على وجهه ضيق وفتور)

بول – ماذا تقول عني لامي يا جورج ..؟

جورج – (ينحني في اعتذار) يا صاحب السعادة .. انما كنت اقرأ لها مقالا ..

بول – عني ..؟

مدام روبير – بل عن ناصر ..!

الا عن هذا الرجل ..!!.. ماذا تقول هذه المجلة ايضا ..؟ ارني ... (يأخذ المجلة ويقرأ) ناصر انقذ العالم من الحرب الثالثة ... (يلقي بالمجلة على الارض في غضب) هؤلاء الناس لا يحسنون فهم الامور ... يعدون قبول ناصر لقرارات الامم المتحدة عملا جليلا ... انهم يتجاهلون انه قبلها انقاذا لبلاده من الاحتلال ... لا انقاذا للعالم من الحرب ..!!

جورج – معذرة يا سيدي .. ولكنهم يقولون ان المصريين كانوا يقاتلون في اصرار .. مما جعل الحلفاء يعجزون عن احتلال منطقة السويس ..!!

بول – هراء يا جورج .. لا تصدق هذه الانباء ... (يسير الى مكتبه) .. انجلترا .. سيدة البحار ... وفرنسا ... بلد بونابرت ... تعجزان عن احتلال السويس ..؟!!

جورج – عفوا يا سيدي .. لماذا اذن قاومتهم بورسعيد هذه المقاومة الطويلة .. وهي على ما أعلم مدينة ساحلية صغيرة ...؟

بول – (في انفعال) لانهم لم يحسنوا التصرف ليس غير .. ذهبوا للغزو بمائة وستين الف جندي .. لو كانوا القوا على بور سعيد خمسمائة الف مثلا ... لما استطاعت المقاومة ... كانوا يزيلونها من الوجود .. لا يتركون فيها جدارا قائما ... ..لا يبقون فيها على انسان واحد.. يعملون التذبيح والتقتيل في .. (بسخرية) .. في ابطال الشرق المزعومين ..

مدام روبير – (صائحة في غضب) بول ..!!.. (يتطلع اليها في دهشة) انك تتكلم كالسفاكين وشاربي الدماء .. أليس لهذه الارواح وزن عندك ..؟

بول – وزن .... ان هذا هو السبيل الوحيد لاحتفاظ الرجل الابيض بتفوقه ..!

مدام روبير – بالقتل .. وسفك الدماء ..؟!

بول – (منفعلا) انت تهتمين كثيرا بارواح المصريين ... ولا تفكرين في هذه المدفأة المطفأة في ديسمبر ..!! هناك حقيقة اود ان الفتك اليها ... لن يقدر للرجل الابيض ان يحتفظ بمستوى حياته الراهن الا بالسلاح .. ينبغي ان يقاتل في سبيل سيادته العالم.

مدام روبير – وهل ستبقي الحرب الثالثة عالما يسود عليه الرجل الابيض؟!

بول – انا ادرك ما تعنين ..!.. القنابل الذرية ..؟.. اليس كذلك ..؟ ... حسن .. ستقتل هذه القنابل عشرة ملايين .. عشرين مليونا ... ثلاثين .. لتفتك بأي عدد تشاء .. ولتدمر ما تدمر من المدن ... ولكن .. سيبقى الرجل الابيض سيدا في النهاية .. وسيعيد بناء ما تهدم .. سيشيد المصانع ثانية.. سيبني ....

مدام روبير – (مقاطعة) بول .. انا اشعر بالخجل من كلامك ..!.. لست انت بول الذي كان يهاجم النازي سنة ٣٩ ... كنت ايامها شابا فقيرا .. فقد اخاه في الحرب .. اما الآن .. فانت تتحدث عن الضحايا بالملايين دون ان يهتز فيك عرق .. لقد تغيرت كثيرا يا بول .. حتى اصحابك تغيروا ... كنت تصاحب العمال والفقراء قبل الحرب الماضية .. وهؤلاء الناس هم الذين حملوك الى البرلمان ... ثم الى الوزارة ... ولكنك الآن تصاحب امثال السيد ولفريد .. تاجر السلاح .. والكونت مشيل .. صاحب مناجم الـ..

بـــــول ـ (مقاطعا) لا تقحمي اصدقائي في الحديث .. !

مدام روبير ـ (محتدة) أنت تعرف انني لا احب اصدقاءك هؤلاء ... انهم غيروك يا بول .. وخصوصا هذا السيد ولفريد ... ان نظراته تبعث الرعشة في بدني.. حتى في ساقي الميتتين..!

بـــــول ـ قلت لك لا شأن لاصدقائي بالموضوع .. لادخل لهم في سياستي كوزير ..!

مدام روبير ـ اواثق انت مما تقول ..؟

بـــــول ـ (مرتبكا) ان .. انني لا .. انهم غير .. انني أومن بـــان سيطرة الرجل الابيض مهددة بالزوال .. وينبغي عليه ان يحتفظ بها .. حتى ولو خاض حربا عالمية ..!

مدام روبير ـ ولماذا يحتفظ بالسيطرة يا بول ..؟.. الا يمكن ان يعيش مع بقية الناس في اخاء وسلام ..؟!

بـــــول ـ اخاء وسلام ..؟.. والبترول .. والمطاط .. والاسواق ..؟.. (يشير الى المدفأة المطفأة) أرأيت ما ادت اليـه سـيطرة ناصر على قنال السويس ..؟!

مدام روبير ـ ناصر لم يغلق القناة يا بول في وجه الرجل الابيض .. قال له استعمل القناة كما تشاء .. ولكن لا تسلبها مني .. فهي قناتي ... وفي ارضي ... وانا الذي حفرتها !..

بـــــول ـ (في حقد) قناته ..؟!.. مما أسفت له كثيرا ان الحلفاء قبلوا الانسحاب .. كان يجب ان يقاتلوا حتى النهاية .. ولو أشعلوا الحرب الثالثة ..!

مدام روبير ـ الحرب شيء مخيف يا بول ..! انك لا تدرك حقيقتها .. الالم الذي احسسته عندما فقدت اخاك روبرت في الحـرب الاولى لا يمكنك ان تتصوره .. وانت نفسك ... عندمـا أخـذك الجســتابو في الحرب الثانية .. واعتقلوك ثلاثـة شهور .. أتدرك ما كنت اعانيه انا ... وكريستين زوجتك .. في ليالي الشتاء الموحشة ... وحدنا ..؟

بـــــول ـ ولكن كل هذا انتهى الآن ..!.. حزنك على روبرت تلاشى .. وانا عدت اليك والى كريستين .. والدمار الذي نزل بالبلاد قد تحول الى ازدهار .. مدننا شيدناها .. مصانعنا .. بنيناها ... حقولنا ... زرعناها .. وعاد كل شيء خيرا مما كان .. وهذا ما سيحدث ايضا بعد الحرب الثالثة ..!

مدام روبير ـ اذا كنت ستبني ما تهدم .. واذا كنت لا تعبأ بالارواح التي ستفنى .. فماذا ستفعل في النفوس التي ستفسد .. وفي المثل العليا التي ستدمر ..؟.. ان الحرب تدمر كل شيء نبيل في النفس الانسانية يا بول ..!!

بـــــول ـ كل شيء نبيل ..؟ لست ادري من أين جئت بهذا الكـلام ؟ على أي حـال .. (يخبط الكتب بقبضة يده في انفعـال وحماس) لو انني كنت مكان الانجليز والفرنسيين .. فانني ساقاتل .. ساقاتل ... سأقا .. (تنطلق صفارات الانذار.. ... يقطع كلامه . يتنبه جورج في ذعر) ..

بـــــول ـ ما .. معنى هذا ..؟

جـورج ـ (في فزع) غارة جوية يا سيدي ..!

بـــــول ـ (يقف في انفعال) ولماذا ..؟.. لسنا في حرب ..!

مدام روبير ـ (في ذهول) من يدري ..؟

بول ـ (في اضطراب) كنت مع السفير الانجليزي منذ ساعة .. ولم يكن هناك ما يشير الى احتمال الحرب ..!

جـورج ـ ان الحرب تقوم يا سيدي عندما لا يتوقعها احد ..!

مدام روبير ـ ما دامت هناك شرارة .. فليس ثمة ما يمنع من اندلاع الحريق ...!

(ترتفع أصوات لغط وضجيج يدل على تجمهر الناس في الشارع)

جورج ـ والشرارة في السويس يا سيدي ..!

مدام روبير ـ (تشير لجورج فيدفع مقعدها الى جوار النافذة ، تزيح الستار) انظر يا بول ... هذا هو الشعب.. العمال. الفقراء كلهم في الشارع .. وكلهم في فزع .. لماذا يرغمون على الحرب؟ ... ماذا فعل لهم ناصر حتى يحاربوه ..؟.. لا احد يريد الحرب !...

بـــــول ـ (في قلق) على اي حال .. لم تقم الحرب بعد .. انا واثـق من ذلك ...

(يدخل كبير الخدم مصفر الوجه)

كبير الخدم ـ سيدي ... سيدي .. اعلنت الحرب .. والاعداء هاجموا البلاد ...

بـــــول ـ (في غضب) من اين جئت بهذه الاخبار ..؟

كبير الخدم ـ كل الناس تقول ذلك يا سيدي ..

بـــــول ـ ابدا.. هذا كذب .. لم تعلن الحرب ..

كبير الخدم ـ لقد اشتعلت دون اعلان .. كما فعل الانجليز في السويس الناس تقول ذلك يا سيدي .. (يخرج مضطربا)

بـــــول ـ يا للاحمق الجبان ..!

مدام روبير ـ (في شرود) بل يا للانسان الذي لا يحب ان يموت ..!!

أنطوان ـ (يدخل صائحا) الرجل الذري يا ابي ..!.. اعلن الحرب ..! .. الحرب يا ابي ..!

بـــــول ـ (في حدة) من قال لك هذا ..؟.. لا تسمع الى هذا الكلام الفارغ ... لا تخف شيئا ..!

(يسمع صوت مدافع .. يكف الوزير عن الكلام ويفغر فاه في ذعر) ..

جـورج ـ أتسمع يا سيدي ..؟.. مدافع ..!!

بول ـ نعم .. انها مدافع ..!.. ولكن .. ما معنى هذا ...؟.. احقا قامت الحرب ؟! ... غير معقول ..!

(يعود كبير الخدم وقد ازداد فزعا)

كبير الخدم ـ اسمعت المدافع يا سيدي .. انها مدافع ميدان .. ان جيوش الاعداء اقتربت من العاصمة ..! (يخرج في اضطراب، ويسود الفزع ، جورج يتحرك الى النافذة ثم يرتد الى الباب ، مدام روبير تدفع عجلات المقعد بيديها ، بول يسرع الى التلفون ... يرفع السماعة ويدير رقما)

بـــــول ـ هللو ..!.. (لنفسه) مستحيل ان يكون هذا صحيحـا ..! (في التلفون) ... هللو ..!.. (يضع السماعة)

مدام روبير ـ لماذا تركت التليفون ..؟.. اسأل قيادة الجيش ..!. هل الخط مشغول ..؟

بـــــول ـ (يرفع السماعة ثانية)لست ادري .. (يدير رقما) كان يجب ان يتصلوا .. هللو .. هللو .. هذا عجيب حقا ..!.. التليفون لا يعمل ..! (يضع السماعة ... ثم يعود ليرفعها) ... ماذا دهاه ..؟

جورج ـ لا بد ان الاعداء دمروا الخطوط التليفونية يا سيدي ..

(بول يلقي السماعة فى رعب ... يسمع صوت طائرة ... يصمت الجميع ثم يندفع الجميع فى الكلام فى وقت واحدا ..)

بـــول ـ يالله .. ما هذا ..؟ .. طائــرة ..؟!

جورج ـ (فى فزع) طائرة يا سيدي .. طائرة ..؟.. انها مصيبة ..!

أنطوان ـ (يصرخ) ابي .. !.. ابي .. ما هذا ..؟.. لماذا يخــاف الناس الرجل الذري هكذا ..!

مدام روبير ـ لا امل .. لا فائدة .. لقد انتهى كل شيء ... ملايين الناس سوف ...

بـــول ـ (صارخا فى شراسة) ، اسكتوا .. اسكتوا جميعا ... الا تستطيعون ان تكفوا عن الكلام لحظة ..؟ اريد ان اسمع

(يسود صمت مفاجيء .. يظهر صوت الطائرة بوضوح) طائرة واحدة تقوم بغارة .. شيء غريب .. (صراخ الجماهير فى الشارع كانهم اصيبوا بالجنون ، يدخل كبير الخدم فى رعب)

كبير الخدم ـ سيدي .. سيدي .. ستلقي الطائرة قنبلة ذريـــة !.. (يخرج فى سرعة)

بـــول ـ هذا ما كنت اخشاه ..!.. طائرة واحدة تقوم بغارة .. فلا بد انها غارة ذرية ..!!

انطـوان ـ (يجري خارجا) الرجل الذري قادم ..؟.. سأحضر مسدس الاشعة ..!

(الفزع يتملك الجميع ، جورج يتشبث بمقعد مدام روبير . بول يحاول ان يفتح درجا ، ولكن ارتجاف يده يحول دون ذلك)

بـــول ـ لا بد من الهرب ..!.. نعم .. الهرب ..!.. فلو قبضوا علي ..

(يقرع الجرس بشدة .. يكرر ذلك عدة مرات فى عصبية شديدة . يدخل كبير الخدم فى ملابس الخروج)

بـــول ـ ما هذا ..؟ الا تسمع ؟

كبير الخدم ـ ليس فى المنزل غيري يا سيدي .. الجميع هربوا .. وانا ايضا خارج .. آسف يا سيدي ولكن يجب ان اكون فى بيتي مع اولادي .. لا بد ان لويس مات من الخوف .. وداعــا يا سيدي ... (يخرج)

بـــول ـ ماذا ..؟.. أهرب الجميع ..؟

مدام روبير ـ وتركوك وحدك ..!.. شيء طبيعي .. انها الحرب يا بول ... وينبغي ان يسعى كل فرد لخلاص نفسه .. !

بـــول ـ (لجورج فى انفعال) اذهب الى السائق .. ليستعد لرحـلة طويلة عبر الحدود فى خلال دقائق ..!

(يخرج جورج . يتمكن من فتح الدرج . يخرج أوراقا بيـد مرتجفة ويحملها الى المدفأة ليشعل فيها النار . يكرر هــذا العمــل خـلال الحوار التالي) :

مدام روبير ـ هي الحرب اذن ..؟! هذا ما كنت تسعى اليه يا بـول .. الحرب ... لقد جاءتك كما اشتهيت .. فاسعد بها .. تمتع بالمذابح التي ستنتشر فى كل مكان .. اشبع نهمك من انهار الدماء التي ستجري لتصب فى محيط الفناء الذي لا قرار له ... املأ عينيك بمنظر الجدران المتهاوية على اجساد الاطفال ... والسقوف المنهارة فوق الشيوخ والعجائز ..!.. افرح يا بول .. فلن ترى بعد اليوم الا السنة من النيران تشب فى كل مكان ، وسحبا من الدخان تنعقد فوق كل مدينة ..!..

لن تسير الا فى خراب .. خراب فى بلد ... ودمار فى كل ركـن وفناء يرفرف على الجميع ..!!.. وكل ذلك فى سبيل سيادة الرجل الابيض ... (تدفع عجلات مقعدها الى جوار النافذة) انظر يا بول الى الشارع .. هذه الجماهير التي تصرخ .. انها كالخراف تساق الى الجـزار .. هي خراف فعلا .. لولا انها تعرف مصيرها .. وان كانت لا تعرف لماذا تساق اليه ..!.. انها لا تصدق انكم تريدون تحويل دمائها الى بتـــــرول ، واجسادها الى مطاط ..!!.. عفا الله عنك يا بول .. وان كنت لا اظن ان جريمتك مما يمكن ان يعفو الله عنه ..!

(بول لا يجيب .. كأنه لا يسمع .. منهمك فى احراق الاوراق .. يدخل جورج)

جورج ـ سيدي .. السائق هرب هو الآخر ..!

بـــول ـ (فى ذعر) هرب ..؟!.. وهل فى السيارة بنزين كاف .؟

جورج ـ لا ادري يا سيدي ..

بـــول ـ لا تدري .. لا تدري .. كل شيء ينبغي ان افعله بنفسي اذن ..!.. هذا فظيع ...! (يهم بالخروج)

مدام روبير ـ جورج يستطيع ان يقود السيارة يا بول ..!

بـــول ـ جورج سيبقى هنا ..!

مدام روبير ـ يبقى هنا ؟.. انني لا استغني عنه لحظة ..!

بـــول ـ وانت ستبقين ايضا (ينظر الى ساقيها المشلولتين) انك لن تستطيعي القيام بهذه الرحلة الخطرة ..!

مدام روبير ـ اهي اخطر من التعرض للقنبلة الذرية ..؟

بـــول ـ (يتجه نحو الباب) لا ادري .. ربما لا تكون هناك قنابل ذرية ! فما داموا استولوا على البلاد فلماذا يبيدونها ..؟.. على اي حال ... فى استطاعة جورج ان يذهب بك الى مخبأ .. فالوقت اضيق من ان تتمكني فيه من الفرار .. ولا استطيع انتظارك (يخرج .. مدام روبير تشيعه بنظرة الم صامتة) .

مدام روبير ـ (بعد لحظة) هذا أول شيء نبيل تدمره الحرب فى نفسك يا بول ...!

جــورج ـ سـيدتي .. اعرف مخبأ فى الضواحي .. ربما كان بعيدا عن القذائف ..!

مدام روبير ـ فى الضواحي ..؟.. وكيف اذهب اليه بغير سيارة ! (تشير الى ساقيها)

جــورج ـ استطيع ان احملك يا سيدتي .. ما زال فى ذراعي قوة .. !

مدام روبير ـ (تبتسم فى مرارة) شكرا يا جورج .. شكرا .. اذا جاءت الحرب فانها تحرقنا فى اي مكان .. سأنتظرهــا فى غرفتي.. وعلى فراشي.. فهذا افضل.. خذني الى هناك..

(يتقدم جورج ليدفع مقعدها .. ترى المجلة ملقاة على الارض)

مدام روبير ـ انتظر يا جورج .. دعني ارى صورة ناصر .. ربما للمرة الاخيرة (يناولها المجلة ، فتتطلع الى الصورة) ايها الرجـل الملون .. لقد اخفقت جهودك لانقاذ الرجل الابيض من نفسه ... لقد انتصر عليك ابني ... واصحابه .. ولكنك فعلت كل ما يمكنك فى سبيلنا .. ربما لانك لست ابيض .!.. فليكافئك الله .!

(تضع المجلة على الكتب . يخرجان . تدخل كريستــين وولفريد على عجل ، يسمع صراخ الجماهير من الخارج) .

كريستين ـ هذا شيء رهيب يا ولفريد .. لا استطيع ان اصدق ان الحرب قامت بهذه الوحشية ..!

ولفريد ـ (يبتسم وعيناه تتألقان) ولماذا يا كريستين ..؟.. الحرب شيء جميل .. رائع ..!

كريستين ـ لا تقل هذا ...!.. فالحرب الثالثة هي حرب الخراب الشامل ..!

ولفريد ـ بل هي حرب الثراء .. حرب الذهب .!

كريستين ـ ولكن يا ولفريد ..!

ولفريد ـ (فى حماس عصبي) ليس هذا وقت المناقشة .. سنتناقش كما تحبين فى طائرتي .. بعد نصف ساعة .. لا تتأخري ..!

كريستين ـ وبول ..؟!..

ولفريد ـ ليس عندي الا مقعدان ... انت وهو .. او انت وانطوان .!.. ولكن بول يستطيع ان يدبر طريقة للفرار .. لن يعدم وسيلة .. تعالى انت وانطوان ... سأنتظركما فى المطار بعد ثلاثين دقيقة ..!.. هه ..؟!.. الى اللقاء .! (يخرج)

كريستين ـ (فى شرود) الى اللقاء يا ولفريد .!

(يعود الصراخ ... يدخل بول محمر الوجه يتصبب عرقا)

بول ـ كريستين .. انت هنا ..؟!.. حمدالله .. لقد خشيت الا تتمكن من العودة ..!

كريستين ـ لقد عدت مع ولفريد .. جاء بي الى هنا ..!

بول ـ (مفكرا) ولفريد .!.. ولفريد ..!.. كيف غاب عن بالي ..؟ .. طائرته انها السبيل الوحيد ..

(يسرع الى التلفون فى لهفة ثم يقف كانما تذكر شيئا)

بول ـ اوه .. نسيت ان الاعداء قطعوا الخطوط التليفونية .. على اي حال .. ان سيارتي سريعة .. سأضطر ان اقودها بنفسي ... ولكنني سألحق به .. لا بد انه ذهب الى المطار رأسا ليهرب ..!

كريستين ـ فعلا ..! انه ذهب الى المطار .. وعرض علي ان نفر .. معه ... ولكن الطائرة لن تتسع لنا جميعا .. انت .. وانطوان ... ومدام روبير .. وانا ... !

بول ـ مدام روبير سنتركها هنا ...

كريستين ـ (فى دهشة) تتركها ..؟.. بين ايدي الاعداء ..؟!!

بول ـ وماذا سيفعلون بها ..؟.. انها سيدة مقعدة .. ليس لهم عندها ...

كريستين ـ (تقاطعه فى استنكار) ولكنها امك ..!!

بول ـ انا اعلم انها امي .. ولكن أترين الوقت مناسبا لمثل هذه العواطف ..!!.. (يهز كتفيه) انها الحرب يا كريستين .

كريستين ـ (تطيل النظر اليه ثم تقلب شفتيها فى اشمئزاز) حسن .. انت وشأنك ..! انها امك انت على كل حال .!.. ولكن الطائرة لن تتسع لنا .. حتى لو تركنا .. انها ذات ثلاثة مقاعد ... و..

بول ـ (يقاطعها فى لهفة) ونحن ثلاثة .. انت .. انطوان .. أنا ..!

كريستين ـ ونسيت ولفريد .. ينبغي ان تعطيه مقعدا .. (بسخرية) فهو الذي سيقود الطائرة .. اليس كذلك ..!

بول ـ اذن ... ما الحل ..؟.. ما الحل ..؟

(ينطلق صوت مدافع قوية بعض الشيء .. ويرتفع صراخ الجماهير فى الشارع .. بول ينتابه فزع شديد)

بول ـ (فى شبه صراخ) ما العمل يا كريستين ..؟.. لم يعد هناك وقت طويل ..!

كريستين ـ ما هذا الذعر الذي انتابك فجأة.. ألم تشترك فى حرب قبل الآن ..!

بول ـ ولكن هذه حرب ذرية ..!.. انها هلاك محتم ..!.. ينبغي ان تسرع الى ولفريد قبل ان يهرب بالطائرة ..!

كريستين ـ (تعيد النظر اليه وهي تقلب شفتيها) لا احب ان تتعلق كثيرا بأمل الفرار مع ولفريد .. يا بول ..

بول ـ (فى ذعر) ولماذا بالله ..؟!

كريستين ـ لان فى الطائرة مقعدين فقط .. ونحن ثلاثة .. اليس كذلك.؟ ينبغي ان يبقى احدنا هنا .. واظن انك انت الذي ستبقى

بول ـ (في جنون) أنا ابقى هنا ..؟ هل جننت يا كريستين ؟!

كريستين ـ لديك السيارة .. ألم تقل انها سريعة ؟! تستطيع ان تعبر بها الحدود ..!

بول ـ (يصرخ) ان هذه الفرصة ضئيلة .. فالاعداء يعرفون وجهي مهما تنكرت .. انهم يشمون رائحتي من بعيد .. أتدركين ما سيصيبني لو قبضوا علي ..؟!

كريستين ـ وماذا سيصيبك ..؟ ستكون أسير حرب ..!

بول ـ (في فزع شديد) سأشنق .. سأشنق يا بلهاء ..! انني مجرم حرب .. في نظرهم .. أنسيت خطبتي في هيئة الامم منذ اسبوعين ؟.. كنت ادعو لاشعال حرب ثالثة للسيطرة على قنال السويس!! ألم تعرفي ما وصفني به وزير خارجيتهم؟ قال انني جاهل .. ومتعصب .. واستعماري ..! لقد هددني أتسمعين ؟ لقد هددني بالشنق اذا قامت الحرب .. ألم يقل ان الذين يدعون للحرب سيكونون اول ضحاياها ..؟! ألم تقرأي ...

كريستين ـ (مقاطعة) وماذا تريد من وراء هذا كله ..؟ اتريد ان تفر بالطائرة مع ولفريد ؟ أليس كذلك ؟! ومن الذي قررت ان تتركه هنا ليتلقى القنبلة الذرية مع امك .. أنا أم انطوان ؟!

بول ـ (يتجول في انفعال عنيف) لا استطيع ان افرد .. ينبغي أن أهرب انا .. فلا بد ان يبقى احدكما .. أنت .. أو انطوان ..!

(صوت الطائرة يقترب .. ويرتفع صراخ الجماهير فيالشارع يدنو بول من كريستين ويمسك بيديها في ذعر)

بول ـ كريستين ..! حبيبتي .. ان انطوان صغير .. طفل .. لا يستطيع ان يعيش من غيري .. لا بد ان يأتي معي .. !

كريستين ـ (صائحة) وابقى انا ؟ أليس كذلك ؟ (تجذب يديها من‌بين يديه)

بول ـ أنت تستطيعين التصرف .. لديك السيارة .. يمكنك الفرار بها .. ولن‌يمنعوك .. لن يمنعوا امرأة ..! ولكن انطوان طفل .. ! أتفهمين ؟! انه ابني .. وابنك ايضا ؟! الست امه؟! أترضين ان يبقى هنا للهلاك ؟!

كريستين ـ ولماذا يبقى هنا ..؟ سآخذه معي ! سيركب معي الطائرة .. وانت الذي ستبقى هنا .. !! (تجلس ا لى الاريكة في تحد)

بول ـ (يجلس الى جوارها في تلطف) اسمعي يا كريستين .. لا تعقدي الموقف .. انك تدركين الخطر الذي اتعرض له ..

أليس كذلك ..؟ قولي انك تدركينه ! ان فراري امر ضروري.. ضروري لقضيتنا المشتركة.. قضية الديموقراطية!!

كريستين ـ (تدفعه عنها في عنف) لا تقحم الديموقراطية في المشكلة .. انها قضية رقبتك .. لا شأن للديموقراطية بقطعها ..!

(يعود صوت المدافع اقوى مما كان . يشتد صراخ الجماهير يفقد بول السيطرة على أعصابه)

بـــول ـ (ثائرا) أهذا وقت المناقشات السياسية ..؟! ان حبل المشنقة يكاد يلتف بعنقي يا امرأة ..! أتفهمين ؟! ستبقين هنا وسأذهب انا وانطوان ..!

(تطرق كريستين في صمت . بول يمضي في ثورته)

بـــول ـ لا تحسبي انني على استعداد لفقد عنقي كي اهيء لك فرصة النجاة .. ان حياتي امر جوهري للمثل العليا التي نحارب من

كريستين ـ (ترفع رأسها في تحد) لا تتحدث عن المثل العليا يا بول .. فليس هذا بالوقت الملائم لمناقشتها ..! هناك شيء واحد ينبغي ان تعرفه .. وهو ان ولفريد لن يسمح لك بركوب الطائرة .. انه ينتظرني انا ..!

بـــول ـ انت واهمة .. انه سيرحب بي .. فعندي له مشروعات كثيرة اثناء الحرب .. سأجلب له الملايين .. ! ساهيء ..

كريستين ـ (مقاطعة) ولفريد لا يفكر في مشروعات الان .. انه يفكر في شيء واحد فقط .. في انا ..؟! انه يحبني .. انه يريدني اتفهم ؟! .. لقد اتفقنا معا على الفرار منك ..

(ينطلق مدفع قوي ويعلو صراخ الجماهير في الشارع).

بـــول ـ (في ثورة) تحبينه ..؟ ما هذا العبث ؟! أتظنين اني على استعداد لأثير مشكلة عشيق لزوجتي ..؟! تريدين الفرار معه؟! حسن اذهبي الى الجحيم .. ولكن .. لا تحرميني مقعدي في الطـــائرة ..!

كريستين ـ (في ذهول) مقعدك في الطائرة ..؟! (تطرق في الم)

بـــول ـ نعم .. انه اثمن شيء لدي في هذه اللحظة.. ألا ترين انه يساوي عنقي هذه ؟

كريستين ـ ولكن ..!

بـــول ـ (في حدة) كفي عن لكن هذه .. كل لكن تقولينها تقرب حبل المشنقة من عنقي لحظة ..! لا اريد جدلا .. واذهبي الى الجحيم ان شئت .. ولكنني سآخذ مقعد الطائرة !..

(يدنو من مكتبه ويجلس على مقعده ويخرج مسدسا يصوبه نحوها) .

بـــول ـ عليك الان ان تختاري .. اما ان اذهب الى المطار مع انطوان وتبقين انت هنا .. واما ان ..

كريستين ـ (تقاطعه في فزع شديد) تقتلني ؟! مستحيل ..هذا فظيع !

(تغطي وجهها بكفيها في يأس)

بـــول ـ فعلا .. انا معك في ان هذا فظيع .. لكن .. أي شيء الان غير فظيع !! انها الحرب يا كريستين !!

(يطرق الباب طرقة واحدة ثم يدخل جورج على عجل) .

جـورج ـ سيدي .. ! (يرى المسدس مصوبا نحو سيدته فيذهل).

بـــول ـ ماذا ؟ ماذا تريد ؟ تكلم !

جـورج ـ (ينقل بصره بينهما لحظة) سيدي .. جاء رسول من قبل الكونت ميشيل بهذا الخطاب العاجل ..

بـــول ـ كونت ميشيل ؟ وماذا يريد في هذه الظروف ؟.. هات .. (يأخذ الخطاب ويفتحه بأسنانه دون ان يترك المسدس . جورج واقف) . اذهب انت .. لماذا تقف هكذا ؟ (يخرج جورج .. بول يخرج الخطاب ويبدأ في القراءة) عزيزي بول .. حاولت مخاطبتك تليفونيا دون جدوى .. طائرتي الخاصة تحت تصرفك في المطار خلال ربع ساعة .. لدي مقعدان .. (يصيح في فرح) شكرا لله .. (يضع المسدس على المكتب ويصيح في زوجته في انفعال) أرأيت ؟ لست في حاجة الان الى طائرة عشيقك ! (يصيح) انطوان .. انطوان .. انطوان !

(يدخل انطوان في ملابس رعاة البقر)

انطـوان ـ نعم يا ابي ..! هل وصل الرجل الذري ؟!

بـــول ـ لا يا حبيبي .. اذهب وارتد ملابسك بسرعة .. لتسافر معي!

انطـوان ـ لا اريد السفر الان يا ابي .. ان الرجل الذري قادم .. وسأنتظره هنا ..!

بـــول ـ اذهب وارتد ملابسك كما قلت لك .. اذهب .. سآخذك الى الرجل الذري ..

انطـوان ـ (في فرح) حقا يا ابي ؟! حالا .. (يخرج جاريا) .

كريستين ـ (ترفع رأسها وتطيل النظر الى بول في حقد) بـول !..

بـــول ـ ماذا ؟ أما زلت هنا ؟ لماذا لم تلحقي بعشيقك ؟!

كريستين ـ انطوان لن يسافر معك ! سيصحبني انا ..!

بـــول ـ انك تطلبين المستحيل (صوت الطائرة يظهر بوضوح) أسرع يا انطـوان .. ليس لدي وقت ..!

كريستين ـ (في عزم) انك لا تستطيع ان تأخذ انطوان ..!

بـــول ـ (في برود) ولم ؟!

كريستين ـ لانه ابني انا وليس ابنك انت .. انه ابني .. وابن ولفريد !

(صوت مدفع قوي . بول يحدق اليها في ذهول) .

بـــول ـ ماذا ؟ يا حمقاء .. يا كاذبة .. ماذا تقولين ؟

كريستين ـ أقول انك مخدوع في انطوان .. لقد عشت في خديعة منذ اثني عشر عاما .. وكنت اود الا تعرف هذه الحقيقة .. كنت واثقة انها ستحطمك .. فأخفيتها عنك طول هذه السنوات .. ولكنني اقولها الان .. انطوان ليس ابنك !

بـــول ـ كذب ..! كذب ..! انك تكذبين ..!

كريستين ـ انت تغالط نفسك وتعلم انني لا اكذب ..!

بـــول ـ مستحيل ان اصدق هذا ..! انطوان ليس ابني ؟!!

كريستين ـ نعم انه ابن ولفريد .. وليس لك أي حق فيه ..

بـــول ـ (ينهار على الاريكة في ذهول) هذا فظيع ..؟! فظيع !..

كريستين ـ (في شماتة) وأي شيء في هذه الظروف غير فظيع ؟! .. انها الحرب يا بول !!

بـــول ـ (يخاطب نفسه) وكيف حدث هذا ؟! كيف خدعت اثني عشر عاما ؟ انني لم اعرف ولفريد الا منذ سنة واحدة بينما كنت آوي ابنه في بيتي قبل ذلك احد عشر عاما ؟..

(يصرخ في انفعال) .. ايتها الحية .. متى كان ذلك ؟! كيف حدث ؟..

كريستين ـ (تنظر اليه في شماتة ، ثم تتطلع الى الافق البعيد) ذات ليلة من ليالي ديسمبر سنة ١٩٤٤ .. تحت المطر .. وتحت

ـ التتمة على الصفحة ١٠٩ ـ

*** الطفلة الموسم! ***

سألتها والشمسُ في مفارق السماء
لاهبة .. كأنها غريزةٌ حمراء ..
من أنت ؟ يا سارقةَ الالوان، والضياء
يا أنت ..! يا صالبة الاصيل في
(جزائر الدماء

تلفّتي ..!!
تقيأتك شفةُ الدروب
الى شفاه الليل والغروب
ورحلةِ الضياع في مجاهل المساء
عيناك ـ خادمان .. طيّعان ...
عبدان .. قائمان .. راكعان
تجيبُ قبل الهمسِ والنداء
يا منحا تُباع للهواء .. !!
.. تلفّتي !
سنلتقي ..
في غابة الظل الكثيف .. نلتقي
اياك ـ الا تذكري موعدنا .. في
(الغسق

وأومأت .. سنلتقي !!
قنّينتي ملأى .. ومصباحي ...
(جناحُ الشفق ..
ومخدعي .. غيينمةٌ .. نائية في
(الأفق ...
نافذتي عينٌ .. فلا تخشيْ حديث
(الريح بين الطرقِ
وموقدي .. يقظانُ .. مثلي مثلُ
(قلبي القلق
عيناه لم تنطبقِ ..!!
وفي المساء اقبلت تطرق باب الظل
(في حياء
وتنفث الجحيم في ثلاجة الشتاء
تفضّلي ..!
ارائكي .. ما نُسجت بالمخمل ..
وبيتيَ الحقير .. في ذؤابةِ البيوت
(يعتلي !
ونافذتي فوقها الحريرُ لما يُسدَل
لكنما هذا الشتاء لي صديق يصطلي!!

.. مواقدي ..
أعرفه.. ان يبست حلوقه كالسنبل
وراح يستجدي البقايا .. فى نشيج
(مُذهلِ !!
أعرفه .. يعرفني .. ليلُ الشتاء
(الأليَلِ !
فغمغمتْ .. وصوتها نُعومةُ الحرير
ما هذه الاوراق مُلقاةٌ .. على السرير
«منكوشة» فى الارض .. والحصير!!
فى جوِّك المثير ..!
وسكنتْ حمامة فى وكرى الصغير
لا تسعلي ..!
فبيتنا آذانه لم تغفل.
رب جدار حاقد.. يحكى الذيلم نفعل!
تدثرى .. تدثرى .. أنفاس قلبي
(المشعل ...
فالريح ... لبوةُ الدجى .. تعُول
(... ثم تهجعُ
تضج .. فى عروقها .. رغائبٌ .. ما
(تشبعُ !!
لا تسعلى ...
وبعد طوفتين فى بحيرة السراب
التصقت بي .. يا لها .. رجفة
انسانين عادا..
بعد يقظة التراب !
وغمغمت حياتيَ اغتراب
هنيهةً .. وانسرق الصباح من
قوامها النضير
واغرورقت عيونها فى عالم مثير
كأنما تبحثفى حقائبالزمان عن سطور
دفينة..دفينة فى عتمة القبور
وغمغمت : حياتي .. اغتراب
ظل سؤال حائر .. من غير ما جواب
وغمغمت : قد بعت للرياح كل شي
وهآنا .. أبيع للرياح كل شيء ..!!
فقلت فى ذهول ...
وغصة فى حلقي اليبيس .. لا تزول!!

صغيرتي .. صغيرتي همومك الثقال
ترهبها .. ترهبها .. كواهل الجبال!
صغيرتي لا تجزعي !
انت انعكاس عالم .. ممزع .. ممزع!
لم تبتدعه ريشة خلاقة .. لم تبدع
ما ذنبها .. ما ذنبها .. زنبقة لم تمرع
قد زرعت فى تربة جديبة .. لم تزرع
فغمغمت اهىهناك ؟ عالمٌ منغيرما هموم
مزرعة الزهور .. والطيور ..
(والنجوم !..
وتورق الحياة فى الصخور .. كالكروم
قلت أجل ... من غير ما هموم
وشرقنا القديم .. فى غد يكونه
وتستحم بالسنا جباله .. حزونه
ويحتويك قلبه .. وانت تحتوينه
ولا مدامع سوى الغمام .. تبصرينه
يروى اخضرار الارض .. تروى
زهرها عيونه
فداعبت غابة شعر حالك الظلام
وبعثرته فوقا .. مظلتيْ غمام
وجيدها .. المسه كمقلعيْ رخام
لكنما الحياة .. فى عروقه زحام !!
تسر لي حكاية .. من غير ما ختام
لذيذة .. لذيذة من غير ما ختام
لكنها .. دامية السطور
حكاية الضياع فى مجاهل الهجير
وكانت السماء مثل رائق البللور
انحسرت عن وجهها .. براقع الديجور
واذّنت فى سطحنا ديوك
وجاوبت اصداءها فى حيّنا ديوك
وغادرت بيتيفى تكتم
لا تحدثي .. لا تحدثي همهمة فى السلم
فبيتنا آذانه لم ترحم ..!
صغيرتي الوداع .. يا صغيرتي الوداع
سنلتقي
ونلتقى كل مساء فى ضمير الغسق
وربما فى رحلة الحياة يا صغيرتي
سنلتقى معا .. معا .. سنلتقي !!

محي الدين فارس

عضو رابطة الفنانين السودانيين بالقاهرة

صرخة العربي اليوم

بقلم الدكتور شكري فيصل

انا هنا أواجه « هذا » العالم بضفتيه .. ان بيني وبين سطح الارض ، بيني وبين الهواء النقي وبيني وبين الشمس التي تحجبها غيوم آذار هذه السلالم التي انزلقت بها الى « المترو » ، ومع ذلك فان صوتا ناعبا من هنا وصوتا اعجف من هناك يرن فى اذني وفى آذان كل هؤلاء الساعين، الرائحين والقادمين ، يقول : انتبه .. انت فى المحطة الثانية في القطاع الشرقي او في القطاع الغربي .

***

وانفلت من رفقتي افكر : ما الذي يفصل بين الشرق وبين الغرب ... لقد جئت هنا ، الى برلين ، من مدينتي الوادعة ، الحالمة ، المفكرة التي تحيا بطبيعتها وناسها وحركتها حياة الجامعة .. لكأنها هي الجامعة أناة وهدوءا ، ونظاما وطمأنينة ، واتساع أفق وانتثار حواش .. جئت من هذه القرية ــ المدينة البعيدة وفى نفسي ان اشهد كيف يقف « انسان » الغرب لانسان الشرق ، وكيف تقف « فلسفة » الشرق لـ « فلسفة » الغرب .. كيف يصرخ اولئك وهؤلاء ، بعضهم فى وجه بعض ، ان لا .. فى كل لحظة ، وفى كل موضوع .. وينسون الانسان الانسان الذي ليس بشرق ولا غرب ، ويتنكرون للانسانية الانسانية التي ليست كذلك شرقا ولا غربا ؛ يتنكرون لهذا الانسان الذي وهبهم جميعا ، هو .. من الاسود الفاحم في غابات افريقيا الى الابيض الناصع فى مناطق القطب ، وهبهم هو معنى وجودهم .. وينسون الانسانية التي منحتهم قيمة فلسفتهم ومثلهم ... ويفعلون ذلك كله باسم الانسان نفسه والانسانية ذاتها .

ولكني لم استطع ان أشهد شيئا .. لقد فتحت عيني وقلبي ... اطلقت كل قدرة امتلكها .. ولكني لم اجد شيئا من هذا الذي يستطيع «حده» من غير قوة قاهرة او سلطان حاكم ، ان يفصل بين الشرق والغرب .. بلى .. لقد وجدت كثرة من المظاهر والاشكال ، وصافحت عيني كثرة من الخطوط والالوان، كانت هنالك غيرها هنا، وكانت هنا غيرها هنالك .. ولكني لم اعثر على حقيقة واحدة تقول لي فى ابانة جريئة وحق واضح : هأنذا .. انا الحد الفاصل بين الشرق والغرب

ومررت بكل الذي يمر به الناس من ظاهرات التحدي او التميز ... استبدلت بالنقد نقدا ، وبالطريق طريقا ، وباسم الدولة اسما آخر لدولة ثانية ، وشهدت العلم هناك ينقلب علما اخر هنا ، وبدت لي انماط من البناء فى هذه الوجهة وأنماط اخرى من البناء فى الوجهة الثانية .. ولكني ظللت دائما ارى الخرائب هي الخرائب ، والبناء هو البناء.. ظللت دائما ارى السماء هي السماء ، والطريق هو الطريق وان اختلفت عليه التسمية ، والناس هم الناس : الاطفال هم الاطفال ، والشيوخ هم الشيوخ ، والارامل والصبايا هن هن .. والضمير القلق هو الضمير القلق الذي يلوب فى الاعماق ، ويتبدى على الوجوه ظلا خفيفا كانما يتساءل فى صمت سمعته فى كل لحظة وعلى كل وجه : وما هو هذا الذي يفصل بين الشرق والغرب ؟

***

وما كنت شككت لحظة حين بدت لي برلين فى ان هنا بعض مراكز الثقل فى العالم .. ما شككت فى اني سأجد كل مظاهر القوة تقف تتبادل العرض حينا والتحدي حينا ويسترق افرادها العاديون التحية الخافتة المرتجفة فى أقل الاحايين .. ولقد سمعت هذا التحدي دعاية وكلاما سكبوه فى آذاننا .. هنا وهناك .. فى حديث من هذا الذي لقيني هنا قبل ان اجوز الى « الشرق » وفى حديث من هذا الذي لقيني هناك قبل ان أجوز الى الغرب .. وانتفخت اذني ، واحسست بالطنين حين كنت استمع ، ولكني حين رفعت رأسي وخلوت الى نفسي ذابت كل هذه الكلمات ــ حذار ! أريد ان اقول كل هذه الاصوات ــ واحسستها وكأنما كانت ظلا خفيفا باهتا لظل ثقيل ، لم يلبث ان انزاح ، امتصه النور ، وعبثا لم يلبث ان غاله الجد .. لم يبق فى ذهني الا هذا السؤال الذي كان يلح علي الحاحا عنيفا متصلا كما تلح الحقيقة على النفس قبل ن تتبدى ، قبل ان تتفجر .. ترى أثمة فاصل بين الشرق والغرب ؟ وأين يكون هذا الفاصل ؟ واوشكت ان اتساءل : ما طبيعته ؟ ما مداه .؟ ولكني سرعان ما وجدتني ، مع الحقيقة التي كانت تتململ تريد ان تتفجر احس ان ليس من فاصل حتى يصح لي ان اتساءل عن طبيعته ومداه

***

وانفلت الرفقة هنا وهناك .. ان فى وسعنا حين نعود ان نتبارى في تعداد الفروق .. ان نقيم هذه الفروق بين الشرق والغرب ... ان ننشئها ابداعا ان شئت .. الم يقل هذا الصوت الناعب في « الاونتر باهن » اننا سنجوز منطقة الى اخرى .. ما اسرع الانسان الى التصديق ...

الانسان وسط صالح لعدوى الافكار والخواطر .. انه سيعشق هذا الصوت الناعب من وراء المذياع فى المحطة ، ان كان فى « المترو » ، وسيحفل بهذا الشرقي الواقف كالتمثال عند احد طرفي هذه البوابة ان كان على سطح الارض .. سيحني رأسه يلتمس الفرق حين يمر بين هاتين الضفتين ليجوزهما ، وسيتحسس مواطىء اقدامه.. سيرقب ذاته كأنما هي الاخرى كذلك لها شرق وغرب . ولعله ، هذا المسكين ، يمد يده يتحسس لون ثيابه .. اما قالوا له ان هنا شرقا وهناك غربا .. منذ ان احس الحياة ، وشهد النور ، وتعلم الجهات الاربع ، ودرس التاريخ ، وهم يلحون عليه ان هنالك شرقا وغربا .. ان صوت معلمه فى المدرسة الابتدائية واستاذه فى الثانوي ومدرس الفلسفة ومحاضر الادب فى الجامعة كل اولئك تحيا أصواتهم فى نفسه .. كلها تتواكب لتذكره هذه « الحقيقة » المشوهة ، حقيقة الشرق والغرب المنفعلين ..

أجل كان فى وسعنا ان نجد الفروق .. ان نكتشفها .. ان نتوهمها ان لم نكتشفها ، ان نتبارى فى تعدادها .. كان فى وسعنا ان نقول مثلا ان الانوار كثيرة هناك قليلة هنا ، والنقد خفيف هنا ثقيل هناك ، والخرائب تحاول ان تسترها الابنية في هذه الناحية والابنية تخترقها الخرائب فى هذه الناحية الاخرى ... ان هنا الجامعة القديمة وهنا الجامعة الحديثة .. هنا .. هناك .. كان فى وسعنا ان نقول اشياء كثيرة من هذا القبيل ، ولكنه لم يكن فى وسعنا قط ان نقول شيئا له قيمته .. اننا حين نخرج من اسار هذه الخطوط الضيقة ، من محبس هذه الالوان ، فان شيئا واحدا فى وسعنا ان نقوله مطمئنين اليه: ترى أين يبدأ « هذا » الشرق ، وأين يبدأ « هذا » الغرب ؟

***

كذبت اللافتة .. ان نسمة هواء تطيح بها .. والبوابة أكذوبة حجرية ضخمة بالرغم من مظاهر القوة وراءها وأمامها ... والصوت الخشن فى محطة « المترو » يستطيع ان يعيد الجملة نفسها فى كل قطعة من قطع الارض ... ما أسهل ان تقال الكلمة ان لم يكن وراءها حقيقة ، وما أصعب الكلمة تقولها ان اردت ان يكون وراءها ، فيها ، كل الحقيقة ... كذبت الحدود والنقود والاعلام .. فالذي اراه فى الشرق هو هذا الانسان والذي اراه فى الغرب هو هذا الانسان نفسه .. فى عينيهما معا صفاء .. على خديهما معا حمرة امل ... فى حركتهما معا هذه الحركة التي تهدف نحو المستقبل ... فى بسطة اليد بسطة الرجاء ، فى فتحة العين الافق المتفتح ، فى التحية التي تلقاها وتلقيها تحية الغد الذي لا يعرف البوابة التي قالوا انها تفصل بين الشرق والغرب ... ولا الاعلام الملونة ولا النقود الزائفة التي تحاول التمييز بينهما .. ولا الحدود التي تحول بين نصف العالم ونصف العالم ذاته.. أعني النصفذاته والعالم ذاته .. ان الجامعة هنا ليست فىحقيقتها، خصما للجامعةهناك.. البناء يتحدى البناء .. ولكن يظل هذا الشاب القابع فى جامعة « همبولت » هو اخ للشاب الآخر الذي رأيته قابعا وراء كتلة الضوء المتجمع فى مكتبة « الجامعة الحرة » .. بل لعله هو هو .. لعله هو الذي قد القاه أيضا فى اقصى هذا الجانب او ذلك من الارض .. انهم ليسوا اعدادا متناكرة جامدة ، ولكنهم اعداد متكاملة حية .. انهم كذلك كتل من النور تريد ان تتجمع من كل مكان لتقتل الظلمة فى كل مكان

***

وددت لو وعيت ، وانا هنا ، وعيا حقا ما الذي يفصل بين الشرق والغرب ... تذكرت كل الذي اعرفه من مذاهب وفلسفات ، كل الذي اقرأه من جدل ونقاش .. ومرت فى ذهني خصومة اخي وابن عمي ... زميلي وزميلي .. تلميذي وتلميذي الآخر ... ولكن كل شيء من هذه الفلسفات والمذاهب كان يتوارى حين تتقدم صورة الانسان الذي ننشده فى بساطة وعفوية ، فى وطننا ، صورة الحضارة او مثلها التي نريد ان نعمل لها .. ان هذا الانسان ـ المستقبل لينكر وليلح في الانكار ان يختلف اولئك وهؤلاء فى ادعائه او فى الدعوة له .. ان هذه المثل كذلك لتنكر ولتلح فى الانكار ان تكون سببا فى ان يتنابذ اولئك وهؤلاء من حولها ... ان الانسان ، والمثل ، والمستقبل هذه كلها لا يمكن ان تتبدى من خلال التحدي ، وسيعتصي انسان على انسان الحاضر ان ظل يفهم الانسان على انه شرق وغرب ، والانسانية على انها شرق وغرب ... ذلك لان الحضارة ـ التي تتمثل بها الانسانية تمثلا ماديا وفكريا ـ واحدة فى

مفاهيمها الكبرى تقوم جوانب منها في كل ارض لتلتقي التقاء منظما رائعا حول قمة واحدة هي هذا الانسان .. الانسان الذي لا ينكر جانبا من هذه الجوانب ولا يقوم بعضها باكثر مما يقوم بعضا آخر .. لانها كلها تعاون مطلق في سبيل انسانية رفيعة .

***

اسطورة ضخمة هذا الذي يقال عما بين الشرق والغرب او كذلك نحب نحن من وطننا ان نرى .. فالعالم اليوم بالرغم من كل هذه الحدود التي اراها هنا بعيني ، او التي تتراءى لي في ذهني في مناطق اخرى من مراكز الثقل كما يسمونها - هذا العالم وحدة .. وحدة في قاعدته .. ليكن ما يكون من امر الرؤوس الحاكمة فيه ، انها تضللها شهوة الحكم ، انها تركب الحكم لتقوده فتركبها شهوة الحكم لتقودها .. ليكن ما يكون من امر الرؤوس « المتفلسفة » فيه .. انها تضللها في بعض الاحيان اوهام « التفكير » فتظن انها بيدها الزمام كله على حين ليس في يدها شيء او في يدها بعض الشيء .. ان حس الانسان السليم الذي اعرفه في وطني ، في مدينتي ، في حيّي ، والذي أراه في كل مكان - هذا الحس ، هذه القاعدة الضخمة المنبسطة من أقصى الشرق الى اقصى الغرب - هو هذه الوحدة ... الانسان الذي يقول لاخيه : هات ما عندك ، لا لتحاربني به بل لتستنقذني ... لا لتستعمرني بل لتعينني على الاعمار ... هات ما عندك فقد يكون هو الذي عندي ، وقد يكون غير الذي عندي ، ولكن الحياة ليست لي وحدي ولا لك وحدك ... انا وانت في هذه اللحظة العابرة من الزمان .. ولكن الحياة لكل هذا التيار البعيد الذي ألمحه وتلمحه عبر الافق والذي سيتدفق من بعدنا ... فلنعلم هذا التيار المقبل المتدفق كيف يجد مثله دون ان نضرب عليه ، منذ الآن ، بالاسداد .

ان العالم اليوم في أعماقه ، في ضمائر أهله ، وحدة ليس وحدة مذهب ولا لون تفكير ، ولكنه وحدة الانسان ليتعاون مع الانسان ... ووحدة الناس ليتعاونوا مع الطبيعة ، والوحدة مع الطبيعة لتمجيد هذا الكائن الاعلى ، جوهر الوجود .. كذلك نحن في وطننا وفي الاوطان الاخرى من حولنا .. فمن الذي يستطيع ان يقول لي اين يقع الشرق والغرب من وحدة هذه الملايين ، وملايين الملايين التي وراءها ؟

***

ما اقسى المغالطة في منطق الشرق والغرب حين يصطنعان الحدود ؟.. انهما من سعادة الانسان يبتدآن ، واليها يريدان ان ينتهيا .. ولكن الانسان يحس انه يعيش مع هذه الحدود في جحيم من القلق والافكار لانه يحس انه لا يندفع اندفاعا حرا صرفا في طريق « الجنة » التي ينشدها في الدنيا ، لا الجنة التي ينشدها في الآخرة .. ان حسه السليم كفيل ان يندفع به ، ان يقوده ، في طريق المستقبل الباسم ، فلِمَ تقام الحدود باسم هذا المستقبل الباسم ؟ اهي حدود بين الشرق والغرب ، ام هي حدود بين الانسان وبين هذا المستقبل ؟. واذا كان الهدف واحدا فكيف تتناكر الوسائل هذا التناكر حتى ليكون العالم عالمين والمدينة مدينتين والامة الواحدة ، كأمتنا ، عشرات من الحكومات ، والانسان انسانين ... اي عقبات تبدو يستنبتها الشرق والغرب في طريق الانسان ثم يقول انها من اجل الانسان ؟!

***

ومر قطار وقطار ، وانتقل الناس هنا وهناك .. ولكني لم اجاوز مكانيَّ هذين .. لقد ظللت استمع الى تساؤلي هذا الذي تملكني في مئات من الصيغ والاشكال .. بدا لي كأنه كل شيء ارى واسمع واحس .. وجدته امامي على المنضدة ، وقرأته في وجه هذا الفتى الذي يحمل الي فنجانا من القهوة .. واحسست كأنما الحمرة المتوهجة في وجه هذه الصبية الصبيحة تصوغه بارقا حادا حارا ،.. ونظرت حولي ، لكأن هذه الشعور الذهبية المتألقة ، هذا الذهب المنثور شعورا حية ، لكأنها هي ايضا تضفر احرفا ونقاطا ، وتنسكب سؤالا ، سؤالا وجوابا هذه المرة .. ان كل ما حولي كان يقودني الى السؤال ، وكل ما حولي كان يقودني الى الجواب ايضا ... ويضع يدي ، وانا هنا ، على هذه الحقيقة البسيطة التي ننطلق فيها في وطننا ، في عالمنا الجديد ... والتي اود لو ننطلق منها جميعا حتى نستطيع ان نزيل هذه الحدود ، ان نلطف من وقعها .. هذه الحقيقة هي ان حاضر البشرية ليس نقطة انتهاء .. انه نقطة من خط سير البشر بالبشر ... ومن يدري فقد يكون بعض نقاط الابتداء .. فليس لنا ان نحجر هذا الحاضر ، ان نقول انه

غاية الغايات ... فما أخصب الغايات .. محال ان نكـون فى قمة التطور ، اننا نحبو على سطوحه الاولى .. فلندع للناس فى الشرق والغرب ـ اريد ان أقول دفعا لهذا التضاد فى العالم كله ـ ان يتابعوا الطريق ... ومحال محال ان تنعكس الانسانية فلا خوف عليها من الردة لان خط الحياة دائما الى الامام والى الاعلى ... افليست الانسانية اذن كلها جديرة ان تمضي مطلقة من هذه الحدود القائمة بين الشرق والغرب .. اليس انسان هذه الانسانية الذي وهب الله اسمى شيء حين وهبه العقل المتضح ابدا والمتطور دائما ـ قادرا على ان يرأب هذه الصدوع بين الشرق والغرب وان يصل ما انقطع بينهما ، وان يخرج على الناس بالجديد؟. واذا كان جديد العلم متوقعا فى كل لحظة فلم لا يكون كذلـك جديد الانسانية ، أعني طريق الانسانية بالناس !!

***

اني اجلس هنا اكتب ... ان حرفي هذا العربي ليتنفس فى هذا الجو بعد ان احتبس ... بعد ان كتب كثيرا من غير كلمات ولا ورق ... انه ليبرق فى عيني وفى قلبي بهـذه الخطوط والنقاط الحلوة فيه ، وانه ليصوغ كل امـاني واحلامي ، كانسان جاء من هناك ، من بلاد العرب .. من البلاد التي تسير على جمر من الرمل والحصى ، وتخوض بركا من الدم ، دمها ، دم فتيانها وكهولها ، وتلعق جراحهـا لتتابع السير فى طريق الغد المشرق .. انسان عربي تتفجر نفسه كلها هنا بكل الذي يتفجر فى نفس اخوته ومواطنيـه هناك من ورائه ، انسان اليوم الذي لم يعرف هناءة اليوم ولذلك يبشر مخلصا بانسان الغد .. انسان يصرخ ان أتيحوا الاتصال حتى تحقق الانسانية كل أبعادها ... فما يزال من امامها ابعاد كثيرة جديرة بتحقيقها ... وهي ابعاد من وعد الله لها.. ان حدودكم ، على جانبيها، ليست عرقلة مادية فحسب ولكنها عرقلة ذهنية وشعورية لهذه القوافل الانسانية التي تنحدر من هنا وهناك ، من الهضاب والغابات فى آسيا وافريقيا تريد ان تكون الدنيا الجنة على الارض لا تجربة الجحيم فى الارض .

مرة اخرى سألتني ما الذي يفصل بين الشرق والغرب، ووجدتني لا اعي فاصلا .. بلى اني لاعي فاصلا واحـدا هو هذا الذي يفصل بين الانسانية وبين مستقبلها الامثل ، المستقبل الذي لي هو لي ولك ، لابني ولابنك .

لقد عرفت الانسانية فى تاريخها الطويل سدودا ضخمة قد لا يكون اولها سد الصين ، ولكن السدود انهارت وبقيت الانسانية .. افلا تنهار هذه القرون بين الشرق والغرب حتى نستطيع ان نشق طريقنا فى غير تجاذب ولا دفع ، فى غـير تعويق ولا اثارة ؟.. افلا تنهار هذه القرون لتبقى هـذه الانسانية التي امرت بها يا رب ! افلا تذهب الالوان ليبقـى لون الارض والعـالم والانسان ؟

شكري فيصل

برلين « فى محطتين متجاورتين من القطاعين »

أوراس ..

عنـوان أبي :
قمـة اوراس
فرقـة طـارق
والافـق رصـاص
ودم تسبح فيـه زوارق
وشـظايا خوذ وبنـادق
تتطاير مـع أشـلاء سـود
كانت تتوعـد يوما مـا اوراس
والليـل سـدود وخنادق
وعيـون تتحـدى الظلمة
وشـفاه تهمس يا اللـه
فتردد همسـتها القمـه
وتصب عـلى الليـل صواعق
« لذريق » يموت عـلى قدمي « طـارق »
« لذريق » يموت
فلتدفـن « مدريـد » الرمه
ولتصنـع « باريس » فيالـق
والليـل كفيـل بالانبـاء
باريس صبـايا وعـذارى تشكو الوحده
تتلوى في حضـن القلق المجنون
وفـراغ الخمـارات سـؤال
أيـن الـرواد ؟!
ما عـادوا للشـرب الليـله ؟
شـربوا سلفا نخب العـودة !!
و « السـبين » حنـين
يترقب عـودة نابليـون
ما عـاد الجيش ولا القـائد
اكلتهم أوراس الثـوره
يا بركـان الارض الحـره
يا لهب الآهـات المـره
أقسمت بمن كي تتحدى باريس
بالمـاضي أم بالحاضر يا بركـان .. ؟؟ ..

أيوب طـه — **القـاهرة**

قصة الأميرة والفتى الذي يكلم المساء

أعرفها وأعرفه
تلك التي مضت ولم تقل له «الوداع»
(.. لم تشأ
وذلك الذي على ابائه اتكأ
يجاهد الحنين .. يوقفه
كان الحنين يجرفه
فهو انا وانت والذين يحفرون تحت
(حائط سميك
لتصبح الحياة عش حب
به رغيف واحد ، وطفلة ضحوك !

✶

أعرفها وأعرفـه
أميرة شرقية تهوى الغنـاء
تهواه لا تحترفه
وتعشق الليالي الماسيّة الضياء
« صاحبة السمو أقبلت ! »
ويصبح البهو المليء ضفتين
وتهمس الشفاه كلمتين .. كلمتين :
ـ « عشيقها هذا المساء شاعر انيق !»
ـ « نعم فانها تضيق بالعشيق »
« اذا أتى الصباح وهو فى ذراعها »
وتهمس امرأه :
ـ « دولابها يضم الف ثوب ! »
وتهمس امرأه :
« وقلبها يضم الف حب ! »
ـ « نعم نعم .. فانها اميرة لا تكتفي
(بحب ! »
ويخفت الحديث ، ثم يهتف المضيف :
« يا اصدقـاء ..
« صاحبة السمو تبدأ الغناء ! »
ويخفت الضياء غير كوة تنير وجهها
وتبدأ الغناء .. « أوف ! »
« قلبي على طفل بجانب الجدار
لا يملـك الرغيف ! »
وتلهث الاكف .. « فلتحيا نصـيرة
(الجياع ! »
ثم تدور عينها لتلمح الذي اصابـه
(الكلام
وعندما يرف نور الشـمس تهمس
(« الوداع »
وفى ذراعهـا عشيقها الجديد !

✶

أعرفها وأعرفـه
لانني كنت كثيرا ما أصادفه
على شجيرة المساء قابعا بنصف ثوب
يقول للمســاء :
« يا أيها الحزن الأثيري الرحيب !
« يا صاحب الغريب !
« أنا كلام الارض ، هل انصتَّ لي ؟
« انا ملايين العيون ، هل نظرت لي ؟
« لي مطلب صغـير
« أن تصبح الحياة عش حب
« به رغيف واحد ، وطفلة ضحوك ! »
وفى ليالي الخوف طالما رأيته يجـول
(فى الطريق
يستقبل الفارين من وجه الظلام
ويوقد الشموع من كلامه الوديع
ففي كلامه ضياء شمعة لا تنطفىء
ويترك اليدين تمشيان بالدعاء
على الرؤوس والوجوه
وتمسحان ما يسيل من دموع
« الصبح فى الطريق ..
« يا اصدقائي انني أراه
« فلا تخافوا بعد عام يقبل الضياء ! »
وعندما يمشون تمشي فوق خديـه
(الدمـوع
ويفلت الكلام منه ، يفلت الكلام :
« هل يقبل الضياء حقا بعد عام ؟! »

✶

ذات مساء كان صاحبي يكلم المساء
فانساب مقطع مع الرياح ثم وشوش
(الاميره
فقربت مرآتها .. وصفقت :
« يا أيها الغلام
« بجانب القصر فتى يخاطب الظلام
« اذهب اليه ، قل له سيدتي تريد
(ان تكلمك
« ولا تقل أميرتي ! »
ثم تهادت نحو شرفة جدرانها زهور
ورددت في الصمت .. « أوف ! »
« قلبي على طفل بجانب الجدار
« لا يملك الرغيف ! »
وأقبل الغلام يسبق الفتى :
ـ « أميرتي .. سيدتي أتيت به »
ـ « اهلا وسهلا .. ليلنا سعيد
« ادخل .. تفضل » .. وانقضـى
(المساء !
وفى الصباح ساءلته .. « ما الذي
(رأيت ؟ »
ـ « سيدتي .. اني رأيت كل خير
« سيدتي .. انا سـعيد ! »
قالت له وعينها فى عينه المسهده :
ـ « أراك قد عشـقتنا ! »
فلم يرد صاحبي ..
قالت له :
ـ « فما الذي تعطيه لي لو اننا عشنا
(معا ؟! »
فدمَّـعـا
ثم أجابها وصوته منغم حزين :
ـ « سيدتي انا فتى فقير
« لا املك الماس ولا الحرير
« وانت في غنى عما تضم أشـهر
(البحـار من لآل
« فقلبك الكبير جوهـره
« جوهرة نادرة في تاج عصرنا
« ولو قضيت عمري الطويل أقطـع
(البحـار
« وأنشر القـلاع
« وأبسط الشباك ، أقبض الشباك
« لما وجـدت مثلهـا !
« لكنني وجدتها هنا
« وجدتها لما سمعت لحنك المنساب
(كالخرير
« يبكي لطفل نام جائعا ! »
فابتسمت قائلة ... « لا ... انت
(شاعر كبير !
« يا سيدي .. انا بحاجة الى أمير
« الى أمـير ! »
وانسـد فى السـكون بـاب !

✶

أعرفها وأعرفـه
تلك التي مضت ولم تقل له « الوداع »
(.. لم تشـأ
وذلك الذي على ابائه اتكأ
يجاهـد الحنين .. يوقفـه
كان الحنـين يجرفه !

احمد عبد المعطى حجازي

القاهـرة

تمزق الروائي الراهن

بقلم محيي الدين محمد

« تحريرنا من خوف الموت ..! »

لم يكن على اندريه مالرو غير ان يقذف بهذا النداء ، ليصبح روائي العصر الواغل في شرايين الانسان الحديث ودمه ، والمكتشف لقلقه العصري ..

الانسان هو دائما ضد شيء ما ، ليستطيع على الاقل مجاراة طبيعة النمو فيه ، وليتمكن من صد تيار الابدي الذي يعيد صوغ عبوديته لاشكال عديدة من الآلهة .. ولم يكن هذا الانسان التاريخي يفرغ من معاركه ابدا ، فقد انتصر على المذلة ، والاثم والطغيان .. وقارع بمناقب الفرسان ، الكذب والتلفيق ، واللاشرف ..

كل عصر هو معركة بعينها ضد علاقة او شر ، ولكننا لكي نكتشف مثيري المعارك ، لا نستطيع ان نقيم معرفتنا على أساس نجاح أشكال معينة من الروايات القديمة ، فلا يمكن ان نحكم على (الديكاميرون)بأنها صورة لعصرها ، لا لشيء الا لانها عمل ما زال حيا ! فليس ذوق الناس ولا التاريخ يمكن ان يدل على علاقة الرواية بعصرها ..

ان رواية ما ليست جانبا من الروائي ! انها الروائي بذاته مقذوفا كل لحظة فى ضمير جديد .. ومعجزة جديدة : الليل يعمق،الليل والظل وديمومة الشك .. والروائي هو النبي الذي يسجل الظلم والاحساس بعري الانسان ، مفجرا فيه الثورة والانقلاب على كل القيم التقليدية ..

للروائي بؤرتا نظر ، احداهما تجمّع الخارج كله في حرارة رغبة ، وفي لهب امنية .. والثانية تحرر الداخل وتكشف الطلاء الذهبي للخارج ، فيصبح الانسان لا ضد التقاليد .. بل بازاء الكون ..

ان تطور الرواية المستمر يوصلها الى النقطة الحرجة في تاريخها جميعه .. وهو : ما الذي حققته الرواية القديمة حتى تدّعى الرواية المعاصرة انتصارها في معارك جديدة ؟!

يستعد الروائي الراهن للاجابة عن كافة الاسئلة التي يوجهها اليه البشر المحدثون ، فيلاحظ العالم ، ويغرق في خضمه ، ممارسا للسياسة ، ومتابعا لتطور الجدل الفلسفي، وعلوم التاريخ ، والرياضيات .. انه ينبىء عن جدارته بقيادة الجماهير ، ورغبتهم المثلى في ان يكون بطلهم على دراية بكل مشاكل الكون ، ولذلك يصبح ضروريا له ان ينساق مع العام ، ضد التقاليد والمدرسية ، على ان تقدم الرواية في الزمن يسمح لمعارضي هذا الشكل من اشكال الفن ان يتساءلوا عما اذا كانت التقاليد قد شجبت نتيجة لهجوم الرواية المتواصل ؟!

انني ارسم كي اسمِّر خوضي في العالم فوق لوحة ، فلماذا أكتب الرواية ؟! ان كافة الفنون تتجه الى أن يصبح الله مشرقا في البشر .. ان يكونوا في الحرية .. وان يعلوا شرف الانسان وطهره ..

اما الرواية فهي تضيف الماثل الى الخيال ، فبالرغم من أن بطلها لا وجود له في هذا الشكل بالذات ، الا انه موجود وحي في كل شكل انساني .. فأخطاؤنا واحدة ، وكذلك شرورنا . انه بيننا هذا الرجل فاحذروه .. انه منقوع في سمنا المشترك .. لانه نحن !!

الرواية التقليدية تنقل احساس الروائي وروحه الى ضمير القارىء .. بيد ان القارىء حر باستمرار فى ان يجرر في مهانة لا تغتفر ، حرية الروائي في الوحل ، فليس مكشوفا كعري امرأة ، هذه النفس التي تخص بطل رواية ما .. انه نفس في الداخل ، وهو الى الابد ذلك الآخر.. انه ميت بالنسبة للقارىء ، ولذلك فحرية القارىء تربط حرية البطل الميت الذي لا يستطيع الدفاع عن حضوره .

البشر يعيشون قلقين : العالم الاستجابة ، والعالم الطلسم .. ومجابهة الشكل الاول متروكة للعلم ، اما الاسرار فقد حاول الفن منذ البدء جعلها طواعيته .. بيد ان العلم يكشف المرئي والمنطقي ، ولذلك فهو موافق عليه .. اما الفن فهو يتجنب المنظور والمحسوس ، والا سقط في التقريرية ، ووصم بالفرار .. منذ آلاف السنين والرسام يلوّن ، والنحات يشكل الصخر ، والشاعر يغني .. بيد ان الرواية هي فن هذه العصور ، وهي لذلك تختلف عن كافة الفنون التي تعالج سرية العالم، وهي لذلك ايضا تمسك اليها القلقين: الاستجابة والطلسمية فتحارب العقيدة والتقليدية ، وتغزو الخور وتسوق الحرية ، وتنكل بالدكتاتورية : انها تخوض في شرف العالم وجبنه وكبريائه .. انها ترتبط بانسان النزوع الذي يستعمل كافة الوسائل للتقدم : الحساب والحنين ، الرصاص والشعوذة .. وهي ايضا ميزة هذا العصر الذي يقف ضد سلطة الحكومات المطلقة ، والافكار المعلبة ... ان يظل الروائي سامقا .. وان يجد صداه في المجموع ، فلا بد ان يكون الروائي قريبا من الجمهور كيما يظل الوفاق بينهما مستمرا .. ولا بد ايضا للروائي أن يتخطى فهم الجمهور ليجرّ اليه القيم الفارة .

هو هذا الرعب ما يدني الفنان الساحر القديم : ان يفقد جمهوره ، وان يصبح منشدا للصم . فاذا فقد هذا الرسول الذكي اسطورة العبير التي هي اشتراك حساسية انف ، بكيمائية رائحة .. اصبحت متابعة الصراع بدون جدوى .. وهنا القلق المعذب الذي يعيشه الروائي الراهن. انه فوق المرئي لانه يحرر الداخل ، وهو في المرئي لانه ضد الخارج، ولا بد ان تضم الرواية خارجا وداخلا ليمكنها ان تنتمي الى الحاضر .. فكل بطل هو وجود ، في حين انه العدم بالذات ، وكذلك كل جملة ، هي منطوقة ولا

منطوقة أبدا ، في الحاضر ، وأعلى منه .. ولذلك كان على الروائي ، وليس على الرسام او الشاعر ، تبعة الصاق المطلق بالجزئي ، الحيوي باللاحيوي ، ولهذا يقف ضد الموت ليحررنا من أسره ، وضد المجهول ، والبشاعة والقرف ..

كل بطل هو الدونكيشوت بالذات ، مادامت أمامه معارك لم تنته ، ونزاعات لم تفض ، وعداوات لم تنقض : كالياييف . دون كاميللو . هودرر . سابتن . بابيت ..

انه مصير واحد ما يساقون اليه ، هو ان يشهدوا موتهم ذاته ، في هذا الحريق الوحشي الذي يدمر سعادتهم وأفراحهم ..

لماذا يبذلون كل هذا الجهد .؟ ولماذا لايكفون عن العراك ويعيشون في هدوء .؟

أتساوي الحياة كل هذا الانين والبكاء والثورات ؟!

ان الروائي الراهن يتجه الى كشف وضع الانسان في العالم ، وهو يستخدم لذلكلاالحساب ولا دقة الهندسة .. ولا الاحساس .. انه يعيد صوغ المعجزة القديمة ، التي كفر بها البشر لما صدرت عن الرسل والقديسين .! انه طعم الانسانية الى البشر الذين فقدوا مذاقهم .. كما يصبح ضروريا لهذا الفن أن يعلن خلاص الانسان من الوحشية والبغض والجريمة ..

تتجسم روح الرواية الحديثة في أمريكا وفرنسا، وفيما عدا اهرنبورج وبالاسزتشي ، في الاتحاد السوفيتي وايطاليا ، فان الرواية في أجزاء العالم الاخرى مازالت تناضل البدائية والاقليمية ، بدون أن يصبح في وسعها الانخراط في مأساوية الوضع الانساني ومذلته .، ولكي يتيح التحديد رؤية أدق ، يصبح على الباحث أن ينعم النظر في أعمال روائيي هذين القطرين ..

ففي الولايات المتحدة الامريكية ، وطن الزنوج والمصانع والاحتكارات نجد دوس باسوس ، ووليم فولكنر ، وتيسي وليامز ..! أما في فرنسا فهناك أندريه مالرو والبيركامو .

ان فولكنر الذي امضته الحروب الداخلية ، وهزيمة الجنوب ، والصراع الدموي بين اللونين الاسود والابيض يكشف عن سوء طوية الحضارة الحديثة ، فلا المزارع ، ولا الاحراش تستطيع أن تمنع تدخل اليد الغادرة للصناعة .! ان الوثنية تعيد تركيب عقارها السحري في هذا البلد الذي تسكنه وحوش تملك ناطحات سحب .!

ان أروع روايات فولكنر ليست (الضجة والغضب) كما يعلن النقاد ..! انها « أبسالوم أبسالوم ..! »

هذا التعقد الميكانيكي الهائل لاسرة توماس سابتن الذي يسقط في اللعنة والخطيئة ويقبلها جميعا على أنها نفسه ، بدون أن يحاول تغطية عاره ، أو حتى عدم الاعلان عنه .! الحب الجنسي ، والدعارة ، والاغلال ، تغوص في هذه المزرعة الكبيرة التي اسمها الجنوب ، لتصبح سدا كريها يمنع تقدم الهلاك القادم من الشمال .. احذروا المدنية !! بيد أنهم ينكصون ليقبلوا بعد ذلك العذاب واليأس ..

ثم الانتحار ..

ان فولكنر هو دوستويفسكي معاصر ، فليس الجنون فقط هو ذلك المظهر الرسمي المحبوس خلف اسوار المستشفيات العقلية والمصحات ، انهم رمز وحسب .! رمز لنا .. لجنوننا واحلامنا .. ومع ذلك فقد كانوا منا ، قبل ان يتكثف حتى الانفجار حس تجريد العالم من معناه لديهم .. والروائي العظيم لايستطيع أن يكشف عن هذا الحس المدمر الذي يعطاه أولئك الذين تحيا أعصابهم على سطح جلدهم الخارجي ..والزمن .! ان هؤلاء الابطال لا يستطيعون ان يعيشوا في زماننا العادي والا أصبحوا منطقيين جدا . فالتسلسل الروائي مفقود بالمرة ، على حين يصبح أبطال ثانويون في مراكز غاية في الاهمية .. وان ما يشغل فولكنر ليس الا العذاب المتصل ، والرعب الاخرس الذي يعيشه الزنجي والجنوبي ازاء بغض الابيض والشمالي واحتقارهما ، فالذي يبقى من كل عائلة سابتن ليس الا غلام زنجي أبله من امرأة اتخذها يوما خليلة .! هذا الغلام هو الصورة النهائية التي يحضرها فولكنر ليختم بها في مشهد لا ينسى سفالة الانسان ..

ومنذ (بينما أرقد لاموت) ١٩٣٠، و(النخلات البرية..) ١٩٣٩ ، لم تخرج لقراء الانكليزية رواية جسدت مذلة الانسان وبؤسه وحقارته ، كما فعل فولكنر ، ما خلا رواية وحيدة شديدة الاقذاع كتبها فرنون سوليفان Sullivan واسمها (سوف ابصق على قبوركم .!) ١٩٤٦ ، صور فيها وضع الزنوج المؤلم في هذه الولايات المتحدة ، بيد أن خاتمتها المزعجة وضعت حدا لما كان يمكن ان تصبح عليه صورة هذا الانتقام الوحشي ، فيما لو أضحى عقابا عاما ..

والصورة الثابتة عن تينسي وليامز تشجب مشكلة الزنوج لتختار وضع البربرية في نفس هذه الولاية ، فكما أن الاسود والابيض عدوان ، فالابيض والابيض أشد عداوة .. والعلاقة في البغض الاول هي احتقار يقابله البغض ، وهما انفعالان مسببان يتأثران بأوضاع معينة ، غير أن العلاقة الثانية مجهولة وبدون سبب .! انها فقط غرابة هذا العالم الطافح بالفجاجة والحسد والجنون والتعصب ، حيث يصبح كل انسان هو الآخر .. بشارب، وبدون شارب ، كلهم يحمل نفس القلب الجائع للدم، وللقتل في هذا الكون المسكون بزرقة الاوشحة ، وزرقة العيون التي بدون معنى ، في هذه الدوامة من الزرقة : الوشم ، الازهار . المصباح . الليل ، وسفن توشك بالاقلاع .. انه عالم يضع قدمه دائما في الخطوة التالية ، أما ذهنه فهو متأخر دوما بخطوتين ..

فكيف .. كيف يمكن تحديد الاتجاه .؟!

ان الولايات الامريكية هي بلد الاشباح المصاغة في هيئة بشر ، وليست صناعتها وتقدمها التكنيكي يمنعان من وصمها بالوطن اللاانساني ، حيث ينتحر المئات لفرط ما امتلأ القلب بالاوجاع والاسى ، وحيث يقارب عدد المرضى بعقولهم ، عدد كل المرضى بكافة الاوجاع والامراض الى أي منحدر تقود الآلية والاحتكارات والحضارة الصناعية هذا البلد المسكين ؟!

أما فرنسا فروائيها الاول (اندريه مالرو) ليس الا امتدادا للافكار المحض انسانية التي ورثها عن جيد ومونتيني، انه في الخط نفسه ، ضد كل عودة للوحشية .. ولذلك انخرط في الحزب الشيوعي الفرنسي ، ثم أعلن عدم انتسابه اليه ، واصبح (جوليا) لفرط مااعتقد في مقدرة دي جول ، وحكمته .! وفي النهاية ينادي بالعظمة ، والبطولة ، فليس الانسان السعيد سوى نفحة طيب شرقية ، وما على الغربي الا ان يزيل الصدى عن الرمح القديم والقناع الصلب ، ليصبح في خضم المعركة .! ولكن ضد ماذا ..؟!

أيعيد من جديد مشكلة الدون كيشوت الفريدة ؟ على أن مأساة هذا الاسباني العظيم هي اننا نكتشف منذ البداية معرفته لعقم صراعه ، وهذا مايشرك مالرو ، بسيرفانتس.؟ فاذا ما غافلنا رغبة النقاد في اعتبار الدون كيشوت رواية تمثل الحماقة ، والرغبة في مصارعة أي شيء..، وأبدلناها بتمثيل كفاح الانسان ضد الموت ، لاصبح سيرفانتس ومالرو واحدا .. فأي فرق نستطيع تبينه بين واحد من أبطال مالرو ، برغبته الحانقة ، وبين الرغبة المجنونة التي بلا حدود ، وهي بلاء الفارس الاسباني ؟!..

لقد اصاب مالرو هدوء نبيل ، فأضفى على كتبه عظمة جديرة بالاعجاب لم تصل اليها كتبه السابقة المحمومة الثائرة الا نادرا (*)، وذلك لانه بدأ يدرك باع عدوه ، ومقدار خطره . انه يصبح دليل معركة كانت الى وقت قريب غير متكافئة ، وضد ماذا ؟ ضد اقصى حقيقة بلي بها الانسان : الموت ! ليس الموت الميتافيزيقي العام ، بل موتي أنا الخاص ، وقد قهره مرتين ، مرة عندما رفض الموت المسيحي ، والمرة الاخرى عندما دعي لان يطلق كل فرد موته الخاص ، بدون أن يفقد توازنه ، فالبطولة هي أسمى ما في الانسان ، لانها شجاعة فرد ما .!

ويبقى البير كامو ليعلن أن الانسان يولد غريبا ، وهذه السمة سوف تصبح مأساته وذنبه الوحيد .. ومن أجل ذلك يرتبط كامو بخط كافكا الذي يعجب به ، وان كان (للغريب) طابع (المحاكمة) وطعمها الشاذ ، فليس ذلك لان كامو هو نسخة أخرى من كافكا .. بل لان حدة الرؤية لديهما معا تكشف عن الذي يتفاداه الروائيون الآخرون بدعوى انتمائه للفلسفة والميتافيزيقا ..

وان هذه الرغبة التي هيأت الاذهان لهذا الارتباط بين الرؤية وما بعد الطبيعة ، تظل بعد ذلك واضحة في معظم رواياته ، (فتارو) غريب عن وهران ، وسيظل غريبا ، مادام حس الملاحظة المميت يهلكه كما فعل (بروكانتان) من قبل ، وحس الغربة هذا سيظل عذاب كامو القلق ، مادام يتمثل تعس الانسان وتخبطه ، وما ظل يرى الكون كله أبكم ، وفي غير مانور .! وهذه الطلعة التي تبدو وكأنها بتأثير باسكال ، ستصبح خلة هذا الروائي الممتاز الذي

(*) بحسب تعبير روجيه كايوا

يصيبه الهلع نفسه ، الذي أصاب مكتشف عظمة الانسان وبؤسه .! وهذا الحس لايؤلف وحده هذه الرؤية العميقة لتناقضات الحياة ، فليس المهم هو أن نكشف عن الطلاء الزائف الذي يكسو به البشر علاقاتهم ونفوسهم ، بقدر ماهو أن نعيدهم الى البراءة .. ولذلك يرتبط كامو على الرغم منه ، بفلسفة العصور الراهنة التي ترفض كل ميثولوجيا ، لتنظم من جديد دراساتها من علم الانسان ..

الروائيون المعاصرون فى قلب ازمة يحسبون الا فكاك لهم منها الا بطريقين : العودة الى الحكاية القديمة .. أو الانغمار في الشائع ؛ ولذلك يمنون بالهزيمة ، وينتحرون بطول جدران الفشل ، انهم يحكون متاعبهم ويعيدون ترديد النغمة القديمة للفقر والامراض ، مشكلين منظورات رثة من جديد ، أدماها فرط التحديق بها ، وأصبحت رمة سمجة .

وقد افضى هذا الموقف العصيب الى أن يكشف الروائي الاصيل مكمن الداء .. فان كل هذه المعارك التي تهدف الى الغاء الفقر والاحتكار ، والتي كانت هدف الرواية ، لا توصل الا لخلق وعي بمشكلة الطبقات .. وفي النهاية تتولى الدولة او النظام عبء وضع حد لفوضى الاوضاع المادية ..!

وهل يمكن الادعاء بأن (للمساكين) أو (للبؤساء) لدوستويفسكي وهوجو ، أثرا غير زيادة الوعي بالمشكلة..؟!

ان الروائي الراهن يعاني الى جانب اكتسابه فهما لكل شريحة فكرية ، وانتسابه الى قرنه ، حسا عميقا بالتمزق، يغرقه في الوحدة ثم ينشره في العام .. بدون أن يستطيع البقاء لحظة واحدة في التوحد ..

انه يعرف فرط استحالة النصر ، لان اعداءه خالدون، انهم الموت والوحشية وحس الغربة .. ولكنه لايبالي ، فازاء كل هذه المعارك يصبح الظفر نتيجة سلبية ..! فأن نعرف كيف نموت ، وان نعيش فى العري بصفاء اكثر ... والا ندع غربتنا تخوننا .. هي ظفر الروائي الراهن .. انها تبدو بسيطة وعادية هذه البطولات الواهية ، لدرجة أننا نخمن قدرتنا على شجبها والاستمرار في حياتنا

بيد أن أبسط أغنية ، هي دوما أحبها الى القلب ، ولذلك ستبقى الى الابد هذه الرغبة المجنونة في الرحيل الى جزر مجهولة .. وهذا الحنين المقدس في قبول اشواق سرية وعذابات جديدة ..

وكما يحدس النبي بالنقطة الرجراجة التي تصل العدم بالوجود ، هذه النقطة الساكنة والمتحركة ، والتي هي الابد كله .. يجتاز الروائي كل احلامنا التي تجمده في مسافتنا الضيقة ، ليمكنه ان ينشر التمزق الذي يعانيه البشر الآن.

فكما ان كفا توسد رأس محتضر ، أو بسمة في عينيه ، تهبانه مطلق الصفاء في هذه اللحظة الميتة ، فان شجاعاتنا الصغيرة ، سوف تعرف كيف تجابه مرارة أيام لاحب فيها ولا أمل ...

القاهرة — محي الدين محمد

كان ما كان

وكانَ لي حبيبْ
عيناه موجتا غدير .. كان لي حبيبَ
يلوّن الربيع في قريتنا
ويسكب العطور في خمرتنا ...
ويفضح الطيوب ،

***

وكان لي وطنْ
هواه يشرب القلوبَ ... كان لي وطن
في كل سفح ، بالهنا ، يُمَوْسِقُ الزمن
وفوق غاب البرتقال يُطلع الشموس
ويمزج الخضرة بالشعاع
وينشر الشراع
عبر العباب الازرق الشفيفْ
وعند كل ربوة يغازل النجوم
وفوق هامات الجبال ، يحضن القمرْ ،
ويرتدي ، مع الربيع ، حلة الكروم
وَشَملَةَ الزَّهر ،

***

وكنتُ كالحَمَلْ
ألوّن الحنان في المقل
وبالهوى الغض النديّ ، أصبغ الوِديانْ
ليهنأ الانسانْ ؛

***

مع الحبيب ، في بلادي ، كنت كالحمل
استوعب الدنيا هوى ، واكره الشتاء
واسكب الربيع ، في الوديان ، والسفوح
فيستقي نيسان ، ما يشاء
خمرَ الهوى الصافي
من كرميَ المستيقظ الغافي .
كقلبيَ الصافي ،

***

وكان لي قصر ، شفيف اللون ، كالاحلامْ
مطرز الابواب
بالورد واللبلاب ،
فِراشه ، الريحان ، والزنبقْ ،
وكان لي اريكة، خمرية الرونقْ ،
أبهى من الريحان
والورد والزنبقْ ،
اريكة ... يغوص في مخملها إنسانْ
لا يعرف الخراب
ولا يصدّق الذي رواه عاشقانْ
عن قمر الزمانْ
وعن هوى مخالب الذئابْ ،

***

وفي صباحٍ ، كنت كالحملْ
كنت على اسم الحب والحنان
ألوّن الوادي مع الحبيب
وازرع الحنان والاملْ
على مطارف الربيع ، فانطوى الربيع
كما يخرّ طائرصريعْ ،

. . . .

وكان ما كان مع الربيع
فعدت ، مخضوب اليدين ، من دم الحبيب ،
وفوق رأسي من رماد بيتيَ الصديع
– كقلبي الصديع – حفنتان
وعدت يا زمان
ألوّن المقل
واخضب القلوب
وازرع الصرخة في الوديانِ ...
والسفوح : –
« إزرع لك المخلبَ يا حملْ »

محمد جميل شلش

بندقية الآغا

قصة بقلم صباح محيي الدين

خرجنا من لولية نريد الصيد في وادي الروج ، الا ان المطر دهمنا قبل ان نبدأ صيدنا ، فلجأنا الى كوخ في لحف الجبل ، يستعمله الفحامون مسكنا لهم ، حين يحرقون اخشاب شجر جبل الوسطاني ويجعلون منها فحما يبيعونه في المدن .

وكنا ثلاثة من الاصدقاء ، ومعنا دليل من لولية ، اسمه « ابو احمد » ، صحبنا ليدلنا على افضل الامكنة لصيد الارانب في الوادي .

وجمع ابو احمد بعض الاعشاب والاغصان من حول الكوخ ، واشعل بها نارا تجمعنا حولها نستدفيء وننتظر ان يتوقف المطر .. ونقطع الوقت بالحديث . ومضت اكثر من ساعة ، وما زال المطر يقرع سقف الكوخ وجوانبه وينسج على الوادي الذي كنا نراه من خلال الباب برقعا من رذاذ الماء .

وقال ابو احمد :

ــ اذا سمح لي الافندية ، أقص عليهم بدوري قصة .

فقلنا بصوت واحد :

ــ وكيف لا نسمح .. تفضل يا ابو احمد ..

وقلنا في انفسنا :

ــ وما الضرر من قصة اخرى بعد كل ما حكيناه وسمعناه من قصص.

ومد ابو احمد يديه الى النار وعرضهما لها ، ثم فركهما كي يسري الدفء في ذراعيه وجسمه ثم قال :

ــ قصتي غريبة .. قد لا تصدقونها .. لاسيما وان بطلها ارنب . واي ارنب . كأني اراه امامي على بعد الزمن ..

واغمض ابو احمد عينيه كمن ينظر الى مشهد باطني :

ــ كأني اسمع امرأة عمي ــ رحمات الله عليها ــ وهي تصيح حين وضعته على السفرة والبخار يتصاعد منه : « يا ساتر يا رب ، ما أثقل هذا الارنب » . وحين حاول عمي ان يقطعه احس بمقاومة عنيفة تحت السكين ..

واخذ ابو احمد يضحك لذكرياته ثم قال :

ــ لا .. لا .. سأقف هنا .. لاني اذا اكملت قصتي قلتم اني اخترع.

وكلنا اسرعنا الى تبديد شكوكه ، واكدنا له اننا نصدق وسنصدق كل كلمة يقولها . فاعتدل ابو احمد في كرسيه ، وتابع حديثه مبتسما :

ــ اذن .. كما قلت لكم .. احس عمي تحت السكين بشيء يقاوم حدها في ضلوع الارنب ... فكبس عمي وضغط فغابت السكين ، وانبعجت اضلاع الارنب .. واذا بليرة .. بل عشر .. بل عشرين ليرة ذهبية تتراكض وتتدحرج وترتطم على الصينية !

وكدنا هنا ان نقول :

ــ قصتك لا تصدق يا ابو احمد !

الا اننا تذكرنا ما وعدنا به من تصديقه ، فما زدنا على ان قلنا :

ــ غريبة يا ابو احمد ... جد غريبة قصتك !

فأجاب :

ــ بالعكس .. ليس ابسط منها . اسمعوا تاليتها :

كان عمري انذاك اثني عشر عاما وكنت ارافق في ذلك اليوم المشهود عمر آغا والد مصطفى آغا ، صاحب بساتين الناعورة . وكان عمر آغا رجلا طيبا ، ولكن عقله من شغل يده ــ كما يقال عندنا ... وبخيلا كذلك .

وكان والدي مرابعا عنده . وحين فرغت من الذهاب الى الكتاب ــ اذ لم يكن في زمن العثمانلي مدرسة ابتدائية الا في ادلب ــ ادخلني والدي في خدمة الآغا الذي جعلني تابعا له ، احمل كنانته وانظف جزمته .. ويطعمني ويدفع اجرتي ملابس عتيقة .

ومن المعلوم ان عمر آغا كان غنيا ، فقد خلف لابنه مصطفى تنكتين من الليرات الذهبية . ولكنه كان يعيش وحيدا بعد ان ماتت زوجته . ولا يدخل احدا الى بيته .

وكل شهر كان الآغا يركب حصانه العجوز ويتوجه الى ادلب مجتازا هذا الجبل الواقف فوقنا ليرى صاحب الخان الذي ينزل لديه خضرة بستانية وفواكهها ويقبض منه الحساب .. والمدهش في الامر ، ان احدا مطلقا لم ير الآغا يعود بكيس نقود من ادلب حتى انا .. اذ انه كان يطلب الي الذهاب الى السوق لشراء بعض الحوائج بعد ان يكون قد استلم حسابه .. وحين اعود لا ارى أثرا للنقود .

فأين كان يضعها اذن ؟

وذات مساء ــ مساء ذلك اليوم ، يوم الارنب ، بعد ان قبض الآغا نقوده من صاحب الخان وارسلني الى السوق حسب المعتاد ، خرجنا من ادلب عائدين الى لولية . وكان الآغا راكبا حصانه العجوز ، يقوده بخطوات بطيئة ، وانا اتبعه على قدمي وعيناي لا تشبعان من النظر الى معدله العثماني الذي تزينه النقوش ، وهو معلق على كتفه تبرق عليه الشمس .

وكنت على صغر سني ، شغفا بالاسلحة النارية ، وكنت على استعداد للتضحية بأي شيء مقابل استعمال بندقية الآغا . ولكنه ما كان ليفارقها لحظة حتى كان الفلاحون يقولون ساخرين : « لا شك في انها تشاركه فراشه » !

وكنت سائرا وراء الحصان وانا أناجي نفسي قائلا :

ــ اذا لم استطع استعمال هذه البندقية ، فلعل الله يمن علي ــ على الاقل ــ بسماع زغردتها وهي تنطلق .. ولكن الآغا على ما يبدو لم يكن على رأيي .. حتى كدت اقتنع بأنه يخشى استعمال بندقيته .

وكنا ــ في سفراتنا ــ كثيرا ما نصادف الارانب في سهل الروج ، او درغلا او حجلة . وكان الآغا يحمل البندقية الى كتفه ويسددها الى الهدف ولكنه لا يطلق النار . وكنت اجهد نفسي في التساؤل ، فلا اجد في عقلي الفتي مبررا لهذا السلوك الغريب .

وكنا ، عادة ، ننتهي من سفرتنا ، ذهابا وايابا بين شروق الشمس وغروبها . الا ان حصان الآغا فقد احدى حدواته في هذه المرة التي اتحدث عنها ، فوجدنا نفسنا عند الغروب بالقرب من ملس ، في سفح جبل الوسطاني . وغابت الشمس وهبط الليل على السهل، وأناخ الجبل ظله على الوادي ، واخذت البوم تملأ الجو بزعيقها واغصان الشجر تهوم في الظلام ، فقرر الآغا ان الطريق الى لولية ، غير سالمة في الليل .

وكنت شديد الرغبة في العودة الى لولية ، والى حضن والدتي ، فقلت للآغا :

ــ ولكن يا آغا .. بندقيتك ..

فرد علي بحرد :

ــ اسكت يا ولد .. لقد رأينا حرامية يسرقون البنادق .

وقرر الآغا ان يتوقف في بيت عم لي كان يسكن في ملس ، وتربطه بالآغا صداقة واشغال قديمة . وكان عمي هذا يحب الصيد حتى العبادة.

ولم يكن عمي يملك سوى غرفة واحدة يعيش فيها مع زوجته ، فينامان في ركن ، ويطبخان ويستدفئان على مدفأة ضخمة مقابل الباب . ولضيق المكان نام الاغا على طراحة وانا على الارض قرب النار ، بعد ان تعشينا عشاء بسيطا ، حسب قدرة عمي .

وانا نومي خفيف منذ الصغر . وما مر الا قليل على منتصف الليل حتى احسست بحركة في الغرفة ففتحت عينا فرأيت عمي قد قام ، وتناول بندقيته واتجه نحو الباب . واذ مر الى جانبي رآني مفتح العينين ، فقال لي :

ـ يا علي .. ـ وهذا كان اسمي قبل ان اصبح ابو احمد ـ يا علي.. هل تريد ان اعلمك كيف تصطاد الارنب في جحره ..

وقطع ابو احمد سياق قصته ليقول لنا :

ـ بالله عليكم يا افندية .. أهذا سؤال يطرح على غلام في عمري وفي شغفي بأمور الصيد .. وانكى من ذلك ان الفرصة سنحت وليس عندي بندقية .. وعمي لا يملك سوى بندقيته العتيقة ...

واظن ان عمي رأى في وجهي وفي عيني شوقي الشديد لمرافقته فقال هامسا ..

ـ خذ بندقية الآغا ... فان ذلك سيذهب الصدأ عنها ... وسنحشوها من جديد .. ولن يعلم احد بما حدث ...

وكانت رغبتي شديدة .. والفرصة سانحة .. والاغا يشخر ... والبندقية تلمع على ضوء النار الخافتة كأنها تغمزني وتقول .. تعال .. لا تخف .. وسرنا ما يقرب ربع الساعة على الطريق في ضوء القمر ، ثم دخلنا حرشا ، واخذنا نصعد في هضبة منبسطة لا ينبت عليها سوى عشب قصير تملؤه زهور الخزامى .. وفجأة سمعت عمي يصيح بي :

ـ اوعى الارنب امامك ..

ولا شك في ان الارنب كان قد استيقظ لاقترابنا ، وسمعت الاعشاب تتحرك ثم رأيت خيال اذنين يمر امامي .. وخرجت طلقتانا معا ..

وصاح بي عمي وهو يلم الارنب :

« يا عطل .. لقد تسببت في موت سنديانة .. لقد اصابتها طلقتك في الصميم ولن تستطيع الحياة بعد ان مزقها الرش » ..

فأحنيت رأسي في خجل ولم احر جوابا على الرغم من اني كنت متيقنا اشد اليقين من ان طلقتي كانت مسددة خير تسديد ولم تخطىء الهدف .

وحشونا بندقية الآغا كرة اخرى واعدناها الى موضعها ، ونمنا من جديد .. وحين افاق الاغا من نومه في الصباح كان الارنب يطبخ في الطنجرة ، ورائحته الزكية تملأ الغرفة .. وبدا على الاغا الارتياح لهذا الفطور الجميل .. وخيل لي ان حملة الصيد قد مرت بسلام ، حين جلسنا جميعا للفطور .

ولكن عمي ـ مع الاسف ـ تشجع اذ رأى سروره وارتياحه ، فلم يمسك نفسه عن ممازحتي قليلا لدى وضع الارنب على السفرة . واخذ يسرد مغامرتي وكيف قتلت سنديانة ..

وما ان قال عمي اية بندقية استعملت حتى توقف الاغا عن الاكل وظلت لقمته معلقة في الفضاء بين السفرة وبين فمه ، وغاص الدم في وجهه ، وصاح بي بصوت مخنوق ..

ـ كيف يا ملعون .. لقد اطلقت ! اطلقت بندقيتي !

فأجابه عمي ضاحكا :

ـ أي يا آغا .. اطلق واخطأ ..

فاستمر الاغا يصيح بي :

ـ يا كافر .. يا زنديق .. كان في البندقية ٢٥ ذهبة ، ٢٥ ليرة في فم البندقية ، بين الكبسونة والحشوة ..

وتجلت لنا حينئذ الحقيقة التي اعيت سكان المنطقة كلهم .. كانت بندقية الاغا كيسا له وجزدانا ومخبأ اثناء سفره .. وفهمت حينذاك كل شيء في لحظة واحدة .. لماذا لا يستعمل الاغا بندقيته ابدا .. وفهمت بالاخص اللبطة التي نلتها من رجعة البندقية على كتفي .. وكيف خيل لي ، حين خرجت الطلقة ، ان رشاشا من الذهب ينتشر في ضوء القمر ..

ولم يكن لي امل في عفو الاغا عن هذه الجريمة الشنعاء ، فأخذت انظر في اتجاه الباب ، معولا على الفرار منه والقاء نفسي في اول مستنقع اصادفه ، ادفن فيه مصيبتي .

ولكن صوت عمي اوقفني عما عولت عليه ، وامتزج به رنين ليرات ذهبية تتدحرج على الصينية . وقال عمي ضاحكا :

ـ ها ! ها ! الان فهمت لماذا كان الارنب عاسيا ، لا تخف يا علي ... الامر اهون مما تظن ..

وقال يخاطب الاغا :

ـ هذا الصبي صياد من الطبقة الاولى .. له مستقبل هائل .. هو الذي اصاب الارنب بطلقته .. واية طلقة .. ٢٥ ذهبة ..

وتوقف ابو احمد ، ليدع لنا مجال تخيل الموقف وتذوق طرافته ثم قال :

وهكذا ـ ولكم ان تصدقوني او لا ـ كانت طلقتي هي التي اصابت الارنب في الصميم .. وعثرنا على الليرات الواحدة تلو الاخرى ، ونحن نفصفص الارنب.. وكان في الليرات ريح البارود .. الا انها كانت سليمة غير منقوصة .

ـ كل الليرات يا ابو احمد ؟

ـ أي والله .. فقد كانت اضلاع الارنب محشوة حشوا بالذهب .. وانحشرت ليرتان في رأسه ..

ـ واستعدتم الليرات كلها ؟

ـ لا .. لا تتخنوها .. لقد نقص منها ليرة واحدة اقتطعها الاغا من حساب والدي بعد اخذ ورد طويل .

* * *

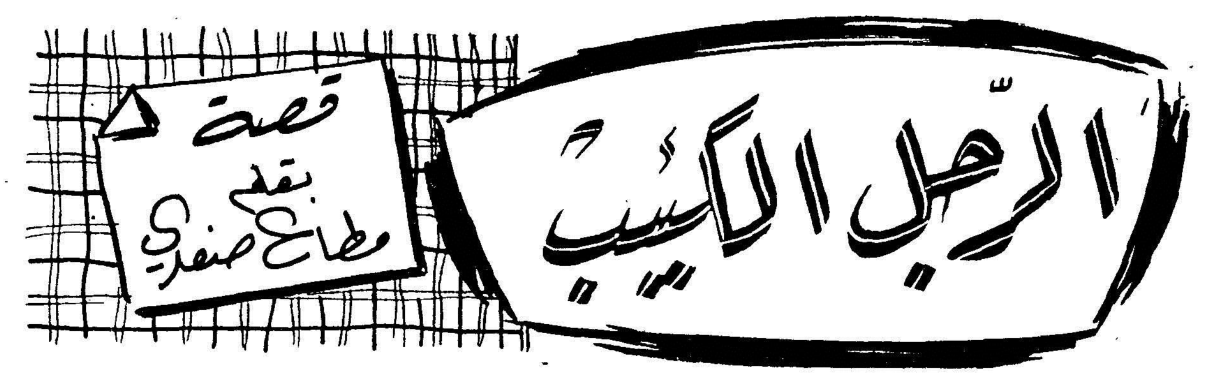
وكان المطر قد توقف واخذت الشمس تظهر من خلال الغيوم ، فخرجنا من الكوخ .. لنعود الى الصيد .

الكويت صباح محي الدين

تين وجميز ...

غادرت يوما مكتبي ، تعبا من العمل
، الطويل
وذهبت بعد العصر اطلب راحةالقلب
الكليل
فأخذت أمشي هادئا
انا والاصيل
ومررت في سوق الفقير
هذي هي الاكواخ يخطر بينها خلق
كثير
رجل ضرير
وفتى يقود حماره العاري الهزيل
والصبية اللاهون
والمرح الكئيب
والعابرون الهازئون
وباعة الحطب القليل
والصانع الغشاش
والمحتال
واللص الخطير
والحضرمي الشيخ يلتمس النقود
بين المغفل والغرير
ببشاعة الحرص المثير
والبدو تمتار العشاء
وجمالهم معهم سواء
وبنو الحضارم من سني السبع
للعشرين يرتقبون ايدي العابرين
وعلى الحوانيت الصغيرة يقفزون
والخادم الهندي يصرخ فى الحضور .
« من شاف لي التيس الغطيس ،
وامه الحمرا ، ومعهم جفرتين» ؟.
وهناك جاوى يدور ببيضتين
باضتهما في نصف اسبوع دجاجته
(فجاء
يبغى ببيعهما العشاء
وترى النساء السود تقعد عاريات
للمبيع
لكأنهن من القبور
خرجن فى يوم النشور
يصخبن قربك بالرطانة والسرور
هذي تبيع مقددا
وتبيع هذي سمسما
وتبيع تلك « الجبجبوة »
وتبيع رابعة عطور
وتبيع اخرى اللوز مقشورا يكوم
(للزبون
وهناك اعرج يطلب الصدقات في
(صمت مرير
ويمر بين القوم « بالجميز » بائعه
(يصيح
ولسانه غير الفصيح يقول فى كذب
(لذيذ :
« يا مال حما والشام .. اكله
(والوداع .. »
« اصلك عجب .. يا شهد .. يا
(مال التجار .. »
« ما يا كلك الا امير .. »
« او صاحب الكيس الكبير » !!
ووراءه فى الركن جيفة نعجة ماتت
(قريب
ماتت لاسبوعين فى حدث عجيب
جاءت لتسرقها يمانية من المتسولات
فتسلقت دارا مهدمة هناك
فهوت وهرولت الحجار
وتعرقلت وقضت
وداستها الجمال
وتمزقت
وغزا مقاتلها الذباب
ولو الذئاب ترود ثم لقلت ايضاوالذئاب
والى الشمال يهر كلب فى الطريق
وعن اليمين دجاجة
تعبت من البحث الطويل
لا لا شيء غير الروث منتشرا تبعثره
(سدى
تبغى شعير
او ما ينوب عن الشعير
وجهودها عبثا تضيع
ويجيء جندي المرور
عجلان ينذر بالصغير
هذا رئيس المجلس البلدي يعتزم
(العبور
ورئيس غرفتي التجارة والصناعة ،
(والمدير
وطبيب منطقة الجنوب
واخو الطبيب
ورئيس تحرير الصحيفة والاديب
يبغون تزجية الفراغ - « ككل يوم »
(بالمسير
جهة الهواء الطلق حيث حدائق الشيخ
(الكبير
واذا سألت جميع اهل الحي ما
(الشيخ الكبير ؟
قالوا ... رئيس الحي ، مالك ذلك
(المغني النضير
رب القصور
وممتع الرؤساء والوجهاء بالجو الجميل
والتين والزيتون
والعنب المثلج والعصير
وبروضه المعطار ينضح بالعبير .
....
فرجعت ادراجي لاكدح من جديد
كحمار طاحون يدور
وعرفت ان التين والجميز مختلفان
(بين الآكلين
هذا له قوم ، وذاك له كذلك ،
(آخرون ...

محمد حسن عواد
جدة - المملكة السعودية



(القسم الثاني)

لم يكن احد يرتاد دور السينما هذه الايام .. والنهار الخريفي مديد، كظل لافعوان مقتول من عصور ومتدل من غصن شجرة نخرة . كنت اقطع الساعات بالتدخين خلف مكتبي .. ان جاري محام كبير .. وجاري الآخر صاحب جريدة .. جميع اهل المهن الحرة محشورون في مثل هذه الابنية .. ثقوب في الكلس الابيض ، المدهون ببخار العمل .. من كل جسد ، وفكر اشبه بالجسد ... يتعرق هو الآخر ، ويتصارع مع عقول اخرى من اجل النفس .

ولكن .. تحت ، في أسفل العمارة ، على الارصفة .. لا أقدام !..

وحولي من كل جهة في شقق الاعمال .. لا رؤوس ، ولا صخب افواه .. ولا اخيلة متسارعة على الجدران .. لا زبائن من الناس ، ولا بضائع من الناس ، ولا قيم .. سوى هذا الهمود كشهر من آب ميتّع الاشياء والحيوانات والارادات المسلوبة من اهدافها ..

لقد تأخر جاري المحامي الكبير هذا الصباح عن عادته . سمعت هذه المرة ، وقع اقدامه دون ايقاع منتظم . وعندما دخل الردهة القى عليه سكرتيره تحية الصباح ، ولكنه لم يجبه بشيء . صفق الباب خلفه . عاد السكون الى المكتب . فتحت باب غرفتي الوحيدة .. وظللت انظر الى الردهة .. وكان مقابلي يمكث السكرتير وراء مكتب اضخم وافخم من مكتبي .. كانت الآلة الكاتبة لا تلسعها اصابعه المنعظمة .. كان دائب الحركة بين اوراق . ومقاعد الزبائن لا يشغلها احد .

واخيرا تلاقت انظارنا . وفي الماضي كان وجهه الجامد ، المظلل دائما بأخيلة الحروف التي امامه ، يصدمه وجهي الجامد .. وكنت احس بنظرته ، المتنقلة كأسرع من الحرباء بين الزبائن ، تلسعني بسرعة البرق لسعة خاصة ... لا تطال حتما شيئا من جيوبي . والآن فانه يظل قليلا ينظر الي .. والقى بعض كلمات تدغدغ لساني فألقيتها مع نفثات من الدخان :

– انها راحة لك يا سعيد افندي ..

– ما هذه ؟

– الحرب !

– أية حرب تعني ؟..

– بمصر .. او انك لا تعترف بذلك ..

– آ .. نعم .. اتظن انها ستطول ؟ قضي الامر .. وغدا يرجع الزبائن ، ستكون لنا قضايا جديدة ولا بد ..

– وكيف قضي الامر .. يا سعيد افندي ؟

– اعني .. لا ادري .. لكن ثمة نهاية لكل شيء .

وينفتح باب الاستاذ .. ويخرج متمهلا ، ويقف بيني وبين السكرتير قائلا ببرود محترم :

– أتمانع ؟ ..

ودخل قبل ان يسمع الترحيب مني . انها المرة الاولى .. ولكننا نعرف بعضنا من زمن طويل .. وكان الخطاب معدا تحت لسانه ، فانطلق في لهجة رتيبة :

– وانا اقول مع سعيد افندي انه قضي الامر .. ان القصة بالنسبة لي لا تعدو كونها مجرد مناورة سياسية كغيرها من المناورات . وان كان استعمل فيها شيء مختلف هذه المرة . بعض الجنون والدم .. والرعب.

هذا الرجل اعرفه جيدا . ان له وجها مشدود العروق والوجنات كأنه لبس على جمجمته جلدا من المطاط . تغطي رأسه – من أعلى – طبقة رقيقة من الشعر الاسود او مجموعة من الشعرات صففت كل واحدة على حدة ، على مسافة دبلوماسية من الاخرى .. كما يجب ان يكون دائما بين رجال يعملون في الشئون العليا .

واما ملامحه فانها تتكدس بكتل صغيرة حول عوينات رقيقة تشف له العالم . ان وراء هذا الرجل اكثر من ثلاثة آلاف قضية فى محاكم الجنايات والجزاء : من قضايا القتل الكبرى الى قضايا المال الغامضة .. وكلها الى نجاح . القاتل تعتذر منه المحكمة . والنشال الرأسمالي يضيف انتصارا آخر الى برج انتصاراته على يد هذا الرجل .. وتتعنت اصابع السكرتير وهو يضرب على آلته .. ومنذ شهر برم السكرتير من الآلة القديمة فرضيت ان اضعها في مكتبي .. لان آلة جديدة ستتحطم تحت ثقل حروف هذا المحامي .

وصمت سكرتيره الجليل .

وها هو الان يعرض قضية اخرى ، وينفث حولها من كهنوت الخبث واللؤم والعفن .. انها لا تمت بصلة الى قضيتي .. واثرته مرة اخرى :

– ومن سيكون المنتصر برأيك ؟

– ليس من حقي هنا ان اقرر من هو المنتصر ومن المنكسر .. فليس لي أي دخل في المعركة .. ثم أوتظن اننا قد اصبحنا اهلا لان نقرر شيئا من امورنا ؟ كل هذا عبث يا سيدي ، لا يفيدنا شيئا . لماذا لانقدر امكانياتنا ونعرف حدودها ثم نسلك بحسب هذا التقدير ؟..

وكدت ان اصرخ بوجهه ، فلقد كان السكرتير يعبث بلسانه ، اخرجه من فمه وراح يلعق شيئا على شفتيه . بدأ يتغذى . هناك شيء يسيل كالمرق . تلك هي الكلمات الحاسمة التي يعيش منها هو وسيده ولا شك. انه يتحدث عن الامكانيات ، عن القوى التي يخشاها هو اول من يخشى . انه لا يستطيع ان ينظر الى شعبه لحظة . سيرتاع .. ستخيفه تلك البذور .. بذور الشر التي بدأت تنضج في تربة العبودية .. الشر ، الدمار ، الجنون الدموي . شر شعبي .. أواه كيف ستطول مخالب الاسد وانيابه مرة ثانية ؟

لقد ظل هذا الانسان يثرثر اكثر من ساعتين . كان في محكمة من

نوع آخر . يدافع حتما عن فضية خاسرة . تلك القضية التي تتيح له ان يتاجر بالصدق وبسذاجة الانسان في ارضي .. انكون سذجا بعد اليوم ؟ .. كلا يا سيدي . اكشف اوراقك هيا .. انك ولا ريب منهم.. من هؤلاء الذين يعملون في ظلام المعركة .. فيما وراء الخطوط .. في الخلف من كل شيء – من هؤلاء الذين اكتشفت تجارتهم فتاة من الماخور .. الجواسيس . باسم الشيطان .. باسم الشيطان وحده أتحداكم .. أولكم الجرأة حتى ان تكون لكم عظمة الشيطان نفسه .

لقد حل موعد السينما ، وكان المحامي واجيره ما زالا يتحدثان فى مكتبي يضجان بصخب النحاس الاسود . وقمت خارجا من المكتب كله دون ان انبس حرفا واحدا ... واستغرقني الشارع . كان على عادته شبه خال ... وصفرة الشمس تلقى على واجهات المحلات غلالة الموت . ما زال العابرون يسرعون . لا احديتسكع. وبعضالعيون معلقة بالسماء . وافواج الشباب ... الشباب وحدهم ، يطفرون بالحياة . ولكنها حياة حبيسة . ان دمشق تحولت كلها الى سجن كبير . الحرب فى كل مكان ... الا هنا ... كل وجه يصرخ بالحرب ، كل ساعد يود لو يرفع فى وجه عدو صريح . ليتنا نحول هذه المدينة الى جبهة ... انها جبهة ، ولكنها بدون حرب ... بدون حرب .. واضرب الرصيف باقدامي ، واسمع حولي ملايين الضربات على الارض الصماء ، وعدنا نموت ، وعدنا نقرر الطريقة التي بها نريد ان نموت ...

لقد اصبحت وحيدا من جديد . وكنت بصقت من لحظات رواسب ذلك الوجه فى معدتي ... وجه المحامي وشعراته القليلة ، وجلده المطاطي. ان وجوه الناس تتقابل فى الشوارع ، تتأمل بعضها للحظات ، لكن احدا لا يعرف كيفيحب، لا يعرف كيف يصنع الحب له وللملايين. ان الخجل يربك القوي عندما تغله قوة لا يعرف مصدرها .

لقد بدأت احب هذه الوجوه ملأى بالقوة ، ملأى بالخجل . ان احدا من شعبي لا يود ان يتفرج الى الابد على مصيره ... واذا كان كتب لجزء من شعبي لا يود ان يتفرج الى الابد على مصيره .. واذا كان كتب لجزء اللحظة .. تحرق بيادر قمحها من اجل هذا الفجر .. فجر لا بد ان يشرق ، ونحن الذين سنبدع موسمه .

يحين وقت السينما . فى هذه الساعات الجافة من وهج النهار ... بعد الظهر . بعد الظهر حيث تخمد عقول الفكرة الطائشة ... الفكرة الطائشة عن كل تمثال جامد تجعدت فى حجره ملامح تاريخ صغير ... عصر السرعة حيث تهتريء الحواس على عجل ، ويضمر القلب ، ويبقى لسان لاهث متدل من كل فم امام مغريات لن توجد ولن تنتهي ..

بعد الظهر ... وكوم الامعاء فى كوم البطون تجتر دقات قلوب .. لا نفع لها الا فى تحريك طاحون اللحم ..

بعد الظهر مدينتي صفراء خاوية ... تغلق ابوابها دون الحياة . وتتخثر فى النوم ... يجمع المغبون هلاميته ويحشر ميوعته داخل قوقعته .

ما أكلت منذ الامس ... منذ منتصف ليلة امس . كانت قطعة من الجبن الاشقر مع بضع جرعات من الخمر في مطبخ سلمى . وكانت سلمى تراقبني .. كانت تنوي ان تطردني . انها ... لا نفع لها عندي.

لست بحاجة لان اطعم شيئا . لدي نصف ليرة ... ولقد خيرت نفسي ان ابدد هذه القطعة الفضية اما عند بائع السندويش ، او فى دار السينما ... وأحب السينما .

لقد اغرمت دائما بالسينما . منذ ان كنت مراهقا صغيرا ... آواني كرسي منعزل فى دار من دور العرض . كنت اقشعر عند سماعي لبعض معزوفات التانجو قبل العرض ... وخاصة عندما يصدح الكمان فى بداية التانجو وحده على الوتر المنخفض المبحوح . كنت هناك .. معه اعشش فى فجوات الهزات . احس بدفء المرأة . احيا انطلاقة الانسان فى الغرب. استرق قبل الفجر فى بوهيميا ...

وابكي لصور الوداع على الشاشة واغيب فى الافق ... اتمنى ان اكون بطلا .. بطل قبلة ، او بطل وحدة ، او بطل اسطورة .. كنت بلا واقع فلماذا لا اكون بطلا ؟ كنت بلا اصدقاء .. بلا اسم . ادخل السينما في الحفلة المسائية الاخيرة . كان موظف الدخول في كل دار يعرفني .. بائع الجرائد الصغير ، التعب .. المغرور دائما ، الذي لا يكلم احدا ، ولكنه ينظر بعيون تفتح له الجيوب والابواب ..

ذات ليلة جلست قريبا من المتفرجين ، قريبا من طفل كالوردة . وكان الفلم مضحكا .. فضحكت تلك الليلة بشيء من الهذيان .. والتفت الى الطفل لنضحك معا .. عندئذ تحولت الوردة الى قنفذ مذعور .. وانزاح الطفل الى جانب امه .. وسحب يده الصغيرة البيضاء من المتكأ . ايقنت تلك الليلة انه لا سبيل حتى لأن تشارك احدا في ضحكته !

لقد خرج بعض الموظفين من المطاعم .. وها هم ينحدرون الى المقاهي . انهم هناك سيبلغون مجد راحتهم وشبعهم .. يدخنون ، ويتحدثون عن بور سعيد ، ويتأملون في هيئات المارة ووجوههم . وعندما يستمعون الى الصفارة سيبددهم الرعب ... وينحشرون في ثقوب تحت الارض . لابد ان مكتبي اصبح فارغا من المحامي الكبير وسكرتيره الاصم . انه انطلق الآن في سيارته السوداء الى قصره .. وهناك تستقبله العائلة المذعورة.. ان شهيتهم للطعام قد انخفضت منذ بدأت الحوادث . ولا ريب ان ابنته الشقراء ، هذه الصبية التي تأنف من تحيتي كلما صادفتني قرب مكتب ابيها، ابنته هذه قد عرضت نفسها علىطبيبها ليصف لها بعضالمقبلات.. ان هيفاء هذه اصبحت طالبة عندي لمدة شهرين قبل فحص البكالوريا. كانت ضعيفة في الادب فطلب ابوها ان ادرسها لقاء دفعه ايجار غرفتي – او مكتبي العظيم – عن شهرين .

اعجبني شعرها الاشقر وهي مطرقة على الطاولة امامي تكتب .. كان شيئا رائعا حرا كحزمة من قمح حزيران .. ملك الطبيعة ، فلمسته . وعندئذ جفلت الفتاة ، واحتقن الغضب في وجهها النظيف .. وربما اربكها انها لم تر في وجهي ما ينبيء عن جريرتي فعادت الى الكتابة .. وفي اليوم الثاني حبست شعرها .. اجمل ما فيها ضمن قلنسوة خمرية وفقدت بعدها تلك الرغبة الحلوة التي عانيتها مدة تدريسي لها ... واعتذرت من ابيها .. واجفلها تصرفي ، فخابرتني بالهاتف تسألني عن السبب .. واجبتها بكلمة واحدة : أنني تعب !..

ولقد رأتني مرة برفقة سلمى . واتصلت بي في اليوم الثاني تسألني ان كان يمكنها ان تقدم لي موضوعا ادبيا انقحه انا لها . ولقد وضعني والدها امام الامر الواقع اذ دعاني الى تناول الغداء في بيته . وتلك هي المرة الرابعة منذ سكنت في غرفة ملحقة بمكتبه وامتهنت المحاماة .

سألتني هيفاء بعد الطعام في جلسة مريحة :

– لماذا لا تنضم الى ابي نهائيا ما دمت مبتدئا وهو قديم ؟..

– نعم ! هذا سؤال وجيه .. والحق انني لم افكر في هذا من قبل .

– اذن ما رأيك لو تنضم اليه منذ الغد ؟... وسنحتفل الليلة بذلك ..

– ارى انك على عجل يا آنسة .. ثم ما الذي سيفيده والدك مني، فانا كسول .. لا احب الاوراق ، والقوانين .. وكل مرة ادخل فيها

الى المحاكم اقع في مشاكل نتيجة اهمالي او شرودي ..

وضحكت هيفاء براحة تامة ، وارتمت بنصف قامتها الى الوراء ، والتمعت اسنان نظيفة كوجهها .. وددت لو لمستها بلساني :

ـ انك طريف يا استاذ انور .. لم أر شخصا بسيطا مثلك .. قل لي هل لك مورد آخر غير مهنتك هذه ؟..

ـ كلا ...

ـ اذن كيف تأكل ؟..

ـ اسمعي يا آنسة .. لست انا الآن امام محضر تحقيق .. انني اعيش وكفى !...

وبهتت هيفاء قليلا ثم قالت بلطف رائع :

ـ لم اقصد اهانتك يا استاذ ... ولكني كنت احسب ان مهنة المحاماة وسيلة ... بل من احسن وسائل الربح او الاثراء .. وما كنت اظن ان هناك من يجوع منها ... اعني من هو على حالك تقريبا ...

ـ اترثين لحالي اذن يا انسة ؟..

وانطلقت ضاحكا بدوري . وقد اطلت ضحكتي حتى رابها امري ، واحمر خداها من خجل لا تدري له سببا ..

ـ ما عنيت هذا .. كف بربك ... كف عن هذا الضحك ... انك تثير ابي بضحكتك هذه .

ـ وماذا نفعل ؟!

وعندئذ تنتفض مرة اخرى وتقوم كمن يود ان يضع حدا للزيارة ، ولكنها ما تلبث ان تجلس ... وتمر بيدها البضة على عنقها قليلا ، وتتمتم بصوت مبحوح :

ـ كل ما هنالك انني اردت مساعدتك قليلا ... انك على وشك الزواج ، ولا بد لك من عمل حقيقي ...

ـ على وشك الزواج !! من قال لك هذا ؟ اية خرافة تلك ؟.

ـ اما كنتما خطيبين ؟

ـ من .. انا ومن ؟

ـ انت و .. و.. تلك الفتاة الانيقة ...

ـ آه .. سلمى ! وكيف وصلت الى هذه النتيجة ؟ .. كيف حكمت اننا على وشك الزواج .. لم يخطر على بالي هذا المشروع ..

ـ ألا تؤمن بالزواج ؟..

ـ ما هذه الكلمات الكبيرة يا آنسة هيفاء : الايمان .. الزواج .. ليس في قاموسي مثل هذه الالفاظ ..

ـ ما الذي يجعلك قاسيا هكذا ؟

وتلك هي صفة لم اكن احسب انني سأقع يوما تحت نبراسها . ان اصابعي طويلة تقبض على الاشياء بحدة .. أأخشى ان اضيع اشيائي دائما . وفي سحنتي .. وخاصة عند الصباح ، شبح ليل .. ليل من الابدية .. كما لو اني فارقت عتبتها من لحظات . ولكم خانني صوتي عندما كنت اضطر ان اجيب الناس . كانت كلماتي ترن في فراغي كصوت غريب يصدح من جهة ما .. أأكون اذن قاسيا ؟

ورأيت الى عينيها فكان الحنان ، وشيء كالشفقة . فلقد حركت قسوتي شفقتها علي . تلك بضاعة لا ثمن لها .. لا ثمن لها على الاطلاق .

وفي عالمي ليس ثمة من مساومة ..!

عندما توفى ابي جفل المعزون عندما لم يلمحوا قطرة دمع في عيوني..



وعندما سقطت ابنة الجيران من الشرفة ... صرخ بي احد الناس وقد هالته ملامح وجهي .. ماذا تراك تتأمل أتتشفى بمرأى الطفلة المهشمة ؟!.

وعدت الى شفاه هيفاء لأتلقف منها حبات الحنان المسعورة ... الملوثة برضاب بخيل ..

ـ انك لا تستمع الي اليس كذلك ؟ ابدو لك طفلة فضولية ثرثارة .. تريد ان تخلق لها اية قيمة في نفس ضيفها !.

ـ كلا .. ولكن لماذا لا تكفين عن الحديث عنك وعني ؟..

وتلك دهشة اخرى تتأزم بها خلقة هيفاء الرفافة . ولكني اشجعها بابتسامة اشد فيها طرفي فمي المنطبق على نفسه كفم طلسم ابدي .

ـ اعني يا آنسة هيفاء ان حولنا الالوف من الناس الذين يمكن التحدث عنهم دائما . قلوب لا تتناهى ، وعيون تجول فيها نظرات الحياة بالف صورة . كل له طريقه وقصته . كل له اشياؤه الصغيرة . ليتنا نستطيع ان نتعرف اليها ، اذن لبدت لنا الحياة غنية كل الغنى . كان احرى بالانسان ان يحطم المرآة . احرى به ان يشغل عينيه بمناظر الوجوه الاخرى .. انني احب ان استرق الآخر من غربته . لا أريد أن يعرفني او أعرفه . ليس ثمة من وسيلة لحوار متكافيء دائما .. ولكن تحتاج غربة ان تناظر غربة اخرى ... وحولنا العالم ، اننا نعيش فيه ، فلماذا نخفي مكاننا عنه .. انه مكان فيه .. فيه مهما اختبأ وراء بيت او مكتب او مهنة او اب او حبيب.

ـ وماذا تريدني ان افعل .. ان اعيش من اجل اناس لا اعرفهم ؟! انهم لن يحسوا حتى برغبتي هذه .. وهي اني اود ان اعرفهم او احبهم .. اتريدني ان اعترف لك بشيء ؟!..

حذار هذه امرأة اخرى ستعترف لك !..

ـ .. نعم اود ان اعترف لك . لقد كان لي يوما خطيب . كانت كل الدلائل تنبيء انه سيكون رجلا له قيمته ، عاقلا يحافظ على ثروة عائلته ومكانتها في المجتمع .

لم يكن بيننا فروق اجتماعية او مالية . وعائلتانا باركتا هذه الخطوبة . وكان من المقرر ان يكون زواجنا مباشرة بعد انتهاء خدمته العسكرية . اندري ماذا فعل بقصة حب دامت اكثر من خمس سنين وبآمال رائعة اشتركت عائلتان بما فيهما من اصالة ونبالة وكرم في تغذيتها ؟! .. لقد احب المسكين العسكرية وبدأ يتكلم عن ميزات الحياة في الجبهة .. يراقب العدو ولا ينساه لحظة كما لو كان في المدينة .. وهذر بكلمات عجيبة كالامة والبطولة وجيل التضحية .. وانتهى به الامر ان اصبح ضابطا نظاميا واختار مكانا له دائما في الجبهة .. وطبعا انتهى بيننا كل شيء ... قبل ان تلومني على شيء ارجو الا تتخذ مثل هذه الكلمات الجوفاء مادة لنصحي ، فليس ثمة من وجود مصلحة لي خارج بيتي هذا .. أنا اقول ذلك ليس لاني لا اعتقد بالوظيفة او الامة او كل تلك الكليشيهات .. انما اعلم ان لي حياتي التي احب ان احياها بالطريقة التي تلائمني ، فليس هذا كفرا بأي واجب او قيمة ..

– صحيح .. ولكن لماذا كل هذا الالحاح على الاعتقاد او الجحود ؟ لقد فعلت ما بدا لك انه الصواب .. فالرجل برأيك اما ان تمتلكه امرأته او امته ، وبين المرأة والامة نفس الصراع والغيرة والدم كما بين امرأة وامرأة اخرى .. هذا تصوير شعري ، او بالاحرى نفسي جنسي مستورد من بضاعة اليهودي فرويد لتلويث كل معنى اعتقد به انسان.. أليس ما يفرق عادة بين اليهودي والانسان ان الثاني رجل عقيدة دائما ، والاخر مجرد يهودي دائما ؟ فلماذا لا يفلسف اليهودية رجل كفرويد ويحطم كل عظمة جعلت مصير الانسان ارقى بقليل من مصير حيوان ..

– وما دخل فرويد في الموضوع ، فانا لا ادعي ان « تحسين » خطيبي يعاني ازمة ما ، فهو لا يحس انه مخير بين فتاة وامة . فلقد كان من السهل عليه جدا ان يتلقى خاتم الخطوبة . كان ما يزال يضحك وهو يقبض عليه كقطعة من الحصى ثم يرميه بجيب بنطاله ، ولقد خرج لآخر مرة من هذا البيت .. كأنه سيعود اليه بعد ساعات . كان رجلا لا يعرف ما معنى الصراع . كان يضحك دائما كالابله .. ولم يقل لي اكثر من انه يريد ان يبقى في الجبهة .. احب المكان هناك .. جبل رائع من الخضرة تشرف على الارض السليبة .. جيش من الشباب يقف على الربوات بانتظار ان يكتسح السهل .. ما معنى هذا بربك ؟... أليس هذا منتهى الجنون ؟.. ألا يعلمون ان محاربة اسرائيل تعني محاربة نصف العالم ؟ ومع ذلك فهم يقضون زهرة عمرهم في صحراء .. في تحفز مستمر لا طائل تحته ..

– وكيف تقضين انت زهرة عمرك ؟ .. ما معنى ان تكوني في بيت وفي مدينة ... ما معنى ان تولدي وان تختاري زوجا وان تكون لك مطامع ؟ ما هي تلك القيمة الكبيرة التي يحتوي عليها جسدك الصغير هذا ؟ انهم في الجبهة اكثر من افراد ، اكثر من اجساد صغيرة ، اكثر من مطامع حيوانية .. انهم على الاقل يحملون قضية تتجاوزهم جميعا وان كانت صنع سواعدهم .. ومع ذلك من يدري ما هذه القضية ؟ يجب ان تعم الجبهة كل ارضنا قريبا لنعلم حقا ما هي قضيتنا هنا خلف الخطوط .. ما وراء الاسلاك والترقب والحذر المجنون والقوة التي تفترس نفسها . حتى المدافع والمفكر لن يعرف الحقيقة .. ان لم تشتعل بين ايديهما قصة النضال بكاملها . ان كل مناضل يخلق القضية من جديد .. يهبها معنى ان تكون قضية . أجل .. ولكن ينادي بها هذا الانسان المعين ضمن ظروفه ..

وأجابتني هيفاء برنة خيبة منهارة :

– لا ريب انك منهم ... المهووسون ، هؤلاء الشباب الذين يقلبون حقائق الحياة بمجرد الحماس .. ومع ذلك يدعون انهم يعيدون نظام الكون ..

– صدقيهم .. هذا الايمان وحده كفيل بأن يقلب الحياة . لا يخلق الحياة دائما الا مؤمن .. ولقد كان بعض المهووسين في تاريخ العقائد يخلقون الحياة وهم يؤمنون بعالم فوق الحياة أي بقتل الحياة ... فما رأيك لو ان جيلا يريد الحياة بالحياة نفسها وللحياة ..

– ولكن المسألة تبقى كما هي .. مجرد مهووسين .. وانت منهم ، ولكن لا يبدو عليك انك حي على الاطلاق ..

– تلك هي مأساتي .. فانا لا اعرف بعد كيف اكون مع النور او مع الظلام نهائيا ..

انا كلنا هكذا ... ولكن بالرغم من هذا فلكل حريته الخاصة ..

*

يئست هيفاء مني وحملتني خيبتها ، فحملتها فوق عشرات من الخيبات الاخرى .. لقد كان يكفي ان تصنفني انني .. منهم ، هذا الصنف المخيف الغامض ، حتى تنتهي من مشكلتي .

وما انا بعد الا فوق كل صنف .. انني هذا الظل الطويل الذي يتأرجح على غبار الارض .. يسير امامي على الرصيف في شمس ما بعد الظهر الكئيبة .. معدة خاوية ، وحلم بهدأة على كرسي منعزل من اية سينما .

لقد كنت املك دائما هذه النصف من ليرة الدولة . استطيع ان افعل بها ما اشاء سوى ان اكون مجرد جوعان .. انسان طويل القامة الى درجة مخيفة .. يخشى بعدها ان يتثنى ، ان ينعطف على بطنه مرة . لن يصرخ : اطعموني ، سأبقى جائعا . تلك مسألة لا افكر بحلها اليوم او غدا . انني استطيع ان اعمل حالما يحلو لي العمل .. وتلك هي حكمتي دائما ، ذخيرتي التي تجعلني لا اخاف اكثر ، لا استذل نفسي لمعدتي فحسب ..

ابحث عن شيء لا القاه في مال او طعام .. ابحث عن هذه القضية التي لا القى لها ظلا حقيقيا الا عندما تنطفيء المصابيح كلها ، وتفرغ الشوارع من حمولتها ، ويقف بائع الجرائد الضئيل يطمع في عملة ضئيلة تملأ يده الصغيرة .

لقد اشتركت بالجوع وبفكرتي عن الجوع مع شخص طريف ، احببته دائما ، او انني اردت ان احبه ، وان لم استطع ذلك باستمرار . كان شابا ممتلئا بالعضلات ، يكاد يكون كله عضلة متوترة تلقاء اية عضلة اخرى من نوع آخر . يحب ان يقاتل ، ان يصارع ، يبحث عن حفلات الملاكمة ليعرض قوته ويتقاضى بضع ليرات لقاء بضع كلمات وكدمات في الانف والعيون . حتى لتزول دائما ملامحه ويتحول وجهه الى كتلة من اللحم الاحمر النازف .

كنت لم ازل ابيع الجرائد المسائية في احياء المدينة النائية ، بينما اعمل طالبا في الجامعة خلال النهار . وفي احدى الامسيات اجتثتني فجأة يدان من جذوري .. وبرز لي وجه من الظلمة ضار حاقد ... مسكين .. أتبيع جرائد الرياضة يا هذا .. اعطني واحدة ، لن ادفع لك .. تجار الرياضة اين هم الخبثاء .. اما من حفلة ضرب .. اما من مصارعة .. من ملاكمة هذه الايام ؟..

وبدأت صداقتنا او بالاحرى زمالتنا بالتشرد والجوع والتفكير ليس



بتجار الرياضة والاخبار فقط .. بل بكل تجارة تختنق بهـا قيم الحياة في بـلادنا ..

لقـد اصبح يحمل عني جرائد الرياضة ويمضي بها الى النوادي ، وهناك يضطر بعض الناس الى شرائها كلها .. ونتقاسم الارباح ، كانت له طريقته العضلية في كسب العيش .

وكنا نلتقي اخيرا .. في نهاية السهرة .. سهرة في الشوارع .. وبين الايدي والوجوه العابرة .. الناس الذين يدفعون لقاء جريدة ، اية جريدة ، يقتلون بها الوقت .. هي كل قراءتهم .. انها البضاعة التي تعوضهم عن الكتب ـ يتحدثون بعناوينها في أي مجلس ، ويبرهنون انهم يديرون العالم .

نلتقي اما في الخمارة المعهـودة .. او في حجرته . احببت تلـك الحجرة دائما .. ما كان فيها سوى بساط و(منقل) للدفء او لوهم الدفء ـ وهناك يحلو لي التمدد ساعات استمع فيها الى بطـولات (ابو الفوارس) ـ وهذا لقبه ـ كان يعرف كيف يتحدث عن القـوة ، عن صور القـوة ، عن حوادث العنف التي خاضها ، وكان منتصرا فيها كلهـا . ويبدو انه في غاية البهجـة .. كانه قضى نهاره كله بـين حلبة واخرى ، وليس بين درب وآخر ، من دروب الفاقة في مدينتي . كان في حوالي الخامسة والاربعين من عمره ، بينما كنت لم ازل انا في التاسعة عشرة من عمري . ولقد كان يفضل ان يبدأ حديثه معي موجهـا لي نداء خاصا اتوقع بعده ان استمع الى كل حادثة تعج ذكراها فـي رأسه الكبير كدن من الخمر الضحلة .

ـ اسمع ايها المثقف الجائع .. ان كل الذين يحملون الكتب تحت ابطهم او تحت صلعاتهم اللامعة لا يصمدون مجتمعين كلهم .. كل مـن اخرجته مدارس هذه البلاد .. لا يصمدون امام كلمة واحدة مـن قبضتي هذه .. فما نفع هذه الدراسة .. هذه السنين الطويلة الـتي يقضونها بالعطالة ؟ ان المدارس والثقافة ليست الا طريقة شريفة للتبطل يحترمها الجميع .. جميع السخفاء المرتبين في رتب ووظائف .. ماذا يفعل هؤلاء ، قل لي بربك ؟.. ان احدهم ينتقل من مقعد الدرس الى كرسي الديوان .. من عبودية الاستاذ الى عبودية الرؤساء ، من كسـل الجلوس .. الى حقارة المساومة وراء المكاتب الفخمة .. انا اعرفهم .. اعرفهم كلهم ... لقد كنت اجلبهم واحدا بعد واحد لاخضـع رؤوسهم النظيفة الى نعال الحاكمين .. كنت شرطيا ذكيا ذات يوم .. استخدمني رجال كثيرون .. ومن العجيب يا صديقي .. ان الذي كنت اعمـل مـن اجلـه .. يطلب مني مرة اخرى ان اجلبه لأحقق معه .. لقد كنـت ارى السلالم تقلب بين عشية وضحاها ، عاليها سافلها ، وسـافلها عاليها .. هناك لعبة (جمباز) عجيبة لم ادرك سرها بعد .. وتجيء انت تحدثني اخيرا من خلال جرائدك وكتبك عن عظماء ورجال قيادة .. وافكار ومثل .. هيا فليس امامك الا ان تمرن عضلاتك .. وبعدهـا ستجد كثيرا من الناس .. من العظماء بحاجة الى حمايتك .. سيدفعون لك كثيرا .. انت ما زلت في اوج شبابك .. واما .انا فلم يعد لي نفع .. لقد لفظوني يا صديقي .. لم يعد يرضى احدهم بي .. ان اكون بوابا له .. او سائق سيارة عنده .

ويضرب ابو الفوارس بقبضته المتحجرة على حجر الغرفة .. ويذهب في نظرة جامدة عبر الجدار الى ما لا نهاية .

واقول له بصوت منخفض اجش :

ـ ولكن بيدنا ان نغير كل شيء . انا اعلم ما هي الطريق ، الطريق التي لا تحتاج الى استئجار عضلات . ليست بعيدة .. لا تهزأ ، سوف ترى ذلك يوما ما .. من هذه الحجرات في كل حي .. في كل مدينة وقرية .. من مثل هذه الجلسات على البساط وامام محجر لا حجر فيه .. وفي ليل لا عشاء فيه ولا فراش ، وتحت سواد الوف مـن الحروف .. ومن بين الورق .. الورق الذي يباع ويشرى ، من كل حجر لا تعرفه الشمس ... مني ومنك .. من بقايا الوجود .. من رواسب المجتمعات .. من جحافل الحقيرين الذليلين من الذين لم يدخلوا بعد في مراتب النبالة .. الذين سيصنعون نبالة جديدة .. من هؤلاء ستبنى الطريق .. هـذا هو دين العصر .. كل الاحقـاد ستجد اكوام هشـيمها ...

لكم اتمنى ان التقي بأبو الفوارس هذا مرة اخرى . لقد انتقل من حجرته وغاب من شوارع المدينة ، ولم يعد يظهر في أي ناد ليبيـع جرائد الرياضة .. اختفى من ساحة التشرد فجأة . ولم تعد لـه حلبة معينة ظاهـرة .

لعلـه عاد الى مهنته القديمة ، فيؤجر عضلاته مرة ثانية لرجل او نظام بحاجـة الى حماية .

يحدجني بائع التذاكر ، المنكمش خلف نافذته ، بنظرة وجلة مستغربة ثم يأخذ رجل التذاكر في الداخل تذكرتي بذات النظرة . ان السـينما تستمر لمجرد الاستمرار .. ولكن لا معنى لها هذه الايام .. ولا معنى اطلاقا لمن يدخلها . انها فاتحة ابوابها .. نعم . ولكن ليس من المتوقـع ان يدخلها احد .. ككل مؤسسة في البلد اذ تتقوض على نفسها ... وتجفل امام الاحداث .. الاحداث المجهولة التي تاتي من اقصى الارض .. ومع ذلك فانها على بعد شبر من هنا .. هذه المسافة اللعينة ستبقى تفصل بين الحدث وصاحبه في مدينتي ...

انك تولع سيجارتك ، ولكن من عود ينبغي الا يمس فمك بناره ... ابدا . انك تكتفي بأن تعب الدخان ، والنار عليها ان تبقى في رأس الدخينة .. وهكذا على هذه الطريقة ؛ فاذا كنت ادخل السينما فليس معنى هذا هو انني ادخلها حقا .. واذا كنت اكره المحامي الكبير وابنته المدللة هيفاء ، فليس معنى هذا ان كراهيتي ستحرقهما هما والمكتب والقصر والسيارة .. واكواما من عته العلاقات الاجتماعية التي يرزحان هما واشياؤهما تحتها .

واذا كانت طردتني سلمى من بيتها ليلة امس ، لانني كنت جامدا ، اكثر مما ينبغي من رجل يزور امرأة بعد منتصف الليل ، فهذا لـن يمنعني من زيارتها مرة اخرى .. واذا كنت رجلا طويلا ، محاميا مفلسا، متسكعا ضائعا بين حطام الظلال من كل شيء ، اعبث بكل فكرة وكل رجل يخطر ببالي ، انزو نزواتي بصمت ودون ان تخرج من حدود جسدي ، واتأمل بصمت واثور بصمت ، وتكون لي حياتي كلها داخل جـلدي المشدود .. ليس هذا مؤديا بي لان اكون مجرد التسكع والطول واجترار المثل والحياة البعيدة .

هكذا احب ان يحتويني جو السينما المظلل .واقبع على كرسي مـن مئات الكراسي . واشغل حيزا في هذا المعبد الكبير .. معبد القرن العشرين ، حيث العابد جملة من الناس ، عوضا عن ان يركعوا يجلسون جلسة مريحة تتجه صفوفا وجوههم كلها نحو قبلة واحدة ، تشـع بالضوء واللون والحركة . ها هنا تعرض على العابدين الجنة بكـل صورها ومباذلها وشهواتها . ها هنا يكمن الانسان الغريزي ، وقد وجد الارتواء الكامل لغرائز لا تتناهى . ان الظمأ والشبق المسلول والتطلع المسترق ، يتفتح تلقاء الصور ، ويتحد بتلك الحوادث الموهومة بيـن القبل والعراك والعوالم المصطنعة من هوليوود .

فى بهو المعبدالمظلل يرتفعالسقف بانواره الفضية، لا لينفتح نحو السماء بل ليحبس الانسان في رقعة الضوء المخلوق . انه عصر الكهرباء وليس عصر النور !.. العصر الذي يقدم للجنس ، للفتاة الشرقية المضطهدة للشاب المأفون بشبابه ، للعانس ، للعاهرة ، للتاجر ، لجميع النماذج من بقايا الانسانية فى هذا الجيل ، يقدم الجنة وليس دونها الثـواب والعقاب ، الاله والزبانية .. بل يقدم الجنة ودونها المسافة ، المسافة بين فمك وانفك ، بين عقلك ويدك ، بين قلبك وشفتيك ، بينك وبين كل آخر من حجر او بشر . ههنا اجلس ، وتعرض امامي جنة الآخـرين ، ولكني اقدر ان اجد جنتي كذلك . هكذا ارادوا .. ان أكون وحيـدا لدرجة الخوف من الجنة ، وان تكون جنة لي لا اعرفها !..

ان السينما تفضح مدينتي ، ولكن ليس من أحد في هذه الحفلة . السينما حيث يكتظ البشر . تتراكم نفثات الانفاس المضغوطة ، تتلامس السيقان والايدي والاكتاف .. ويظل مع ذلك كل فرد .. لحلمه تلقاء شاشة الجنة المصنوعة من ظمئي وظمئه وظمئها . وفي المعبد ، كما في معابد الانسانية كلها ، منذ أن هذر الانسان بالاله والاله بالانسان ، وحلمت الحياة بالموت والابدية ، وحلمت الابدية بالفناء ، يتلاقى الخائفون الذين يطاردهم الوضوح وأقانيم الخير والشر . وتضيع الحدود بينالخيال والحقيقة ، ويحسب عشاق المدينة العفنة انهم يملكون قبلة البطل ، وروعة المفاجأة .. وأرضا بعيدة تنبت تربتها الاساطير .

انساننا الاسطوري .. هذا معبده . ومع ذلك اختفى هذا الانسان ، لم يعد يلجأ حتى الى الحلم . ان الحقيقة تملأ خياشيمه برائحـة البارود واللحم المشوي . انساننا يختبىء في حجر ما ، ولكنه مازال يلوك آخر حلم . ومن الغريب انكل الابهاء ، الساحات العامة، المنعطفات الذاوية ، الاماكن العامة أصبحت ملكي .. وهأنا أرتع فيها على هواي !

بضعة اشباح تتناثر في أرجاء الصالة ، لم يشعروا بالمعركة بعد . وهذا هو شبح انسان يجلس امامي . ظهره الي ، ووجهه الى القبلة كالعادة . انه يتلقف صور القبلة ، يؤمن بمعجزاتها ، يصادق بشرها ، دون ان يتجشم في ذلك حتى عناء تحيتهم .

انا لا اعرفه . لا أسأل من يكون . انه حاجز من اللحم المغطى بالجوخ يقوم امامي ، وعلى استواء الكتفين تتكتل كرة من العظم والفكر والشعر. واذا اتيح له ان يتكلم فسيملأ آلافا من الصفحات . ولكنه سيحسب قصته كقصة الآخرين ، وهكذا يصمت عنها ، وينظر إلى وجوه الزملاء .. زملاءهم كل الناس في عقد لم يوقعه احد ولم يتفق على بنوده احـد . ومع ذلك فانه يتجدد مع كل نفس ومصافحة .. واذاعة مـن اقصى الارض الى اذن في أقصى الارض .. الانسانية ، الكتل ، النسخ ، تأريخ سيزيف بكامله بين السفح والذروة والصخرة التي تصعـد الذروة لتهبط ثانية .. والى الابد .

الانسانية ، ماذا تعني هذه الكلمة .؟

كم تحدثت باسمها ولكت حروفها ، وتنفست هواءها . كم ألقيتها كبيرة مرعبة جليلة في وجه أبو الفوارس ، وهو يشتم كل رجل ومرأة وطفل عرفه منذ امه وابيـه واخيه . انهم جميعا وجوه تستحق اللكمات برأيه .

أبو الفوارس يعتبر جمال كل وجه بحسب مقاييسه التي تسـمح بلكمة اعنف ، اكبر او اصغر . وللكمات في دين ابو الفوارس درجات ومعان ، تشبه القوانين ، تشبه قاموس العواطف والفلسفات . ومـن صخب اللكمات تضج كلمة عرجاء عن الانسانية .

هذا الشبح الذي اتلقف ظهره الاسود ماذا يعرف عن الانسانية ؟.. انه وحده . وأنا وحدي ..

هذه يدي تلمس ظهره ، احب هذه اللمسة .

يلتفت الغريب متنفضا . ولم ار وجهه . ولكني أحسست احتجاجا جبارا ، وغضبة أنوفا مرتعدة في الظلام .

ـ عفوا .. لمستك عن غير قصد .!

وخيم السكون فجأة ، وانطفأت أضواء الشاشة . واندلـع صراخ الصفارة ، صفارة الانذار .. وهرع شبح ثم آخر ، وتلكأ ثالث . ثم فرغت القاعة . وبقيت وحدي .

ارخى الليل سدوله يا صديقي . آن الآوان لان نلتقي مرة اخرى . انك في منعطفك مازلت تبيع جرائد المساء .. اواه ياشبحي الحبيب انت الماضي والحاضر ، انك الصدى الذي لايتناهى ، الوجه الـذي استنفذ ملامحي ، الوقفة التي استهلكت ذل البشرية ، اوحقد الصمت والكف المفتوحة للعطاء العابر ..

أتيتك بقامتي الطويلة ، المطوطة بين رأس اعشوشب بأفكار واخـزة كشعر الواخز النادر ، وبين قدمين مفلطحتين تستغرقان الارض كلهـا بوطء مفلطح متمهل مصمغ ، لاصق بالتراب .

انني أتهادى ، وكما قالت سلمى لا حاجة لان احرس ظهري. فليس ثمة عيون خلفي أو أمامي . انني الوحيد في شوارع المدينة المهجورة من حياة الليل ، من كرامة السرقة ، انهم لايسرقون .. ولكنهم ينامـون على حلم الهياكل العظمية التي تتعرى من لحمها في بور سعيد . وتحت الاغطية السميكة يدفنون القلق الاسود .. ألست أنا الاسود ، الاسود وحدي ، المحراك الذي يداعب الحجر ولا يكتسب الا السـواد .. سواد الهباب ..انظر الي ، هـــذا المساء انا مخيف ، أحس انني مارد .. طويل الى مافوق ضفتي الشارع ، الوادي بين صفي البيوت الكلسية ، طويل ونحيل أطل على كل شيء . لقـــد جئتك بالمعطف المهترىء ، والخطوات الكسولة ، والنظر الشزر ، والعنف المصلوب بين الرأس والكتفين . لاتجرؤ أن ترفع رأسك الي .. بيد انني جئتك بقصة هذا المساء ، لقد تحدث الي المحامي الكبير وناقشني حول الحياة العظيمة ،

وانهى كل الدم بحكمة مدنسة بالجرب الاخضر الحائل . وتذكرت أبو الفوارس ، والبطولة المهترئة ، ولعبة التجسس . ولمست كتف متفرج امامي فى السينما ، ونهرتني من وجهه الحانق آلاف العقد الحيوانية المنعزلة على مسافات فى غابها .. بينها مجال دائما للفريسة ، وحظ لها بالفوز الدنيء .

ومع ذلك فان عقدتي ، هذا المساء ، قامة لدنة ، مغزولة من كبرياء المحنة والشعور بالانوثة ، قيمة القيم ... هيفاء التي باعت خطيبها وحشرت نفسها طرفا في قضية : هي أو الجبهة . وراحت تنهش من جيفة ضميرها أمامي .. ورأيت الدم يسيل من بين اسنانها .. انها تشتهيني ، انها تدبر لي فخا آخر ...

وفي عالم المؤمرات والاشتهاء من لندن وباريس الى دمشق ، وبيت المحامي الكبير .. وبين نهود وسيقان امرأة مترفة .. تنعقد لذة الموت ، الموت بالنسبة لمجهول مأمون يحترف اليأس ، ويقتات من التشفي . هل اصارحك بالموت ، بالساعات المطرطة كقامتي التي لا خلاص لي منها الا بان اكون جيفة . ان الاحياء يعيشون جيفهم . واما انا فأريد أن اموت جيفتي ..

صديقي لاتطرق ، لاتتعب من رزمات الورق المسود بالكذب والبضاعة المخدرة ...

صديقي لا تطرق ، لا تتعب من رزمات الورق المسود بالكذب والبضاعة المخدرة ..

هذه الصور البشعة أتقيؤها قسرا عن معدتي . واذا فرغ جوفي .. لن يبقى غير القمامة من كل شيء .

دعوا القبور . نحن الذين نعرف كيف تكون الشهادة فوق كل قبر .. محفورة جيدا بالخط الكوفي .. تتمطى بالآيات .. وبالحكمة الفانية .. هنا تموت امرأة وتبعث اخرى .

المرأة التي أهوى .. الامة التي يجب أن تتزوج جنسي . افتحوا المعابد ... فجحافل العبيد والعذارى تريد ان تقدم فداءها هذه الليلة.

وياصديقي ،يابائع الجرائد الحقير سيطول ليلك ، الى قربك انا ، الى شبحك ينداح شبحي حولي . لاتخف سأعطيك الفرنك . ولكني سأساومك من قبل . الا يساوموننا جميعهم .. لقاء التفاحة ؟

الا يجعلونني الذليل والعظيم معا ؟ الا يذيبون أصفادي من حيث هم يحرقون كياني ..

عندما لمست كتف الانسان ، الانسان الوحيد الذي كان يجلس أمامي فى السينما ، كنت اترقب شيئا ، ما تبين لي قط قبل ان حط بغضبه في الظلام على رحمتي البريئة ..

أردت ان انقذه ..

أرأيت ياصديقي كيف ان كل متقيح يتذوق صديده وحده .!

أود ان اقدم اليك هذه اللوحة :

ترتدي بلوزة صفراء ، وتحتها تنورة ضيقة سماوية .. وتنقذف على ديوان وردي . ويدها بين جنحي البلوزة تجمع طرفيهما على فرقة النهدين . وفم له انحراف بسمة طفلة . وعينان مليئتان بفيض الخوف والحب والثأر الواهي . وشعور واه يغزل خصرها . وتعب مترف يعبق [illegible] الملتف على سورة الرغبة المجهولة ..

الذي يماطلها الجواب ، اللهجة ، النظرة ... الكسول الدبق ، المتراخي على اشياء بيتها العظيم كله ..

شعرها الاشقر جديلة واحدة ، وجسدها حزمة واحدة من المواعيد التي لاتلقى لها زمانا ابدا ..

خيرت خطيبها بين جسدها والجبهة ..

وأنا الآن .. بين ماذا وماذا تخيرني .؟

بين بلوزتها الصفراء ، وجلستها الالهية ، وبين كسلي العميق . كسلي كبئر عششت فيها خمور الازل ، الملوث بالعفن الاسطوري ، المظلم بجو افعواني ، المهجور حتى من صدى السقوط ، من خيال نجم يهوي الى القرار الفاني . لقد اثارتني هذه الفتاة وخلفها هذا العمق : الخطيب المهجور ، والمحامي العظيم ، والقصر الذهبي ، وترف مجرم غاو ... وبعد هذا كله رغبة بمحام ضائع ممطوط القامة ... متهدل الملامح على بطء لامتناه .

ولكنها يا صديقي لصق المنعطف وفوق خوف اللقمة المشنوقة مع حروف الجرائد المسروقة من حقائق الضمائر المجيفة ، تبدو لي فاتنة لذيذة ، اشبه بخيانة رائعة يتقنها جاسوس محترف .

ان خيالي يأبى ان يراها الا ضمن اطار الاجرام الاعظم الذي كان مسرحه شعب العرب منذ الف سنة ، وها هو يتكنف تحت سواعد الفقراء من ابناء بور سعيد .

لقد جئتك هذه الليلة متلصلصا ، مسترقا كياني من بين ملايين الكيانات التي يعشش فيها خبل الحشيش والجنة ، وحريم المآذن واقبية العبودية . المهترئة ، على ضفاف التاريخ ، من كل نهر عظيم اخترق صحراء .. صحراء دنيا الوحش العربي المصفد .

جئت احمل قضية كآبتي التي اصبح لها ملامحي وقامتي ، وصدى خطواتي في منعطفات الشوارع التي تخلى عنها اصحابها لعدم الليل والكلاب الجائعة والحارس المقرور ، وهو يعلن عن وجوده بضربات من عصاه على حجر الرصيف البركاني . ولماذا لاتكون لكل انسان قضية كآبة لها ملامحه وقامته واشياء وجوده التافهة والرائعة .

لاأحب ان ازور سعاد هذه الليلة .

امرأة مستلقية على فراش العهد تدخن سيجارات العطالة ، بدون أصباغ . مومياء الخطايا كلها ..

واذا كانت سلمى ليلة امس قد طردتني ، فهي لا بد ان تفتح لي بابها هذا المساء . انها مقرورة .. وانا مقرور والعالم ليل هائل ، جليد ازلي كل جباله ووهاده وعمالقته من البشرية او الغايات والاحداث الدامية .

هذا هو نادي العظماء ، عظماء البلدة تأكله وحشة عجوز ، وينعق في ارجائه يوم المقابر .. في الحي المترف ، حيث تقوم الابنية كعرائس حجرية ، بينها فصائل من حشيش الحدائق الخربة المؤذية .

وفتحت لي سلمى بابها :

ـ ليس لك الا بيتي هذا مأوى لك ، لعلك لم تطفح بعرقك بعد ... ادخل ، انك جائع ولا ريب ... يا لهذه الصفرة المخيفة ... كيف ينظر اليك الناس ... يا الهي . انك مريع ، ما اشفقت على المارة ، على الناس الذين يحبطون بك من هذه الهيئة المريعة ..

ـ لماذا تخفضين صوت الحاكي الى هذه الدرجة ؟ يجب ان تاخـذ السمفونية عنفها .. انه تشايكوفسكي .. فما الذي يجعلك تكبتين انفاسه هكذا ؟...

ـ انت تحب الضجيج في الموسيقى ، اعرف هذا .. على رسلك ..

وكان ثوب نومها هذا المساء ازرق مموجا بصفرة شفافة . اللون الازرق ... العدم السماوي اللا متناهي ... والعيون الزرقاء من بين الاهداب الطويلة الرمحية ، عيون هيفاء .. لا تعكس اي منظر سوى انها تفرض زرقتها الواهية ، تبثها وهجا باردا ، الوهج الحقير لن يمسني قط ...

واختلجت سلمى من رعشة برد لسعتها قرب النافذة المغلقة ، ومع ذلك فقد اخترقها زمهرير ليل الخريف . فدنت من المدفاة الزرقاء ... وقلت خلال لهجتي البطيئة الزاحفة :

ـ أأسليك قليلا ؟.. اقص عليك بعض الاشياء ؟ أأقول لك كيف انعطفت الى شارعك العظيم ؟.. انت تعلمين ولا ريب ان هناك بالقرب منكم حيا شعبيا . كنت اتسكع هناك في المصلبة ،.. من قبل كانت الانوار تعج في جوها ... وضجيج الباعة ، وحركة العابرين .. ولقد رأيت هذا المساء دكان بائع الفلافل شبه مغلقة تتكدس وراء الواح الزجاج الزرق فيهـا اصناف رديئة من حثالات المجتمع الجائعين، يحمل كل منهم رغيفه وينتظر دوره لا يتلقف بعض اقراص الفلافل الساخنة من المقلاة القذرة .

كانوا صامتين ، مطرقين ، ينظرون الى فقاقيع الزيت المغلي . وبين وقت وآخر تعبث اصابع البائع بزر المذياع فينقل الابرة بـين دمشق والقاهرة ...

القاهرة التي صمتت منذ ظهر اليوم ، لعلها تعود بعد لحظات ، ويرجع الى دمشق فليس الا ضجيج حناجر المأجورين من المغنين ينشدون الاناشيد المصطنعة في اللفظة والنغم والصوت . ولا يفقد البائع الامل فيحرك الزر وتتحرك مع الابرة عيون الجائعين . انهم ينسون روائح الزيت الرديء المقلي ، وبطونهم الجائعة .. وينصتون بين اصوات الامواج الكونية اللجبة، لعل صوت القاهرة يعود : هنا القاهرة ... هنا القاهرة .. ولا شيء ! الا الشعب في المذياع ينقل بعض اصداء القنابل من القاهرة التي كبت صوتها.

في الجهة المقابلة كانت خادمة سمراء تتحدث مع بائع البن . كان الرجل لا يرفع اليها بوجهه . وتضطر الى ان تسكت ثم ترمي قروشها وتنطلق الى بيت اسيادها ... لقد مات الغزل ، والموعد المسروق لن تطاله يـد ...

بعض شباب الحي يلتفون حول نار الحارس ... لم يعد احدهم يراقب البنات . كان الظلام دامسا . وهم حول النار ملامح مترافصة ، ووجوه كامدة ... لحم مسلوخ احمر .

ولكن ناديك ما زالت فيه بقية حياة . امام بابه تصطف بعض سيارات الكاديلاك . بعض الاعيان جاؤوا يلعبون القمار ... القمار الحقيقي ... ترى ما الذي جعلك تختارين بيتك هذا مقابل نادي العظماء ؟.

الصدفة طبعا ... ولكن الا يجد بعضهم الطريق قصيرة بين باب النادي وباب بيتك ... ويقضي ليلة ممتعة مع الارملة الجميلة ؟..

ـ لا اعتقد انك طالبتني مرة باغلاق بابي في وجه الآخرين ..

ـ او انت على استعداد لذلك ؟..

وتشعل سلمى سيجارة .. وتنتهي الحركة الثالثة من السمفونيـة السادسة الاسيانة .

ـ انه يحاول ان يكون بطلا ...

ومن خلال غبات الدخان تقول :

ـ من ؟

ـ هذا الذي تستمعين اليه ...

ـ ولكن ليس على طريقتك .. على كل حال !..

ـ ان اللحن يجتاحه كما يجتاح الزلزال ارضا رخوة حقيرة ، كل منا له عاصفة ، ولكن الاغصان اليابسة ستتحطم اولا .. اسمعيه انه اعطى كلمته منذ البدء ، انه يخفي علمه الابيض تحت دمه .. لقد اظهر راسه من الحفرة ، ولكن اللعنة ، اللعنة المحرمة ... حللت حتى جبينه .. فلماذا لا يعفره التراب ؟..

اسكتي ، لا تقولي شيئا ، الرجل ينداح وجدانه على مستنقع من العنفوان الذي لا يمت لاحد ... حتى ولا لمسخ عـلى الارض . ان تشايكوفسكي يستطيع ان يغمد الخنجر .. ولكن ليس في قلب احد غيره .. بعض الناس ، كهذا الكمان السفيح على آهاته ، لا يمكنه ان يقر بشيء كما يقر بالموت النادر الثمين ...

انني ابحث عن هذا الموت النادر ، ان تغلو عظامنا قليلا ، لا تخافي ، اعلم انك تفلسفين الموت احسن مني . ان لديك الجمال . واما انا ، محترف اليأس ، فليس لي سوى ان اهدد . املك قبضتي دائما لالوح بها ... وفي يوم قريب ساحطم هذا الزجاج الاخرق المكدس بيني وبين الشمس ، لا نور بدون حرارة ، فكيف يعيش جسدي على نور يجرده الزجاج من وهجه وحياته ؟..

هذا الزجاج يجب ان تخترقه قبضتنا يا سلمى .. استمعي اليـه بربك . هذا الموسيقي يعلم انه لا بد له من ان يناضل وان كان سلّم سلفا . ان بطولته هي انه يصنع استسلامه من انتصاراته ذاتها ... هذه هي نهاية سيزيف ، ان الجبل ذاته يجب ان يزول ، وبعد ذلك لن تكون ثمة ذروة وهاوية ومحكوم ينقل الصخرة من السفح الى القمة ..

لماذا نحن هنا ؟ اثرثر انا ، وانت تحملقين ، وتحت غلالتك الزرقاء هذه تخبو شهوة جسد تدريجيا ..

ـ الن تصمت قليلا ، انني اهبك ساعات الراحة هنا ... أفما نظرت الي قليلا ، لعلي وددت ان اقول لك اشياء كثيرة . لماذا تفرض علينا .. على كل من تتعثر به في طريقك .. تفرض احتجاجك . انه سحنة كئيبة فحسب ، وصوت اجش ينبيء عن ان حنجرتك لم يمر منها الكلام العسلي من سنين . الا يلدغ لسانك قليلا بحرف الراء . هذه اللدغة انعم ما في صوتك ، واحيانا تميل بوجهك الى الامام قليلا ... حينئذ ارى انسانك قليلا ، انه كبير ولا يشبهك كثيرا ، لقد اضعته .

ـ او اقول لك العكس ؟ او بلغ بي الغرور الادعاء انني املك حتى شبح هذا الانسان ... انساني ... انا يائس .. أجل ! لكن لن اعـرف لي قوة اكثر من هذا اليأس . اتعلمين ما معنى يأسي ؟.. انه الفأس التي تحطم حديدها على الحجر الاسود البركاني ... تولد ثمة شرارة ، ينعكس على وهجها للحظة ، وجهي في ظلام الابدية.

ومع ذلك لماذا احدثك عن يأسي ، انني املك هذه اللحظات الى جانبك احب ثوب النوم الازرق . احب الشعر الهدل ، والطريقة المهملة الرشيقة التي ترمين بها جسدك على الديوان .. الم اقل لك انني اتقـن الغزل ... عندما احب المرأة التي امامي ادرك حقا انني انا هو الحب ، انـا موضوع هذا الحب اولا وآخرا . فما اعظم غرور الرجل ! ان نظرة امرأة تخلق رجولته ... ولكن هذا الرجل لم يعد له صلة اليوم بي ...

هات العرق ...

ـ التتمة على الصفحة ٨٦ ـ

النتاج الجديد

ثم نسمعه في قصيدة « المنارة الخضراء » المهداة الى البطل الشهيد جـول جمـال :

« لي على أزرق العباب لواء يتحدى وبقعة حمـراء
ايها المدلجون هذا هو الدرب ، دمـاء تجرهن دمـاء
خطه زورق علىصهوة الموج، كما انشق بالشهاب الفضاء
دفقة من دم الشهيد .. وينداح صباح .. وتمحي ظلماء
ولدت امتي .. فللعطر تاريخ جديد .. وللربيع ابتداء
لاتزحزح يا جول قبرك في الاعماق .. للفجر فوقه لألاء
لاتزحزحه.. فالرفاق على الدرب.. وانت المنارة الخضراء »

ان الشاعر ينطلق بهذه الترانيم الساحرة وكأنها سبحات من ينبوع الى ان يقـول :

« يا هوى الجيل يا حديث صغاري وهم يلتفون : نحن الفداء
هتفوا باسـمك الكبير فشالت بالرؤوس الصغـيرة الخيـلاء
نحن في الساح لن تفك يمين عن زناد .. وفي العروق دماء »

اننا مللنا القديم وبتنا نحـن الى نسمة جديدة من الشعر الذي ينفح الطراءة والدفء وصدق الاداء وبساطة التعبير منعتقا من الفراغ والتحجر، نريده شعرا يرشح من القلب ويتقطر من الروح ليجد كل انسان نفسه فيه . وهذا شاعرنا يعبر عن ادق خلجات النفـس ونأماتها بعبارة مليئة بالزخم والحماس واللفظة المشحونة بالحرارة والرقة والعذوبة . ففي قصيدة « ميـلاد شعب » المهداة الى ثورة الجزائر يقول :

« في عروقي ، انت ، في آهاتنـا ... في كل خـاطر
يا دوي الصيحة الحمـراء ... في قلب الجـزائر
لا تعاتبنـي ... تمنيت لو انـي جـرح ثـائر
طلقـة حمـراء ، لحـق في فـم الثـوار هـادر
في الهضاب الشم ... حيث الموت عـرس وبشائر
بوميض النـار ... تروي قصة المجد حنـاجر
بوميض النار يمـلي نفحـات الخلد شـاعر »

انه يبلغ ذروة التجربة والصدق العاطفي والاندماج في جو المعركة عندما يصل الى قوله :

ايهـا الراعش مثلي ، كلمـا قيـل : الصقـور
دمدمت ... فانهـار للطغيـان في المغرب سـور
لم يزلـزل امـة في الارض ، هـول وثبـور
مثلمـا زلزلنـا البغي.. فهل لان النسـور
هل هـدأنا في نزال ... والاعاصير تمور
هـل غفـا للظـلم فيما بيننا طرف قرير
يولد الشـعب على روعاتـه يـوم يشـور

هذا اسلوب سليمان يأخذ من الواقعية الحديثة خير ما فيها من حرية فنية ، فهو لا تأسره القافية الواحدة في القصيدة بل يبدلها في كـل مقطع ، وربما يستخدم اكثر من قافية في المقطع الشعري الواحد كقصيدة « الجسر والمقهى الهرم » التي تعد من اجمل اناشيد الديوان لخفتهـا وروح الدعابة والمرح التي تشيع فيها . وحرية الشاعر في اختيـار اسلوبه تقوده الى نبذ الاصطلاحات المجمدة التي اصبحت كالقوالب المصبوبة وفق اشكال معينة كما انه يبتعد عن الغنائية بعض الشيء ليهتم بالجرس الداخلي ، ويحرص على البساطة وعدم التكلف . ولكنه على ما يظهر لم يتحرر من اللفظة الشعرية التي نجدها لديه منتقاة مهذبة منحوتة ضمن عبارة مترفة مصاغة كسبائك البحتري ، ولكـن الصنعة والتكلف غير ظاهرين ، فلديه القدرة على تطويع الالفاظ لاغراضه الشعرية حتى تأتي مستساغة مستحبة .

اما من حيث المضمون فان القصيدة لديه لا تنمو تدريجيا كالكائن الحي رغم وحدتها وتماسكها وحرارتها . انها تبدأ بنفس العنف الـذي تنتهي فيه ، تقرع الاسماع بموسيقاها الخارجية من مطلعها ، واعتقـد ان ذلك مقصود من الشاعر لانه يعتمد على انشاد اشعاره في الشعب ، وهذا الامر يتطلب الموجة العاطفية والزخمة في النبرات واللهجة الخطابية لكي يتمكن الشاعر من التأثير المباشر على مسامع الشعب المناضل فيدفع به الى التمرد والكفاح الدائب المستمر فينطلق عبر السنة اللهيب .

واني اعتقد ان هذا العصر الذي يستيقظ فيه الضمير الانساني يقظة زادت نظرة الشعب العربي الى الحياة شمولا وعمقا اصبح فيه الشاعر مطالبا بأن يعبر عن قضية شعبه في اعمق صورها .

ولعل من اروع قصائد الديوان « طفولتي » فانها مستوحاة من لهيب الفقر والحرمان والتشرد يلفحها النضال بناره المقدسة فاذا بها قطعة فنية رائعة تضم ما بين احلام الطفولة اللاهية اللاعبة وما بين آمال الشباب المكتمل وعيا ومسؤولية :



سـليمان العيسى

« طفولتي ... يا حـلوة السؤال ، لم تبـرح معي
في بسمتي على الدروب الحمـر ... او في مدمعـي
في جلستـي مع الرفاق حـول كـوب مترح
في السجن ... في انطلاقتي عبر الوجود الاوسـع
في كل نبض لـم تزل طفـولتي .. تحيا معي »

لا بد من الاشارة اخيرا الى القصيدة الافتتاحية بعنوان « يا موكب النـور » فهي قصيدة تقليديـة اسلوبا ومضمونا وبعيدة كل البعد عن الجدة والابتكار والتجديد تتداخل فيها الصور القديمة كقوله :

هتفت بالشعـر .. فانهالت على شفتـي
خطى الضحايا ... ومات الشعر والكلم
يا موكب النـور ... غاظ الليل مطلعنا
واتلعـت رأسهـا من قبرهـا الرمم

ان مستوى هذه القصيدة أدنى من مستوى القصائد الاخرى وليت الشاعر حذفها من المجموعة ، لأن حداثة نظمها سنة ١٩٥٤ لم يشفع لها ما دامت يمكن ان تصنف من الشعر العباسي فما ابعد الفرق بينها وبين قصيدة « الجسر والمقهى الهرم » المليئة بالروح الفكهة والمرح والدعابة انها كالفرق بين البحر البسيط والبحر المحدث الذي استعمله في الثانية اذ قـال :

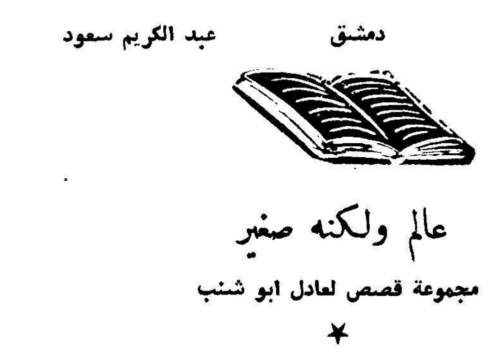
« اجلس ... تسبقك « النرجيله »
وابو عدنـان ... فـتى حيلـه
ولقـد تعييك ... التشـعيله
وترنـق ... نـارك فاصطبـر
فلكـل عسـير ... تذليلـه !!

ان الايمان بالفن للفن يتجلى في هذه القصيدة دون غيرها . واعتقد ان الشاعر المعاصر يكون شاعرا بمقدار ما يغمس قلمه بتراب الارض ودم الشعب حتى تخرج لمسات قلمه وبنات افكاره معبرة عما في ضمـير الانسان من حياة متمردة على الواقع تواقة الى الافضل ، وبذلك تكـون تجربته الفنية تجسيدا لهذا الضمير في ايمانه وقلقه ، في سعادتـه

وشقائه ، في ألمــه وامله .

ولكم يصح في شاعرنا قول بيير جان جوف « يخيـل الي ان الشاعر في عصرنا الراهن يكتب بدمه . » .. اجل ان سليمان يكتب بدمــه عاصفة مستثارة في واحة الرمال الظمأى كي تفجر طاقة النضال العربي.

دمشق عبد الكريم سعود



عالم ولكنه صغير

مجموعة قصص لعادل ابو شنب

✶

« كل ما اكتبه اصدر به عن انفعال شخصي . ثمة مشاعر احسها في مواجهة احداث الحياة، تثيرني اكثر من غيرها ، فأكتبها على صورة قصص، ولهذا فأنا لا اصدر عن فكرة بعينها ، وكل ما اهتم به عند الكتابة ، هو اني اصطفي مما اشهد واحس ، الحوادث والحركات التي تخدم انطباعي وأثبتها على الورق ... اما عن طريقة الكتابة ، فهنا همي الاكبر . فكل قصة ابدأها ، يخيل لي انني يجب ان اكتبها بشكل جديد ، عرض جديد ... أجل انني اعني بالتكنيك عناية فائقة. »

هذا ما قاله لنا عادل ابو شنب ، العضو الشاب في رابطة الكـتاب العرب في سوريا الذي لم يتجاوز العشرين من عمره بكثير ، بمناسبة صدور مجموعته القصصية الاولى : « عالم ولكنه صغير » .

وما يقوله في الواقع يشكل مجموعة الميزات التي يتميز بها كتاب « عالم ولكنه صغير » ، وكذلك حدوده ... ويفجأ الكتاب اول ما يفجأ بالصنعة القصصية التي فيه ، بما يسميه الكاتب نفسه « التكنيك » ، الذي قد يسمو وقد ينحرف ، ولكنه يظل ابدا موضع الاعجاب او الاهتمام .

في احدى القصص : « امسيات باهتة احيانا » يرتفع التكنيك الى مرتبة ممتازة حقا ، وتقارب تلك في الكمال « الفجر السادس بطل » ، «ارض لا يموت فيها الانسان » ، « بكير لسه ع الدموع » ، حتى ليكاد المؤلف يمسك افضل ما يكون المسك ، بخيوط مهنة الكتابة القصصية . ويشعر القارىء الذي باشر قراءة المجموعة وهو لا يتوقع اشياء مهمة فيها ، انــه قد أخذ ، وتعلق بما يقرأ ، وبدأ يحب الكتاب .

فهنا ملامح قصاص حقيقية ، يسيطر على طريقة في الكتابة يعرف كيف يعطيها قالب القصص ، فيثير الاهتمام ويحمل على التعلق ، وفي وقت ما يكاد القارىء يسهو ــ في متابعته الشيقة لاسلوب القص ، وجريه وراء الشخوص وحركاتهم ــ عما في هؤلاء الشخوص ، وفي اللغة التي يتحدثون بها ، وفي اجوائهم بمجموعها من مآخذ ، لا تكاد تغتفر في بعض الاحيان .

فهؤلاء الاشخاص ، مهما كان نوعهم ومرتبتهم في سلم الحياة ، مــن الصحفي المتمرن الى الفلاح القادم من حوران ، يحملون عقليات متقاربة ، وهم عندما يعصرون ادمغتهم ، ينقط منها ذات العصير الذهني : هو ذاك الذي يتميز به المؤلف ولا أحد غيره . انه يقبع وراء كل شخص في كـل قصة . وهذا ما يجعل اكثر اشخاص القصص صدقا واقرب الحوادث الى الطلاوة ، ما كان منها مشابها لظروف الكاتب نفسه.

وليس هذا الامر بمستغرب ما دامت المجموعة تضم بعضا من قصص عادل ابو شنب الاولى ، وقد بتنا نعلم ان اول القصص التي يكتبها الكاتب، اي كاتب ، تعكس تجاربه الشخصية . هي سجل حياته ومشاغــلـه الذهنية . ومن هذه الناحية على الاقل ، كانت المجموعة صادقة في رسم صورة لحياة شاب يعيش عيشة البورجوازي الصغير في مجتمعنا ويفكر تفكيره ... هي آخر الامر صورة المؤلف ذاته .. فعادل ابو شنب يتحدث عن نفسه في مجال تصويره لبعض مشاغل الصحفي الشاب الذهنيـة والنفسية في « الفجر السادس بطل » ، ونسمع وقع خطواته في « بكير لسه ع الدموع » ونراه في تلهفه الاناني لبلوغ موعد مع فتاته في « امسيات باهتة احيانا » ونراه في « الله والزنابق والعبيد » و « الاعوام التي نعد » و « شيء من القلب » ، ونراه اكثر من ذلك في « من الجنوب الـى الشمال » حيث اراد ان يقول اشياء كثيرة في صفحات قليلة ، وهذا على عكس وضعه في « عالم ولكنه صغير » حيث سود صفحات كثيرة ليقول فيها اشياء قليلة ، وفي الحالين لم يبلغ الهدف ، فانقلبت الاولى الى «دايجست» مختصر سريع ، وباتت الاخرى مجرد تمرين في اسلوب كتابي ، ليس هو افضل الاساليب دوما .

على ان هذه الصورة اذا كانت صادقة ، فهي ليست كاملة . اذ ان الاشخاص ــ وكذلك الحوادث ــ يفتقرون الى ارتباطات مجتمعية وثيقة تشدهم الى الطبقة التي ينتمون اليها ، وتبين الصلة التي بينهم وبينها ، وبينهم وبين شخوص الحياة الحقيقيين ، هم جميعا بلا جذور ، معزولون، محصولون عن محيطهم ، يأخذهم الكاتب في وضع معين ولحظة نفسية معينة ويصوغ من ذاك قصته .

وقد يكون هذا هو السبب في انهم يولدون فقراء نفسيا ، غير مبطنين بحواش اضافية جانبية تدل على انهم اكثر من مجرد دمى من لحم ودم .. في أحسن القصص عندي « امسيات باهتة احيانا » ، يظهر الفقر النفسي تماما : شاب يقف في مواجهة موقف عسير ، وكان في وسعه ان يحل الاشكال بتضحية صغيرة منه ، ولكنه لا يفعل . وفي القصة التي تعطي الكتاب اسمها : « عالم ولكنه صغير » ، تتوضح الفكرة اكثر : فهنا غرفة مغلقة على مومس ومعها راوي القصة ، ويدخل الاثنان في حوار لا ينتهي ، لا يتخذه الكاتب وسيلة لانتشار عرضاني ، يوضح فيه ارتباطات المــرأة وارتباطاته هو ، وما قد يكون ادى بها الى ذاك المصير وما ادى به الى لقائها ، او ما شابه ذلك ... بل هو عنده وسيلة للغوص عموديا في نفسية المرأة ونفسيته هو ، والنفسيتان في وضع بعينه والنوافذ مغلقة لا تطل على اي عالم ... وكل ذلك ، لا في صفحتين او ثلاث ، بل على مدى عشرين صفحة او تزيد .

ويريد الكاتب ــ على نحو لا شعوري ــ ان يعوض عن ذاك الفقـر النفسي والانفصال عن المحيط والعزلة ، فيلجأ الى بعض الاضافات الرومنتيكية ، او انه يقص حوادثه في اسلوب غنائي قد يكون محببا مستساغا في ضروب معينة من الموضوعات ، ولكنه يحدد المجالات الكثيرة ويسد الآفاق الواسعة ، وينتهي الاسلوب الغنائي الى ان يكون مأخـذا على ان عادل ابو شنب لا يفرط فيه حقا . ويبقى المأخذ ذاك التجميل الرومنتيكي للحوادث ، واحدى صفاته هنا تحريك الغدد الدمعية لدى الابطال في اوقات غير منتظرة . وفي احدى القصص انخرط جميع الابطال بالبكاء على فترات متراوحة .. وفي كل القصص بكاء وانتحاب مرتـين او مرة على اقل تقدير .

فاذا اتينا الى صفة اخرى من الصفات التي انطبعت بها القصص بسبب اخذها ــ في جل الاحيان ــ قطاعات جانبية من الحياة دون تعمق، كانت تلك الصفة فقر الحوار ولا واقعيته . الحوار في المجموعة اسوأ ما فيها ... فيه يبس ويعبر عن تجارب ذهنية على طريقة توفيق الحكيم او يحتذي حذو البلهوانيات الكتابية التي اشتهر بها الصحفي مصطفى امين وتلامذته ، وهو في الحالين لا يناسب المواقف ولا يمكن ان يكون ممـا يجري على ألسنة الناس ... ولا يرتفع فيه عادل ابو شنب الا عندمـا

يلتقي الحوار بالاحوال النفسية للشخوص ، ونادرا ما يتم الالتقاء . وثمة مثال لا بد من ذكره واعود فيه مرة ثانية الى اطول قصص المجموعة « عالم ولكنه صغير » . في هذه القصة يلجأ الكاتب الى طريقة المونولوج الداخلي مضافا الى الحوار ، ويذهب في ذلك بعيدا بعيدا الى درجة تسيء حقا الى القصة . اذ يفرط في استخدام الحوار واستخدام المونولوج الداخلي حتى ليبدو كأنما ذهب البطل الى غرفة المومس ليراقب تصرفاته الشخصية في ذاك الوضع المريب . وتضحي الجمل التي تتلفظ بها المومس مجرد كواشف (كيمائية) للانطباعات التي تتركها كل جملة على حدة في نفس البطل .. هذه الانطباعات التي يحدثنا عنها المونولوج الداخلي .

✶

تلك بعض المآخذ البارزة على مجموعة « عالم ولكنه صغير » ، وهي ليست كل المآخذ ، اذ هناك معائب صغيرة اخرى لا نوليها كبير اهمية ، لانها غير مهمة بذاتها ، او لانها تبدو عرضية ولا تحمل صفة الشمول . منها اصطناع التقدمية اصطناعا في بعض المواقف وخصوصا في قصة « في عمر الورود » مثلا ، حيث انقلبت القصة الى تكديس للمآسي على طريقة أسوأ الافلام المصرية .

على اني ما كنت لاتبسط في عرض هذه المآخذ لو لم يكن خلفها مادة ذات دسم .

فليست المجموعة كلها معائب .. وليست المعائب التي استخلصتها ابرز عنصر في المجموعة ، والا لوضعت على الرف في صمت . ثمة علامة في هذه المجموعة ، روح جديدة تبعث آمالا عريضة للمستقبل . ان عادل ابو شنب يعاني تجارب كتابية تفصح عن أكل شهية .. فمن حوادث قليلة يخلق جوا بتمامه ... يجند الانطباعات والمونولوج الداخلي وتداعي الافكار ويخلق من الحبة قبة .. وهذا ليس مأخذا جديدا يضاف الى ما سبقه ، بل هو يبين قدرة عادل ابو شنب على الخلق ، كما يرسم له حدوده .

وسنرى ما يمكن ان يقدم اذا هو استمر في اغناء تجاربه الحياتية والكتابية معا . ومن ناحيتي ، أعتقد جازما بانه سيوفق الى الموازنة بين الناحيتين ، وستقوده جرأته في التعبير ومحاولته التجديد في اساليب العرض الى ان يمثل استمرارا طيبا لافضل ما جاء به قبله بناة القصة الجديدة في سوريا .

دمشق — صلاح دهني



مصرع طاغية

قصة طويلة لحسن رشاد

سلسلة « اقرأ » بالقاهرة ـ ١٦٠ ص

✶

تتسم هذه القصة بالبساطة المحببة ، التي تبلغ حد السذاجة ، في الحادثة والتقنية واللغة على حد سواء .

يجلس « يوسف بركات » الى مكتبه « لاكتب قصة حياتي . نعم ، لقد أزمعت اخيرا ان اخرج عن صمتي وان افضي بما احتفظ به في صدري من اسرار خطيرة الى هذه الاوراق المكدسة امامي ... (الصفحة الثامنة) . وانه يذكر يوم كان طفلا في قريته « م » في مديرية الغربية . كان ابنا لفقيه فلاح يحبه الناس لدماثة خلقه . وقد ادخله ابوه المدرسة وهو في العاشرة ، فكان يصاحب « كاظم » بن « محجوب » باشا مالك الاراضي المحيطة بالقرية ، كما كانت في الصحبة ايضا « سهير » و « ماجدة » ابنتا الدكتور « رأفت » حكيمباشي مستشفى المركز ، و « خيرية » بنت « مهران » بك . ويبدي يوسف في المدرسة من دلائل الذكاء ما يجعله موضع ثناء المدرسين . كما يبتدى له في مر الايام انه يحس نحو سهير بعاطفة المحبة والاعجاب . اما كاظم ، فكان مثالا للارستقراطية والعجرفة ، ولد من ام شركسية هي « مشيرة » هانم .

ويرحل يوسف الى طنطا بعد ان يحصل على الابتدائية ـ حيث يفوز بالبكالوريا ، ومنها ينهد الى القاهرة ليلتحق بكلية الحقوق فيها . بينما تنتسب سهير الى كلية الطب بالاسكندرية . وفي الجامعة كانت تدغدغ احلامه امور ثلاثة : « اولها حبي العظيم لسهير وتعلقي الشديد بها وبذكرياتها ، وثانيها هيامي الشديد بان اغدو موضع اعجاب الناس واكبارهم ، وثالثها رغبتي القوية في خدمة اهلي وعشيرتي والنهوض بهم » (ص ٣٣) . ويقبل على الصحف والمجلات يحبر المقالات ، مهاجما النفاق السياسي والاقطاعية ، مناديا باصلاح الريف والنهوض بالفلاحين .

فاذا الحت عليه فكرة النهوض بالفلاحين ، لا يجد بدا من ان يصطحب الى بلدته في الاجازة الصيفية الثالثة نفرا من زملائه . وهناك تصطدم امانيهم بمعارضة محجوب باشا ، لولا ان تشتد عليه ليلتها وطأة المرض فيرسل في طلب الفتية لينهي اليهم استعداده لمساعدتهم في مشروعهم ، فتنطلق كل فئة منهم الى قرية لتقوم بما نيط بها من واجب . ويبدو ان يوسف كان من نصيبه ان يعمل في قريته نفسها ، فتوافيه سهير من الاسكندرية لتعمل معه غير آبهين لاعتراض كاظم وامه على تبني الاب مشروع الفتيان .

ولما يعود يوسف الى الجامعة تزج به في السجن حكومة تحمي الاقطاعية بتهمة الاشتراك في جمعية ارهابية ، فتواتي الفرصة كاظم ليتزوج من سهير .

ويغادر يوسف السجن بعد اربع سنوات وقد حصل خلالها على شهادة الليسانس ، ويشد الى قريته الرحال ، فيعمل محاميا ، ويتزوج من ماجدة ولا يطيب له منها الزواج ، وتموت سهير في حمل لها ، فيتصل كاظم بماجدة فيسرحها يوسف باحسان. ثم انه يتصل بعلم يوسف ـ في خاتمة المطاف ـ ان كاظم هذا لم يكن ابنا لمحجوب باشا ، وانما حملت به امه سفاحا من رجل الباني ، وقد جاء يطالب بثمن سكوته ، فيضطر كاظم الى مغادرة البلدة درءا للفضيحة ، حيث يصرع في حادث تصادم مع قطار .

ان ايجاز القصة ـ في الحق ـ امر جد عسير ، لما تزخر به من حوادث تترى في تلاحق وتداخل . ولقد اخذ المؤلف على نفسه ان يعالج الصراع ما بين الاقطاعية الطاغية وبين بؤس الفلاح يكد في الارض على غير امل في تبديل حاله التاعسة تلك ، ثم يعطي الشباب المثقف دوره في اصلاح الريف وتحسين احوال فلاحيه . **وانه لموضوع ما احوج العربية الى ان يقوم ابناؤها بايفائه حقه من الدرس والمعالجة في وعي وصدق واخلاص.**

على ان هذه المعالجة المخلصة الواعية قد ضنت بنفسها على القصة ، فيما يبدو ، فلم تظهر على مسرحها كما ينبغي لها الظهور ، وانما كانت تطل على المسرح الاطلالات المتهيبة العابرة لتختفي بعدها الى حين . ولقد بدا لنا ان التعرض للاقطاعية في القصة ما كان الا عنصرا دخيلا قصد به مجرد الدعاوة والاغراء والتشويق .

ذلك ان البطل ـ يوسف ـ عندما قاد أولئك الفتية المثقفين من رفاقه الى بلده ، اوحى الينا بانه سيقوم بالعجب العجاب ، باعمال كبرى من

شأنها ان تخفف من وطأة الذل او الفقر او التعاسة التي يحيا فى دياجيرها **الفلاحون فى ريف مصر ...**

فماذا كان دور يوسف ؟ لقد جعل « يكافح » فى سبيل قلبه وحبه . لمح سهير يوما فى الحديقة - وقد عادت من الاسكندرية - « وقضيت لحظة فى شبه ذهول ، وابتسمت هي فبهرتني ابتسامتها ولم البث ان نهضت واقفا ... واقبلت عليها فى فرح غامر وانا اقول : ماذا أرى ! أأنا امام سهير؟

- أفي شك انت فى ذلك يا يوسف ؟

- انني لا اكاد اصدق عيني » (٥١)

وما عرفنا له فى القرية من كفاح غير تدلهه بسهير وصحبته لها فى الزيارات المتوالية الى قصر الباشا ، وخروجه الى صيد البط على شاطيء البحيرة فى موكب من كاظم وسهير وماجدة . اكذلك يكون دور الشباب المثقف فى اصلاح حال الفلاحين ؟!..

ثم انه - بعد ان حصل على الليسانس فى الحقوق - يفتتح لنفسه مكتبا للمحاماة ، ويغدو « المشرف على الشئون القضائية » لمحجوب باشا ، ولا نسمع عن كفاحه ضد الاقطاعية شيئا ، وانما نراه يحذو حذو الموسرين ويصنع صنيعهم ، فيسافر الى الاسكندرية لقضاء فصل الصيف فى فيلا ، اعدها كاظم ، فخمة من طابقين كل ما فيها « وما حولها من مظاهر الترف والثراء يأخذ العين ويبعث فى النفس السرور والصفاء » (١٢٢) . **ان من تأخذ عينه مظاهر الترف لهو اقل من ان يعطى شرف المناضلة فى سبيل الفلاحين البائسين . ألم نقل ان التعرض للاقطاعية فى القصة كان عنصرا دخيلا متصنعا لم ينل من الوعي والصدق الفني حظا ؟** اضف الى ذلك ان البطل فى خاتمة القصة لم يذكرنا بما صنع من اجل الفلاحين، ولاخطرت منه هذه القضية الاساسية على بال ؛ وانما المشكلة التي ملكت عقله جميعا هي منافسته لكاظم فى مضمار الجاه والحب والنساء ، فلما بزه وظفر عليه كان ذلك للقصة الختام السعيد .

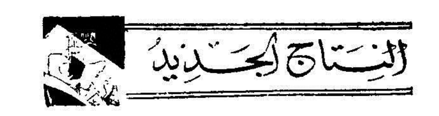
وشخوص القصة - بعد ذلك - قد اصابت شيئا من التوفيق من حيث تميز بعضها عن بعض ؛ بيد ان الصفات التي خلعها المؤلف على كل منها فى هذا السبيل لم تكن تخلو من القسر والغلو . فيوسف ، مثال للنجابة والذكاء ، فاز « بالاولوية فى الشهادة الابتدائية فى القطر كله » (١٤) كما فاز « بالاولوية فى امتحان البكالوريا على تلاميذ القطر كله » (٣١) ؛ على حين كان كاظم مثالا للارستقراطية السادرة قد الف وهو فى المدرسة جمعية تضم من كان يراهم فى مثل طبقته سماها « جمعية ابناء الذوات » همها « السخرية بالطلبة والتندر على المدرسين والتفاخر باموالهم وثيابهم وسياراتهم والتباهي بالمغامرات المثيرة فى ملاهي طنطا والقاهرة » (٣١). وكذلك سهير ، « فقد كانت ذات ملاحة وذكاء وحب للمطالعة ؛ فى حين كانت اختها العرجاء تكره المطالعة والمطالعين . اكذلك يكون الناس فى الواقع ؟ يبدو لنا ان المغالاة والافراط قد بعدا بالابطال عن ان يكونوا ممن نلقاهم فى حياتنا العادية . **نعم ، ان للقصاص ان يهذب الملامح والسمات لشخوصه عماهم عليه فى الواقع ، الا ان « التهذيب » ينبغي ان يكون فى حدود الاستساغة لا يتعداها ، والا فقد جعلنا فى عالم غريب لا تشدنا اليه ايما وشيجة ، ونخرج من سلطان تأثيره الفني ، وتدنو قصته الى ان تخلق عالما يعوزه نبض الحياة .**

وفى القصة مواقف قد عمد المؤلف فى بنائها الى المبالغة التي لا تنسجم مع الواقع او مع التيار العام الذي تسير فيه حوادث القصة . ومن المواقف التي تتنافى مع التيار العام : ان الدكتور رأفت يخبر الفتية بامر وليمة اعدها لهم محتشدة بالوان الطعام « واثار هذا الكلام فى نفوسنا فرحا عظيما وما لبثنا ان تركناهم ونحن نعدو ونتصايح من فرط السرور . وكانت فى انتظارنا فعلا مائدة حافلة باشهى الاطعمة ، فتواثبنا عليها واخذنا نلتهم ما عليها من الاطعمة حتى اتينا عليها كلها » (٥٩) . قليلا من التماسك ، ايها الصفوة المثقفون اخوة الاصلاح .. والا فماذا تركتم للفقير اذ يبصر بالطعام من بعد مسغبة وحرمان ؟!

واما المواقف التي لا تنسجم مع الواقع ، فمنها : ان يوسف - عندما صحبه حارساه من السجن الى الجامعة لتأدية الامتحان - رأى بين من دفعهم الفضول الى التفرج عليه فى باب الجامعة « عددا كبيرا من زميلاتي وهن يذرفن الدمع اسى واشفاقا علي » « وقد استشعر بالحرج ، و « يدفعني احد الحارسين الى النزول من السيارة فى خشونة وينطلق بي بين صفوف الطلبة التي كانت تهتف وتصفق لي فى حرارة » (٩١) . واننا لنحس برغبة بالضحك وقد تراءى لنا منظر الفتيات « يذرفن الدمع اسى واشفاقا » من حيث اراد لنا المؤلف ان نشفق ونأسى او نذرف الدمع على بطله المعنى !. واننا لنعجب بعد ذلك اذ نرى بعين الخيال احد الحارسين يدفع يوسف بخشونة ؛ اخلت نفس الحارس من كل معنى انساني ؟ ان كراهيتنا « للعسكر » ورجال الشرطة قد توارثناها من عهد الاستعمار وما استطعنا ان نبرأ منها بعد ان اصبح الشرطي ابنا لنا واخا يدفع عنا البلاء ويحمي لنا المال والروح . ثم كيف يستقيم ان يدفع الحارس يوسف بخشونة امام الطلبة الذين انتظموا صفوفا ترى و « تهتف وتصفق فى حرارة » ؟! اننا قد رأينا طلبة يرافقهم الحراس الى جامعة القاهرة لتأدية الامتحان ، ولكنا - فى الحق - لم نر طالبات يذرفن الدمع ، او طلبة يتجمهرون ويهتفون ، او حارسا يدفع المأسور بخشونة وفظاظة !

والقصة غنية بالمفاجآت والمصادفات مبثوثة فى الفصول جميعا . ان المؤلف - عادة - عندما يعييه ان ينتقل بالقاريء من حادثة الى اخرى ، فانه يعمد الى عنصر المفاجأة يدسه فى ثنايا الاحداث ما عسر عليه الانتقال المقنع وليد التسلسل المنطقي المقبول . فيوسف - مثلا - يأتي الى قريته للقيام بالاصلاح ، ويود لو يلقى سهير وهي بعيدة عنه فى الاسكندرية ولكنه يخرج ذات يوم الى الحديقة ليطالع ، فيغفو ، فتتراءى له الصور المشرقة ، « الى ان استيقظت فجأة على اثر احساسي بحركة غريبة بالقرب مني ، وما كدت افتح عيني حتى وقع بصري على « سهير » (٥١). وان يوسف يخرج للتريض على شاطيء فى الاسكندرية بعد ان تزوج من ماجدة ، وهناك « لمحت ماجدة وكاظم يسيران فى الظلام فى غير كلفة ، ثم يقفان بمنأى عن العيون » و « سمعت ماجدة تسأله ... » ويعرف يوسف كل ما بين زوجته وكاظم من علاقة آثمة (٢٣) . وكذلك يمضي المؤلف ينثر « مصادفات القدر » هذه فى تضاعيف القصة ، سيما فى الصفحات : ٤٢ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ؛ ويختتمها بمصرع كاظم الذي ابى الا ان يصدمه قطار السكة الحديد فيبعثره اشلاء (١٥٨) !.

لغة القصة هينة سلسة ، تظل تسير على عمود الفصحى لا تحيد عنه بلفظ عامي واحد . وانه لامر يحمد للمؤلف ويبعث التفاؤل فى نفوس الحريصين على سيطرة الفصحى على لغة القصة فى الادب العربي الحديث. ولكن مما يلاحظ ان الحوار لم يكن يسير على الطبيعة ، بل بدا فيه التكلف . ومرد ذلك ليس الفصحى على كل حال . وانما اعوزت المؤلف معاناة التجربة التي يورد معها الحوار على السنة شخوصه بالعبارات التي تلامس الذوق الفني وتوري فيه اللذة الجمالية . لم يكن الحوار « انفعاليا » ينبع من الحس ، بل كان « عقلانيا » يصدر عن العقل المتروي المستأني ؛ ومن هنا خان الصدق - ايضا - الحوار .



موتى ... أضاعوا قبورهم

بقلم مجاهد عبد المنعم مجاهد

الان ونحن نمر بطور جديد في تاريخنا الحياتي ، علينا ان نعيد النظر في قيمنا وثقافتنا وسلوكنا وعلاقاتنا .. وان ندخلها من جديد بوتقة الفحص ، لكي نخرج بشيء جديد ، يعمق حياتنا ، ويطور قيمنا ،ويبصرنا بكل منزلق ، ويضوئنا بالطريق الذي يجب ان نسلكه ..

اننا يجب ان نعب من كل الثقافات وشتى الاتجاهات ، ونختبرها جميعا في لحمنا دمنا .. فنأخذ منها ما يلائم ثقافتنا الخاصة وينميها .. وننبذ ما يعيق تقدمنا او يتنافى مع تطور مفاهيمنا وحياتنا .. ويجب الا نقوم بعملية عزل للمذاهب والاتجاهات .. فنرفض ان نناقش ، وننبذ حتى قبل ان نقرأ .. وانما علينا ان نقرأ بعمق ونفهم باستيعاب كل تراث ، وكل ثقافة نصفى ما نقرأ لنعمق ونطور ثقافتنا الخاصة ، لكي نعمق ونطور بالتالي حياتنا ونثريها ..

ان الادب لم يعد ترفا لتمضية الوقت ، بل هو اداة فعالة لخدمة الحياة ، بأن يثري وجدانات الناس بالقضايا التي يعالجها معالجة فنية عن طريق البناء بالصور المحسوسة .. لقد اصبح الادب ملتزما بالتعبير تحت الشمس ، مبصرا اياها بموقفها واين يسير تاريخها وايان يفضي .

* * *

والادب الوجودي احد الانماط الفنية التي تتبنى دعوة الالتزام في الادب ، وجان بول سارتر من اشد الادباء الوجوديين تمسكا بهذه الدعوة .. ومسرحية « موتى .. بلا قبور » (١) ـ التي نعرض للحديث عنها هنا ـ هي احد اعمال سارتر التي يمارس فيها قضية الادب الملتزم ..

ولعله يجب ان نبادر فنقول ان المسرح الوجودي يختلف عن غيره من المسارح في ان المفهوم الذي تدور حوله المسرحية ليس صراعا بين المرء وقدره ، ولكنه صراع بين المرء نفسه ليتبين من وراء هذا الصراع موقفه الحقيقي في الحياة ، فيساهم اما في تطويرها او ارجاعها للوراء خطوات وذلك سيتوقف على وعي المرء من جهة بذاته وبتطور التاريخ وعلى الحدث الذي سيضع المرء فيه نفسه موضع التساؤل (٢) ، وعلى

(١) هذا المقال يناقش مسرحية « موتى بلا قبور » لجان بول سارتر وقد ترجمها للعربية الدكتور سهيل ادريس والاستاذ جلال مطرجي .

(٢) نحن بسبيل اعداد مقال بعنوان « الدراما والتساؤل » نربط فيها من وجهة فلسفية بين الفن المسرحي وفلسفة التساؤل وخاصة لدى الوجوديين .

وان للمؤلف نفسا روائيا يحسن السرد من غير ونى ومن غير املال . ولعل ذلك يتجلى ـ بخاصة ـ فى سرد حادثة ثورة الفلاحين على عسف كاظم (١٣٥ ـ ١٣٩) ، فقد قارب فيها الوصف والتحليل حد الابداع .

ولقد روى القصة بطلها « يوسف بركات » بضمير المتكلم . حكى للقصة حياته وما تخللها من احداث مذ كان صبيا حتى غدا محاميا . ومن هنا انسحب « مجالها الزماني » على سنوات طويلة تناهز العشرين . وان ذلك مما يعيب القصة فى ظننا ، لانه ينال من حرارة الاحداث ويخفف من حماسة القاريء للاستجابة لها وهو المدرك ان الموقف المروية تفاصيله قد وقع للبطل من سنين بعيدة . والاتجاه الحديث يميل الى «اختزال» المجال الزماني ما امكن ، الى سنوات معدودة ، او شهور ، او ايام ... ثم ان سرد القصة على لسان البطل فيه القيد على حرية المؤلف فى تناول المواقف . فالمؤلف اقدر من البطل الراوي فى مجال الرصد والتنقل من شخص الى آخر ؛ وثمة امور لا يستحب من البطل ان يرويها للقاريء بنفسه ، من ذلك ان يقول يوسف ـ البطل الراوي ـ : « وابديت من دلائل الذكاء والحب والمثابرة ما جعلني موضع ثناء واعجاب الناظر والمدرسين » (١١) فكيف تأتي للبطل ان يعرف فى نفسه الذكاء ويحدثنا عنه حديث الوثوق ؟

ولعل من المناسب ان نعقد ـ بالختام ـ مقارنة بين قصة « انا الشعب » لابو حديد وبين قصتنا هذه ، فالشبه بين القصتين جد واضح ، لغة وتقنية وموضوعا ... وان بين بطليهما وجوها للشبه اوضح من ان تنكر ، ان فى سماتهما العامة والخاصة ، او فى الدور الايجابي الذي اتخذه لنفسه كل منهما فى المجتمع الذي يحيا فيه . ف « سيد زهير » : فقير مكافح مثالي، ابن ريف ، صحافي اديب، حارب الفساد فى الحكم واضطهد لتطرفه فى وطنيته وقضى فى السجن اعواما ، وتحمل تباريح حبه لفتاته فى صبر ايوب ؛ و « يوسف بركات » : كذلك فقير مكافح مثالي ، ابن للريف ، صحافي ، اخذ على عاتقه ان يحارب الاقطاع وسجن فى سبيل ذلك ، كما عانى فى حبه لفتاته ما عاناه المحبون ..

هل يعني هذا التشابه شيئا ؟

يقول ابو حديد فى « المقدمة » التي استهل بها « مصرع طاغية » : ان الاديب قد يختار موضوعا له « قصة قديمة يعيدها علينا باسلوبه ، وقد يختار خرافة خيالية لا يبدو فيها شيء من حقائق الحياة التي نحياها..» (الصفحة الخامسة) .. فهل تراه يعني ان قصته اصبحت من «القدم» بحيث يعيد روايتها اديب سواه ؟ ان المجال فسيح امام الكاتب يختار من وقائع الحياة ما يستهوي موهبته ولبه وقلمه . وايا ما كان فالنضال ضد الفساد والاقطاع عالجه ويعالجه كثيرون ، فلا اعتراض . ولكن تشابه البطلين فى السمات وفى سائر الاحداث ، مسألة فيها نظر .

والى الاستاذ حسن رشاد ، صاحب « مصرع طاغية » ، التقدير والاعجاب . فقد هيأ لي ـ فى الحق ـ ساعات طيبة امضيتها فى صحبة كتابه الممتع .

حلب فاضل السباعي

الوضع الاجتماعي والظروف البيئية .. فالشخصية في المسرح الوجودي دائما ما تضع وجودها موضع التساؤل لتتبين وضعها وصلتها بالآخرين.. والمصير الذي يمكن ان تتخذه .. ومن ثم نجد المسرح الوجودي يهمل متكلة « العقدة » المسرحية بشكلها الكلاسي في غالبية المسرحيات ، وانما يهتم « بالمأزق » او « الموقف » الحرج الذي يجد الافراد انفسهم فيه ، والذي يضعون بمقتضاه حريتهم موضع التساؤل ويحاولون ان يمنحوا هذه الحرية معنى ..

والشخصيات في المسرح الوجودي ليست واضحة كل الوضوح وكذلك الحوادث .. وانما هي تدور في شيء من الاعتامية ، على اساس ما قالته سيمون دى بوفوار من ان الحياة مزدوجة الدلالة والمعنى وأنها حالة من الغموض يتبين فيها الانسان وضعه ومكانته .. ولعل اصحاب هذا المسرح متأثرون بقولة للفيلسوف الدنيمركي « كيركجورد » من انه يجب انيطلق الشخص الوجودي – اي الذي يعيش وجوده – العنان للافكار فتبدو في بكارتها وفي رعشة خلقها الاولى ..

*

يصور سارتر في مسرحيته هذه « موتى بلا قبور » افراد منظمة من المنظمات التي كانت تقاوم الاحتلال الالماني في فرنسا فى الحرب العالمية الثانية ... ويبدأ بهم سارتر مقبوضا عليهم من قبل الالمان ... وبهذا عزلهم سارتر عن ماضيهم... حقيقة لم يعزلهم تمام العزلة عن حياتهم الخاصة الماضية ، اذ استطعنا من الحوار ان نتبين لون كل شخصية وماضيها المتطور ، لكنه عزلهم عن ماضيهم الاجتماعي ... فكان « مقترا » فى ابراز الحدث الاجتماعي ، فلم يعطنا عنه الا لمحة ، وترك الامر « مبهما » مليئا بالضباب .

ولقد ادرك افراد المنظمة انهم هالكون ، وان مصيرهم الموت ... وهم يعلمون انهم سيعذبون .. ومن ثم يدور نقاش بينهم على صعيد فكري مرتفع عن معنى وجودهم ، وعن العبث الذي يطوق حياتهم ، وعن الموت او العدم الذي يقلقهم ويهددهم فى كل لحظة ... وهي مشاكل فلسفية عنى بها الفلاسفة الوجوديون عناية خاصة ، لانها ترتبط بمشكلة الحياة نفسها .. من ثم فلا يجب ان نغفل الحديث عنها .. وسارتر يوظف هذه القضايا توظيفا فنيا في مسرحيته فينقلها من النطاق الفلسفي المعقد .. الى النطاق الادبي المبسط والعميق في نفس الوقت .

لقد كان المأزق الذي دفعهم فيه سارتر هو الذي سيكشف عن وجودهم وهل حاولوا ان يعطوا لهذا الوجود معنى لينتشلوه من هوة العبث التي يتردى فيها الوجود منذ واقعة الميلاد التي هي اول بداءة العبث ... وكانت المشكلة كما دارت بين شخصيتين من شخصيات المسرحية ... يقول « كانوري » : « ينبغي ألا نخشاهم » (الاعداء) فيجيبه «سوربيه» « انما اخشى نفسي انا ».. ان المشكلة هي هذه النفس التي تواجه ضغطا وجبرية خارجية .. فتجد انها في انحصار .. وهي – استنادا الى وعيها والمامها بالتاريخ – ستحدد ما اذا كانت تظل في نطاق هذا الضغط وهذه الجبرية الخارجية وتظل اسيرة الانحصار ، أم تخرج من هذا الانحصار وتحطم الاغلال فتثبت بهذا حريتها عن طريق عمليةالتحرر عن طريق العمل الذي هو « فعل » الحرية .

هنا يقول « سوربيه » في المسرحية : « اود لو اعرف نفسي . كنت اعلم انهم سينجحون اخيرا في القبض علي ، وانه سوف يأتي يوم أراني فيه وحيدا امام نفسي وقد اعيتني الحيلة وسدت في وجهي المنافذ . وكنت اتساءل عما اذا كنت استطيع تحمل الصدمة . ان جسدي هو الذي يقلقني . ان بنيتي ليست على ما يرام ، وان لي اعصاب النساء . وقد حل الوقت الذي سيسلطون فيه آلاتهم علي . وسأموت من غير ان اعرف قيمة نفسي .»

« سيموت من غير ان يعرف قيمة نفسه » . تلك هي مشكلة الموت التي يعرضها سارتر .. وفي نفس الوقت يعرض لمشكلة الحياة ، لان المشكلتين مرتبطتان معا .. ان الموت لا معنى له .. وهو شيء لا انساني يطوق حياة الانسان .. اذن فيجب عليه ان يعطي لوجوده معنى ، ذلك الوجود المنحصر بين لحظتي عبث : لحظة الميلاد ، ولحظة الموت .. وهذا الوجود يجب ان تتدفق الحياة فيه .. وان يموت المرء من غير أن يمنح وجوده معنى لهو مضاعفة العبث والتأكيد عليه ..

لقد قال هنري – شخصية اخرى – « كنت اتمنى ان اكون لازما لا يستغنى عنه بالنسبة لشيء ما او لاحد ما » .. ان يكون لازما .. ان يكون ذا معنى ... ان يكون ذا قيمة ... كل هذه المعاني واحدة تنسلك فى عقد واحد ، لتعبر عن التمرد ضد عبث الوجود ولا محاليته ..

جان بول سارتر

واجه هؤلاء الافراد التعذيب الذي فرض عليهم من قبل الالمان وذلك ليعترفوا بمكان زعيمهم ... وكان عليهم ان يعترفوا فيريحوا اجسادهم ونفوسهم المعذبة، لكنهم سيخسرون القضية التي دافعوا من اجلها ... واما الا يعترفوا فيحققوا قضيتهم تاريخيا ... ويتمكن الشعب الفرنسي من التحرر ... اذن فهم احرار .. لكن هذه الحرية قبل الاختيار حرية فارغة لا مضمون لها ، طبل اجوف ... فاذا ما اختاروا واحالوا حريتهم الى عملية تحرر عن طريق الفعل والعمل ، فستصبح هذه الحرية غنية ذات معنى وتستحيل الى نغم ... وستتوقف نوعية النغم على الاختيار .. اما ان يصير نغما حلوا ان اختاروا نصرة الحياة والشعب الفرنسي او نغما مشتت التوزيع صخابه ان اختاروا موت الحياة والشعب الفرنسي ...

لقد كان سارتر في هذا الموقف يطبق قولته في كتابه « الوجودية نزعة انسانية »: « انا ذو عاهة ولم اختر نفسي هكذا، ولكنني لا استطيع ان اكون ذا عاهة دون ان اختار الطريقة التي اواجه بها عاهتي : فقد اراها لا تحتمل او مذلة او يمكن اخفاؤها او مدعاة للفخر ، او مُتنفسا لفشلي الدائم » .. ان « المأزق الانحصاري » سيجد المرء نفسه مغمورا فيه .. وسيتوقف تخلصه على وعيه .. لكن هذا الوعي ليس معزولا .. فله جذوره التاريخية ، وهو يتحرك في ارض الحدث نفسه بظروفه الاجتماعية والنفسية ..

لقد ارتضى افراد المنظمة العذاب والموت .. لانهم كانوا يرون كما يرى الشاعر الفيلسوف الالماني انجلس سيليزيوس : « انا اقول انالموت احسن شيء من بين جميع الاشياء لانه وحده الذي يجعلني حرا » ... وقد رأى افراد المنظمة نفس رأي زميلهم سوربيه : « ان من الظلم ان تكون دقيقة واحدة كافية لافساد حياة بكاملها . »

ومن ثم يربط سارتر الموت بالحرية .. ومن الملاحظ في الفلسفات الوجودية ان مشاكل العبث والقلق والانتحار والعدم والموت والاضطراب والحرية كلها ترتبط أخيرا ارتباطا وثيقا بالحياة .. ومن ثم نرى الموت يقضي على حرية هؤلاء الافراد وحياتهم ، اولئك الذين اختاروا الموت لانهم اختاروا الحياة .. فنجد ان الحرية تقضي على نفسها وهذه اعلى درجات الحرية ... وعلى هذا لا يصبح الانسان عبدا للموقف ، انه هو نفسه عامل مهم في موقفه ، حتى انه في النهاية لا يحدده موقفه ، ولكنه يحدد هو هذا الموقف ..

وهكذا نجد هنري الذي كان يتساءل عن معنى وجوده ، وكان يريد ان يشعر انه لازم لشيء ما ، نراه يقول : « كنت احسب انني عديم النفع ، ولكن ارى الان ان ثمة شيئا يحتاجني » .. هذا الشيء هو حرية الشعب الفرنسي .. الذي ستتوقف حريته على نضال افراد مثل هذا الزعيم وهؤلاء الاعضاء في حركة المقاومة ..

لقد اعتدى الاعداء على « لوسي » ـ احدى المشتركات في حركة المقاومة لكنها ـ بحكم القضية التي تؤمن بها ـ تقول بعد هذا : « انهم لم يمسوني . لم يمسني احد . كنت قطعة من حجر ، ولم اشعر بأيديهم. كنت احدق في وجوههم وافكر بأنه لا يحدث شيء . » .. ان الموقف اذن هو علاقة بين المرء ونفسه لمواجهة الظروف الخارجية .. وقد رضيت لوسي بهذا لانها في اختيارها انما تبدع مثال الانسان الذي يجب ان يتبع .. يقول سارتر بأن المرء مسئول عن ذاته وعن الجميع ، وانه ليبدع صورة معينة للانسان الذي يختاره ، فباختياره لذاته كنمط للسلوك يختار الانسان ايضا .. والمرء لو كان صادقا مع نفسه ـ لن يرضى ان يختار مثالا سيئا للانسان او ان يكونه ..

لكن كان بين افراد المنظمة غلام ضعيف النفسية اسمه ـ فرنسوا ـ لم تكن القضية واضحة في ذهنه ، لقد كان يعتقد انه بانضمامه للمقاومة لن يتأدى به الامر الى الموت .. فهو يذكر لسوربيه : « لقد قلت لي : ان المقاومة بحاجة الى رجال ، ولم تقل لي انها بحاجة الى ابطال وانا لست بطلا ! لقد قمت بما قيل لي : وزعت النشرات ونقلت الاسلحة ولكن احدا لم يخبرني بما ينتظرني في النهاية » .

هذه الشخصية الضعيفة لم تستطع ان تواجه موقفها .. لكن الآخرين الاحرار المسؤولين ، لا يجدون امامهم الا ان يقتلوا الغلام ـ زميلهم واخا لوسي ـ لكي ينقذوا القضية .. لقد حاولوا اقناعه عبثا .. لقد قالت له اخته : « انك اذا ما تكلمت يا فرنسوا يكونون في الحقيقة قد انتهكوا عرضي .. ولسوف يقولون : لقد فزنا بهم بالنتيجة .. سوف يبتسمون لذكرياتهم ويقولون : لقد مزحنا مع الفتاة .. ينبغي ان نخجلهم » ..

لقد تجمعوا على قتله .. ووافقت لوسي وضحت بأخيها في سبيل القضية .. لانها كانت ترى في تحرر الشعب الفرنسي من قبضة الالمان شيئا اسمى من الافراد ومن اخيها ومنها هي نفسها ..

وهكذا ينقلنا موت احد الافراد الى تصعيد الحياة تصعيدا اعمق .. ولم تملك لوسي الا ان تقول : « اتمنى شيئا واحدا فحسب هو ان يعودوا لاخذي وان يضربوني حتى اتمكن من الصمت ايضا والاستهزاء بهم والقاء الخوف في قلوبهم .. اتمنى ان احترق وان الوذ بالصمت وان ارى عيونهم بالمرصاد » ...

لقد ضحى الجميع بعذابهم الجسماني .. وضحى احد الافراد بحياته اذ القى نفسه من النافذة لينجو من العذاب وليبقى السر .. وضحت لوسي بأخيها وضحت ايضا بشرفها .. وضحى هنري بمصلحته الخاصة فقد كان يحب لوسي وكان غريمه في الحب هو الزعيم الذي ارادوا انقاذه .. كل هذا كي تتحقق الحرية وكي تتحقق حرية الشعب .. وكي تتحقق الحياة الجديدة بأن تعاش .. لقد ضحوا بحياتهم .. وكانوا يعرفون حتى انه لن تقام لهم قبور .. فهل كانوا بلا قبور حقا ؟! وهل كانوا موتى اضاعوا قبورهم ؟! افليست قبورهم هي قلوبنا ؟ وان رحمتنا هي حبنا وتقديرنا للقضية التي دافعوا عنها !!

*

وقد نجح سارتر في ان يجعل مسرحيته حية مشوقة متدفقة .. ولم يجعل الشخصيات اسيرة خط اخلاقي واحد .. اذ كانت الشخصية تفلت دائما من النطاق الذي نحاول ان نفرضه لها .. وتأبى الا ان تنزع « الكبسولة » وتنطلق من الزجاجة ، لتثبت حريتها وحيويتها وتدفقها المستقبلي .

لقد استطاع سارتر ان يكسو شخصياته بعدا رابعا زمنيا ، كان يمنحها التطور والتدفق مما عيشها في انفسنا .. الا ان فرشة الشخصيات المكانية والاجتماعية لم تفرش فرشا كبيرا عريضا فبدت الشخصيات معزولة احيانا عن قضيتها ، وكانت القضية « تعلق » احيانا اخرى ولا نحسها ..

*

اننا ، وبالرغم من ان فرنسا قد اعتدت علينا ، لا يسعنا الا ان نأخذ النماذج السوية الحية من ثقافتها لنطور بها حياتنا ومفاهيمنا .. وقد ضرب سارتر بروايته هذه مثلا حسنا فى المقاومة ضد الاستعمار والاحتلال وكان ذلك من اجل الشعب الفرنسي .. ونحن اذ نتبنى قضيته عن روعة المقاومة ، فذلك من اجلنا ومن اجل الوجه الحقيقي لفرنسا ، ومن اجل الشعب الفرنسي نفسه ومن اجل حرية الشعوب جميعا !

القاهرة مجاهد عبد المنعم مجاهد

فقراء الناس

قصة بقلم جورج سالم

ــ هيا نلعب !

كانت الشمس قد اخذت تنسحب ببطء ، ولكن النهار كان ساطعا ، فالقى شرذمة من الطلاب حقائبهم الصغيرة الى حائط المقبرة ، فالقوا عنهم عناء العلم والعمل . كان هذا دابهم مساء كل يوم بعد ان تصرم الشتاء واقبلت اسراب السنونو معلنة قدوم فصل الربيع ، فهم ينتشرون في الازقة والطرقات متلكئين متباطئين مستريحين الى امتداد النهار لكي يتاخروا في العودة الى منازلهم .

كانت الجماعة التي اسعى وراءها تتكون من فتيان جاوزوا العاشرة او الحادية عشرة من سنيهم ، وكنت انا اصغرهم سنا اذ لم اكن تجاوزت عامي العاشر ، كان هؤلاء الفتيان يحبون اللهو حبا جما .

ولقد اختاروا المقبرة الكبيرة مسرحا للعبهم وتعابثهم ، ذلك بان القبور مخابىء ممتازة للعبة التخبئة ، كما انها تصلح للتسابق والقفز من فوقها .

كنت اقضي جل الوقت متفرجا على رفاقي ، فانا لا احب اللعب كثيرا ، واخاف بعض الخوف من الموتى الذين يرقدون تحت الصفاح البيض ، ولكن رفاقي لم يكن ليصعب عليهم ان يحملوني على مشاركتهم لعبهم والجري في مضمارهم ، كما حملوني من قبل على مرافقتهم الى المقبرة .

وكان آخر ما وقعوا عليه سلما خشبيا كبيرا حملوه جميعا بشق النفس ، حتى انتهوا به بعد لأي الى آخر المقبرة فوضعوه فوق قبر كبير ، وانقسموا فريقين ، ركب كل قسم منهم احد طرفيه ، وراح السلم يعلو ويهبط ، اما انا فقد اعجبتني اللعبة وما ان تزحزح السلم عن مكانه وتوقفوا ليعيدوه الى ما كان عليه ، حتى تعلقت به ، وكنت فى عداد الصاعدين الهابطين المنتشين بهذه اللعبة الفذة .

ولكن ما لبثنا ان مللنا وادركنا الاعياء ، فتباطأت الحركة ، ثم هدأت اخيرا ، فتركنا السلم ورحنا ننفض ما علق بنا من غبار ، وآنئذ لمحنا على باب المقبرة الجانبي مجموعة من الناس يتقدمهم فتى صغير يحمل صليبا خشبيا ومن ورائه كاهن قصير القامة ذو لحية بيضاء وظهر مقوس ، وكان رجال اربعة يحملون نعشا كالح اللون قميء الشكل ، ومشى وراء النعش خمسة رجال محمرة عيونهم ، فما اسرع ما مضينا نحوهم ونحن نحث الخطى .

الا انهم اتجهوا نحو غرب المقبرة فتبعناهم ، كان ضوء النهار قد اخذ يتلاشى ، فاقترب الجمع من حفرة كبيرة، ومر نسيم الماء فحمل الى وجوهنا بعض ذرات من كومة ترابية كانت تربض بالقرب من الحفرة ، فما كان منا الا ان حولنا وجوهنا خشية ان تلج عيوننا .

ولما اوفوا على الحفرة وضعوا النعش على الارض فوقف الكاهن يتمتم بكلمات لم افهم منها شيئا ، ثم التفت الى يمينه فرآنا بالقرب منه واقفين ننظر ، وحب الاستطلاع يرتسم على تقاطيع وجوهنا ، فتنحنح قليلا ، فالتفت حاملو النعش نحوه ، وفهموا ما اراد .

« ابتعدوا »! صرخ في وجهنا رجل منهم اسود الوجه اشعث الشعر كبير اليدين ، ففزعنا من هذا الانسان المخيف ، وخشينا ان تكون له قرابة بالموت الذي نسمع به ولا نراه .

ووقف الرجال الاربعة بثيابهم القاتمة كالجدار امامنا ، الا اننا ما ابتعدنا الا لنعود ، ونحن اشد ما نكون رغبة في معرفة ما سيجري . ان هناك سرا يحاول الكاهن ان يصرفنا عنه ، أهو سر الحياة والموت ؟ فاقتربنا متمهلين وجلين نمس الارض ببطء وحذر شديدين . وكأنما عرف الرجل مرادنا فالتفت الينا قبل ان نقترب منه وصرخ مرة اخرى :

ــ « قلت لكم ابتعدوا .. » !

كان في عينيه شرر ، وفي وجهه انقباض مخيف . انحنى الرجال على التابوت فظهرت بينهم فجوات ومضى كل منهم الى ناحية ، فوقفنا عن كثب نرقب ما يجري . لقد كشفوا الغطاء ببطء ووضعوه جانبا ، فظهرت كتلة بيضاء ، وتقوس الرجال الاربعة فحملوا الجسم المسجى في التابوت والملفوف بالشرشف الابيض ، وامروا حوله حبلا .

ــ « انها فتاة » !

صرخ احد رفاقنا والخوف قد عقد لسانه والبابنا جميعا . لكننا تسمرنا في مكاننا فلم نكن لنتركه . وقال ثان واسنانه تصطك : اني لأرى شعرها الاشقر ، وطمست انا رأسي مصدقا كل ما قيل ، دون ما حاجة الى ان اتحقق من ذلك بنفسي .

وانزل الجثمان الى الحفرة ، وامسك الكاهن بقبضة من التراب ، فرمى بها فوق القبر بحركة آلية . كانت انفاسنا معلقة واعصابنا متوترة ، واهال الحفار التراب برفشه على الميت ، ومضى القوم في مشية رزينة ، وحمل اثنان من الحمالين التابوت الفارغ وعادوا به من حيث اتوا ، فهرولنا مسرعين ولم نفقه شيئا مما جرى حولنا .

ــ لماذا ؟!

ــ لماذا تركوا الميتة بدون تابوت ؟

ــ الى أين مضوا بالتابوت ؟!

وسألت انا : لماذا لم نر موسيقيين يتقدمون النعش ، والميتة شابة ؟

ــ لماذا ؟!

وارفض شمل القوم ، فتبعنا الشماس بخطى حثيثة ملحاحة .

ــ لماذا يا عم نعوم ..؟

ــ دعوني .. الله يرحمنا .

والحفنا فى السؤال والشماس يحاول ان يدفعنا بكل ما اوتي من قوة . ولكنه يئس منا آخر الامر وقد تعلقنا به اي تعلق ، فالتفت نحونا وقد بان على وجهه حنو ولكنه حنو قاس لكثرة ما رأى وسمع ، قال :

ــ « هؤلاء قوم مساكين ! »

ــ نعم ولكن لماذا فعلتم هذا ؟

ــ الله يرحمنا ! انهم لا يستطيعون ان يشتروا تابوتا ، فالاوقاف نعيرهم هذا التابوت .. فقراء ... مساكين !

وحث خطاه ..

عدت الى البيت متاخرا في ذلك اليوم . كان الظلام قد خيم في كل مكان ، فانتبذت ركنا من اركان الغرفة واخرجت كتابي ورحت اقرأ ... ولكن سرعان ما كنت ابتعد عن الكتاب لأعود الى حيث كنت .. وتمر المشاهد مسرعة بالقرب من ناظري .. بين خروجي من المدرسة وعودتي الى البيت رأيت عالما واسعا واسعا هو اكبر من الزمن الذي حدث فيه .

واقتربت مني والدتي : قم فقد هيأت لك العشاء !

ــ لا اريد ان آكل .

وعدت الى الكتاب .. ولكن عبثا كنت احاول ان ادرس ..

ــ ماما ــ سأسألك شيئا ..

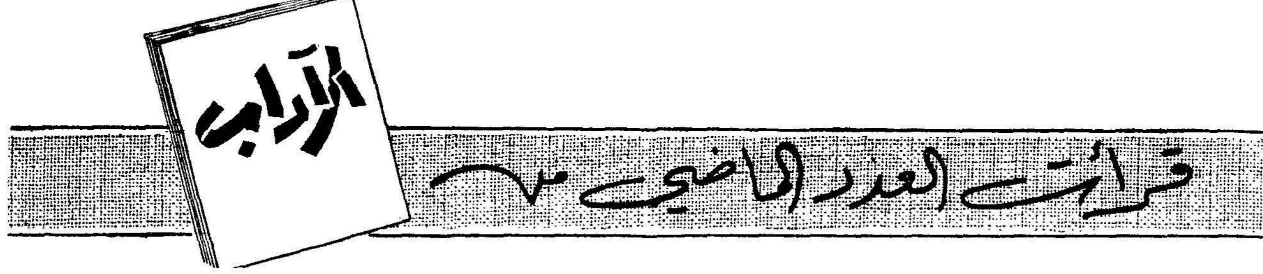
ــ ما اكثر اسئلتك قل ماذا تريد ؟..

ــ ماما ــ هل نحن فقراء ؟..

ــ فقراء جدا .. ولكن لماذا هذا السؤال ؟

فلم أجب ، واجهشت بالبكاء .

حلب جورج سالم



الأبحاث

بقلم سامي الدروبي

١ ـ المشكلة الحقيقية في الشرق الاوسط

يحلو لي أن أقرأ أخبار السياسة بقلم أديب ، وان أطالع التعليقات السياسية ببيان جميل . والاستاذ محمد نقاش من القلائل الذين يبسطون الشئون السياسية بلغة قوية على غير ثقل ، رشيقة على غير اسفاف ، فضلا عن النفاذ والعمق في ربط الامور بعضها ببعض ، وفضلا عن حصافة الرأي وسلامة الاتجاه ، والضمير الحر . ان المقالة شريط جميل . ولكن هل عنوانها هو العنوان الذي يليق بها ؟

٢ ـ الله والشعر

كلفني الصديق الدكتور سهيل ادريس بأن انقد « ابحاث » العدد الماضي من الآداب ، واعفاني من نقد ما عدا ذلك ، شعرا وقصة (1) . فلما قرأت مقالة نزار قباني « الله والشعر » ، تساءلت صادقا : أيدخل نقد هذه المقالة فيما عهد به الي ؟ أهذا الكلام بحث في الشعر ، ام هو قصيدة من عيون الشعر ؟ ولا أكتمكم أنني أميل الى اعتبار مقالة « الله والشعر » قصيدة لا بحثا ، فهذا أليق بها ، وأدنى الى انصافها . لم يخلق نزار ليكتب بحثا ، وانما خلق ليغني شعرا . لست اقصد ان افصل بين الفكر الباحث والحدس الشاعر ، فالفكر والحدس يلتقيان في النهاية ، ولكن لكل منهما سبيله الخاصة الى المعرفة . وارجو ان لا أسخط العقلاء اذا قلت : ان حدس الشاعر يصل من الحقيقة الراعشة النابضة الى اعماق لا يستطيع الفكر الاستدلالي الا أن يمسها مسا . بل ان كل فكرة كبيرة انما تبتدىء بنقطة مضيئة ، هي حدس ، تحاول ان تطوقه ، وان تفصح عنه . كبريات الفلسفات بل كبريات المكتشفات العلمية بدأت من رؤيا . اسألوا برجسون ! لقد احسست وانا أقرأ مقالة نزار انني مطل على الحقيقة الشعرية ، نافذ فيها ، متحد بها . وشتان بين من يتحدث عن الشعر دون ان يعاني التجربة الشعرية بجوانحه وأعصابه ، وبين من تزوجها وما انفك يعانقها وتصهره في كل لحظة من لحظات حياته ، كنزار . لقد دخلنا في جو الشعر ، وطالعتنا منه انسام عبقة ، لأن الحديث كان شعرا لا محاضرة في الشعر . ألقى بول فاليري ذات امسية محاضرة في الرقص ، فهل تعرفون كيف ختم المحاضرة ؟ لقد قال ما أذكر منه : « يا سيداتي وسادتي ، ما حديث عن الرقص ، كالرقص نفسه عمق دلالة وحسن اداء . وقد خبأت لكم مفاجأة ! هي امبريو أرخنتينا ، الراقصة الموهوبة ، تحدثكم ساقاها وعطفاها بحديث عن الرقص ينفذ بكم الى روح الرقص ، كما لا يستطيع مثلي ان يفعل» ورقصت أمبريو ، فعرف الناس من أمر الرقص ما لم يعلمهم عليه كلام فاليري .. سار الرقص يومئذ فيأعصابهم، وفي سهرة ضمت فلاسفة وموسيقيا ، قال الفلاسفة للموسيقي : « حدثنا عن السمفونية التاسعة » فنهض من فوره الى البيانو وعزف السمفونية التاسعة . وهكذا تحدى الفنان الفلاسفة . ومثل هذا مثل نزار ، اذ حدثنا عن الشعر بشعر ، الا في فقرات كنت أود أن لا تكون . وهنا مأخذي عليه . انه لم يسلك الى التعبير عن حدسه سبيله الشعرية الصرفة ، في كل مقالته ، وأبى الا ان يعرّج من حين الى حين على دروب ليست مسالكه ، ولا يجد فيها الخطو المأمون .

وكلمة اخرى :

« منذ ان دار هذا الكوكب المتحضر على نفسه كان الشعر، أي منذ أن امتدت يد أول انسان الى أول زهرة برية ليحملها الى الانثى التي كانت تنتظره في ملجئه الحجري وليقول لها : لم اصطد اليوم شيئا لطعامنا ، وانما حملت لك هذا الكائن الجميل الذي وجدته مختبئا في شقوق صخرة . انه يشبه انفتاح فمك يا حبيبتي .

« هذه اول هدية جمال في تاريخ الهدايا . أول حجر فى بناء علم الاستتيك .. الخ »

هكذا يتحدث نزار عن الاستتيك . أأتهمه بأنه لايعرف مدلول هذه الكلمة على وجه الدقة ؟ أأقول انه يخلط بين الجمال وعلم الجمال ؟

ولماذا يقحم هذه اللفظة الفظة فى هذا الكلام الرقيق ؟ أم تراه يصر على ان يدعم فكرته بمظهر من ثقافة ؟

انه يذكرني هنا بحادثة لي معه . كنا فى مصر معا منذ ما يزيد على عشر سنين، وقدمت له يومئذ نسخة من ترجمتي العربية لكتاب كروتشه « المجمل في فلسفة الفن » . وفى هذه الترجمة مقدمة فى بضع عشرة صفحة كتبتها باسطا فلسفة كروتشه جملة ، رابطا بها آراءه في الفن . وكان نزار يهم بطبع احد دواوينه . فلما قرأ هذه المقدمة، أو لما قرأ بعض هذه المقدمة ، وجد فيها ما يصلح انتضمه مقدمة يكتبها لديوانه ، دفاعا عن شعره . فاستل منها

(1) «الآداب»: تعتذر عن عدم نقد القصص والشعر المنشور فى العددالماضي.

بضع فقرات ، وأقحمها في مقدمة ديوانه قائلا : قال كروتشه ... تساءلت يومئذ : اذا كان لا بد ان يحتمي بترس هو كروتشه ، فهلا قرأ كتاب كروتشه حتى لا يقول على لسانه ما لم يقله هو بالنص ؟ ويمينا كان كل شيء في الديوان أجمل من كلام كروتشه ..

« ان نعرف الانسان بأنه ناطق او انه ضاحك او انه اجتماعي ، ابقاء لهذا الانسان في مرحلته الترابية ، وتمييزه من القطيع الحيواني ببعض الخصائص العضلية الفزيولوجية فقط ككونه ينطق او يضحك أو يعيش في جماعة » .

ان الذين عرّفوا الانسان بأنه حيوان ناطق لم يقصدوا بالنطق اهتزاز الحبال الصوتية ، بهواء الزفير يخرج من الرئتين .. لقد قصدوا انه حيوان ذو عقل . وكلمة Logos اليونانية ، تعني النطق وتعني العقل في آن واحد ، بل لقد عنت أيضا « الكلمة » ، الكلمة التي كانت في البدء .. الله .. سر الخليقة ، روح الوجود . وهل الشعر بعد ذلك ، الا نطق ؟ والا فما احتفالك باللفظة والحرف ، وهل اوتار قيثارتك الا هذه الحبال الصوتية في حنجرتك تخرج منها أنغاما تسكر ؟

والضحكة التي تخرج من فيك عند فرحتك بطفل يلعب ، او عند سخرك من هاربا جون (بطل بخيل موليير) أهي حركة فزيولوجية فحسب ؟ أليست تعبيرا ، بطريقة اخرى ، عن شعور .. أليست اذن شعرا من نوع آخر ؟

والانسان الذي قالوا عنه انه حيوان اجتماعي ، هو ذلك الذي يحب « آخر » يحب « آخرين » يحب امرأة ، فينظم لها « قالت لي السمراء » ، ويحب شعبه ، فيغنيه « رسائل مقاتل من بور سعيد » . أين الفزيولوجية الترابية في هذا كله ؟

وحسب نزار انه اول من يعرّف الانسان بأنه حيوان يقول شعرا ، يتذوق شعرا ، « هكذا يطيب لي ان اعرف الانسان كما لم يعرف من قبل. فكرة صغيرة أغامر واضعها على الورق ، وتسمية جديدة ارجو ان ترد للانسان بعض اعتباره الضائع ، وتضعه حيث يجب ان يكون » .

ليس نزار القباني أول من يعرف الانسان بأنه حيوان شاعر .. ان الذين يقرأون يقعون على هذه العبارة كثيرا . ولكن ، أما وأنه لم يقرأها في كتاب ولا سمعها من احد ، فمن حقه ان يعد نفسه اباها .. وكان يستطيع ، بالفكر الفلسفي وعلى طريقة الفلاسفة ، ان يستخرج منها كل الانسان ، وان يربط بها كل خصائص الانسان الاخرى ، فيجعل التعريف جامعا مانعا على حد تعبير المناطقة ، كما فعل شوبنهاور يوم ان عرف الانسان بأنه حيوان ميتافيزيكي . ولكن الشاعر ، ظل أمينا على اسلوبه الحدسي في المعرفة ، فأعفانا من التفلسف . وحسنا فعل، فالعبارة موحية ، والشاعر يوحي ولا يبسط .

٣ ـ الله في الفن

في الصفحة الاولى من المقالة عتب على الازهر الذي اصدر قرارا يحظر على طلبة الجامعة الازهرية ممارسة الرسم ، هواية يملأون بها فراغهم . « فالفن صورة من صور الحياة ، واستجابة لنداء الحياة ، والله متسامح كريم قادر ، وليس في كتابه ـ لنا نحن المسلمين ـ نص واحد يعوق التطوير ويمسك بعجلة التقدم ، ان ديننا يبني الحياة . وما ينبغي ان نتهم ـ نحن العرب ـ بالجمود ولا ان نظهر امام الاجانب بأن ديننا يحول دون ازدهار الفن ، وتفتح الحياة . »

وبعد هذا العتب يحدثنا الكاتب عن أن العقل البورجوازي قد قام بالغاء الله وانكار العالم الآخر ، ولكن الدين من مقومات « المجال » واستغناؤنا عنه استغناء عن جزء من بنائنا الحيوي ، فينبغي أن نؤمن بالعلم وبالدين وبالفن جميعا ، واذا كان بعض الفنانين قد خرجوا على الدين ، كبايرون وبشار وغوته وابي العلاء ، فلعل ذلك يرجع الى انهم كانوا مشوهين او مرضى النفوس ، فالفن لا يهمل الدين ولا ينكره .

هذه خلاصة الصفحة الثانية من المقالة كما فهمتها ، ولا أكتم القارئ انني لقيت غير قليل من العناء لتركيزها وتلخيصها ، فان فيها من التشويش وسوء العرض وسرعة الانتقال والفوضى ما يحيّر . هذا عدا الاخطاء : ان أوغوست

كونت هو الذي بشر بديانة الانسانية ، وليس ليون برنشفيك . وان فرويد لم يقل هذا الكلام الذي ينسبه اليه الكاتب ولا يكاد يُفهم منه شيء ...

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى الحديث عن الله في الفن القديم ، وعن الله في الفن الحديث فلا يزيد على ان يسرد بعض المعلومات التاريخية سردا لا يهدف الى غاية واضحة، ولا تنظمه فكرة رائدة . ولا ينسى اثناء ذلك ان يدل على ثقافته بذكر اسماء الاعلام في جميع الميادين : الفن والادب والفلسفة والعلم والتاريخ ، يقحمها اقحاما لا تعرف ما الداعي اليـــه .

وتخرج من المقالة لا تدري ماذا يريد كاتبها ان يقول . ولكنك تشعر انه شديد الحماسة ، لا الحماسة لفكـرة معينة ، بل لما ألم من آراء واسماء اعلام واستشهادات .

٤ العروبة بين الفكر والعاطفة

لهذا المقال تاريخ : في عدد من اعداد الآداب من عام ١٩٥٥ ، كتب عبد الله عبد الدائم يدعو الى انشاء فلسفة عربية ، نستمد منها مبادىء عملنا القومي السياسي . ورد عليه عبد اللطيف شراره يومئذ قائلا : بل نحن الآن بحاجة الى اصلاح المجتمع العربي ، وتحقيق الوحدة العربيـة ، والنهوض بالامة العربية في جميع مرافق الحيـاة ، حتى اذا تم لنا ذلك انبثقت الفلسفة من تلقاء ذاتها ، معبرة عن روح الامة العربية ، كالشعر والغناء سواء بسواء . ثم جاء سعدون حمادي في عدد سابق من الآداب ، يؤيد دعوة عبد الدائم ، وكأنما هو يستجيب لها ، فيحاول ان يضع اسس هذه الفلسفة العربية . فانبرى شراره ، مرة اخرى، يرد عليه ، موضحا رأيه ، ومبينا تهافت ما ذهب اليـه حمـادي .

وعندي ان شراره قد أساء فهم عبد الدائم . انني لم أفهم مقالة عبد الدائم على انها نداء يوجهه الى أسـاتذة الفلسفة ودهاقنة الفكر ان يتنادوا الى اجتماع يعقدونه ، ويتداولون فيه الرأي ، وينتهون منه الى وضع فلسفـة عربية تكون أساسا لعملنا القومي ، والا لكان من حقي أن أبتسم .. وانما فهمت المقالة على انها تقرير لواقع، وتعليل لظاهرة ، وتنبؤ بجديد يوشك ان يولد ..

ان العمل الطويل النفس ، المتجدد الحرارة ، الموحـد الاتجاه ، الناجح ، هو الذي يرتكز الى فكرة واضحـة ، الى مذهب متكامل ، الى فلسفة منسجمة ، تستقطـب الغايات والوسائل معا ، في وحدة قوية مرصوصة . اما استلهام اللحظة العابرة ، والحادثة الجزئية ، والظـرف الطاريء ، في اتخاذ الموقف ، وفي تحديد العمل ، فانـه يبعثر .. ولا يكفل الاستمرار الصابر المثمر . الحوادث الكبرى التي عرفهـا التاريخ كان الايمان بمذهب فكري بدايتها : الاديان ، النهضات ، الاصلاحات ، الخ. ان الفكر المؤمن ينبوع فعل وقوة توحيد .

ان النشاط القومي الذي يأخذ به نفسه فرد او جماعة، لا يمكن ان يستمر طويلا ، ولا ان يحافظ على حميّاه ، ما لم يغرف وحيه ونسغه من فكر واع . لقد كان يحـلو للثائر لينين ان يردد قوله : « بدون نظرية ثورية ، لا يمكن ان تقوم حركة ثورية .. والحزب الذي توجهه نظريـة طليعية يستطيع وحده ان يلعب دور نضال طليعي (١)» . ان كثيرا من الابطال الرئيسيين لثورة اكتوبر الروسـية كانوا مفكرين ، وكان ايمانهم بمبادىء معينة هو الذي يمدهم بحماسة لا تفتر ، ويفرض عليهم صلابة لا تلين . ولقـد قال ماركس : « كما ان الفلسـفة تجد في البروليتـاريا أسلحتها المادية ، كذلك تجد البروليتاريا في الفلسـفة أسلحتها العقلية »(٢) . وحين تحدث ماركس عن تحرير الانسان اضاف الى ذلك قوله : « الفلسـفة رأس هـذا التحرير ، والبروليتـاريا قلبـه » . وليس من قبيـل المصادفة ان أصدر جمال عبد الناصر كتابا بعنوان «فلسفة الثورة » ، لقد دفعه الى ذلك شعور عميق بأن عمل الثورة يجب ان يقوم على أساس من نظرة الى الامور واعية. ولئن لم ينفذ الكتاب الى أصول المشكلة تفصيلا فانه يشـتمل على حدس يمكن ان يكون نقطة البداية لفلسفة عربيـة تتناول حتى مشكلة المعرفة .

وحين دعا عبد الدائم الى انشاء الفلسفة التي يقوم عليها نضالنا القومي ، كان يعرف تماما ان حدوس هذه الفلسفة قائمة في عقول الطليعة العربية وفي افئدتها ، وان انساما من هذه الفلسفة تتنفسها الصدور في كل مكان . انهـا في الهواء . ولكننا في حاجة الى تنظيمها والافصاح عنها، ان ألسنة كثيرة لتدمدم بها الآن دمدمة ، ولا بد ان نـرى

---

(١) لينين : « ما العمل » ؟ طبعة باريس ، ص ٢٣

(٢) ماركس « مساهمة في نقد فلسفة الحق لدى هيفل » طبعة باريس ١٩٢٧ ، المجلد الاول ص ١٠٧

في القريب اللسان الذي يجهر بها .

٥ ـ شخصية الكلمة

العنوان جميل وموح . والمقال يقوم على معاناة حية ، وتجربة مجاهدة . ان محمد عبد الحليم عبد لله يفضي الينا ، في هذا المقال ، بخلاصة مشاعر أحسها حارة نابضة في ذات نفسه . وعلى هذا تقوم قيمة ما قال . ولا يضيره ان ليس في كلامه فكرة جديدة ، وان المعاني التي عبر عنها اصبحت من الحقائق التي لا يأتيها الباطل ، ومن المعاد الذي نقع عليه في كل كتاب أجنبي في فلسفة البيان .. ولئن أحس هو «بأن الكلمات المفردة لها ملامح وألوان وطول وعرض ، وظل مثل ظل الروح على وجه الانسان » فقد أحس بودلير قبله بأن للاحرف هذا كله ويزيد .

ان في المقالة لصدقا . فأنت تشعر بأن الرجل لا يفكر بعقله وحده ، لا يلفق ، لا يجمع فكرة من هنا وفكرة من هناك ، ليؤلف من ذلك كله مقالا ، بل يسر اليك باحساسه، يناجيك ، يحدثك عن الكلمات حديث الصديق عن صديقه، بل حديث العاشق عن معشوقه . ان بينه وبين الكلمات لألفة وصحبة وحبا ، وهو لذلك يعرف شخصيتها حق المعرفة .

وأعجبني قوله : ان المترجم ما لم يكن كاتبا فليس بمترجم .

ولا خير اذا قضى بذلك على تسعة اعشار ما يطلع علينا من ترجمات .

٦ ـ وضع الانسان الحديث

« سواء أكان الانسان الحديث عاملا ام موظفا ام مديرا فانه مستعبد في عمله. لقد اصبح العامل ذرة من الاقتصاد تحت أوامر منظمة آلية . فليس له نصيب في خلق نظام العمل ولا في نتيجته . وليس له أي اتصال بالمنتوج الناجز. اما المدير ، من جهة اخرى ، فمتصل بالمنتوج الناجز ، ولكنه عبد له ، بصفته شيئا محسوسا ونافعا . ان هدفه هو ان يحسن استغلال الرسمال الذي وظفه آخرون . والبضاعة هي التجسيد المجرد للرسمال ، وليست هي شيئا يعنيه كصفة محسوسة . »

« بالرغم من نمو الانتاج والرفاه ، فالانسان يفقد أكثر فأكثر حس شخصيته ، انه يشعر بأن الحياة لا معنى لها ، بالرغم من ان هذا الشعور غير واع في اكثره . كانت المسألة تتلخص في القرن التاسع عشر بنظرية « لقد مات الله » اما في القرن العشرين فهي تتلخص بنظرية « لقد مات الانسان » .

بهذا يرثي اريك فروم لحال الانسان في العصر الحديث، فما هو الحل لديه ؟ كيف نعيد للانسان حريته الضائعة ، وفرحته بالحياة ، وشعوره بكرامته ؟

يحاول الكاتب ، بأسطر قليلة ، ان يرسم معالم « مدينة فاضلة » : نحتفظ بالنظام الصناعي ، نزيل مركزية العمل، نشجع الادارة المشتركة ، نعود في السياسة الى نظام

مجموعات « الآداب »

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الاربع الاولى من الآداب تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٤٥ ل.ل	٥٠ ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «
« « الرابعة	٢٥ «	٣٠ «

المجالس العمومية ، نحقق نهضة ثقافية ، نشيع المحبة ومشاعر الاخوة والتضامن بين الناس ، الخ ، الخ..

اما عن تنظيم الحياة الاقتصادية في الانتاج والتوزيع على ضوء جديد ، فلا شيء البتة . ارجو ان يكون بين المفكرين الامريكان من يمضي في دراسة المشكلة اعمق من ذلك .

٧ ـ قصاصان من لبنان

قد يسخط الدكتور سهيل ادريس بمقالته هذه كلا من خليل تقي الدين ومارون عبود ، وقد يتهمانه بأن في مقالته غير قليل من الاستعجال ، وغير قليل من التجني ، ولكن حسب هذه المقالة احسانا اليهما انها تشوق قارئها الى مطالعة القصص التي تدرسها وتستشهد بفقرات منها . هذا على الاقل ما وقع لي انا . ان بي الآن لظمأ الى قراءة هذه القصص التي لم يتح لي ان اطالعها .

ان الرسام الذي يملك فنه يستطيع ان يرسم لك وجها من الوجوه ببضعة خطوط . وحين قرأت مقالة سهيل ادريس احسست انه يملك هذا الفن ، فن نقد القصة ، لانه استطاع بخطوط قليلة ان يرسم صورة واضحة ، ولقد احسن خاصة في انتقاء النصوص . ولئن كان صحيحا ان كل سطر يكتبه كاتب يعبر عن شخصيته كلها ، كما يقول علماء النفس ،فان هذا التعبير ليس واضحا الى درجة واحدة في جميع ما يكتب الكاتب . وليس امرا سهلا ان تقبض على الاسطر القليلة التي تغنيك في فهم الشخص عن الصفحات الطويلة . ان هذا فن يحتاج الى بصيرة ادبية نافذة .

٨ ـ انكليزي في الاردن

هذه مقالة يحلو لك ان تعيد قراءتها عدة مرات . ولا ادري لم أراد كاتبها ان لا يعلن عن اسمه . ولا شك في انه كاتب متمرس بصناعة القلم . ان فيها من جمال العرض،

وصفـاء الاسلوب ، ما يشف عن روح فنية اصيلة ، وما اروع المناضل الفنان ! ان كاتب المقالة قد عرف السجن ، غير مرة ، على يد غلوب ، لانه ممن اشتركوا في مقارعـــة الاستعمار . وهو الى مزاجه النضالي ، ذو طبع هادئ ، منصف ، بل اخشى ان يكون مسرفا في الهدوء ، مسرفا في حب الانصاف . والاسراف في حب الانصاف قد يفضي الى الظلم .. والا فما هذا التبرير لسكوت عبدالله عـــن مؤامرات غلوب ، بالاجتهاد والقناعة ؟ ان سلوك غلوب في حرب فلسطين واضح ، وتآمره على العرب لا يحتـــاج اكتشافه الى كبير ذكاء ، أفمـا كان ينبغي للامـير العربي ان يجيب ؟

٩ ـ شـاعر في المعركـة

حياة العرار (مصطفى وهبي التل) فذة طريفة ، تذكرني بحياة كثير من الشعراء والادباء الذين يطلق عليهم رونيـه لوسن اسم العصبيين . ان في حياة هذا الشاعر ونفسه لشعرا : روح حساسة بمواطن الجمال في الطبيعة ،متمردة على الدمامة ، حانية على المعذبين ، عميقة الاحساس بآلام الشعب ، طلقة، ساخرة ، وان يكن في الفكر غير قليل مـن الضيق، فهو خاضع للحظة الحاضرة يستجيب لها الاستجابة الجميلة ، ولكنه لا يطل على الامور من فوق ، ولا ينظر الى المشكلات نظرة فهم عميق ، ومن آيات ذلك هذه الاقليمية في مشاعره الوطنية وفي رأيه السياسي ، حتى لكأنه نسي عروبة الاردن ، لانه كره نفرا من الدمشقيين التجار، فنادى ان يكون « الاردن للاردنيين » وقد استغربت ان لا يتناول الاستاذ غالب هلسا في مقاله هذه النقطة بالدرس والتحليل، حتى لقد خيل الي في بعض الاحيان ان الكاتب يشـــارك شاعره في اتجاهه الاقليمي ، واعيذه من ذلك .

واذا كانت حياة الشـاعر حافلة بالاحـداث والنزوات والآلام والتمرد ، واذا كان شعره فوق ذلك صادقا موفقا يعكس هذه الحياة وما فيها من غنى وتدفق ، فلا عجب ان تأتي مقالة الاستاذ هلســا زاخرة بكل ذلك .

١٠ ـ « شهرزاد » توفيق الحكيم

أعجبتني ثورة فاروق خورشيد على هؤلاء المتسكعـين في المقـاهي يطلقون السنتهم في تحطيم جهـد المجاهدين البانين ادبا صادقا . واعجبتني دعوته الى دراسة التراث العربي الحديث دراسة جدية منصفة عميقة . ولكن الذي لم يعجبني هو اعتقاده بأن مقالته دراسة من هذا القبيـل لشهرزاد توفيق الحكيم لقد احسست بكل ما في مقالته من جمال ادبي ، وشعور بالمشكلة مرهف ثر ، ولكنني لا استطيع ان اصفها بأنها دراسة. لقد عاش فاروق خورشيد في جو « شهرزاد » ، وتغذى منها ، وعانى التجربة التي تشتمل عليها ، وناجى ابطالها ، ولكن مقالته لا تزيد عن ان تكون « انطباعات » . قد تكون هذه الانطباعات جزءا هاما من المادة التي تبنى عليها الدراسة او تؤلف منها ، ولكنهـا ليست هي الدراســـة .

دمشق سامي الدروبي



في غرفته سرير واحد . وهي لا تكتمل الا بسريرين ، حيث تستطيع والدته ان تنام على سرير حديدي ما دامت لا تريد ان تبادله الارض بسريره ، دون ان تضطرها الظروف لان تضع تحت الفراش مخدات فتقيها رطوبة الارض الوافدة مع الشتاء .

هذا هو الشهر الثالث يمر . وهو لا يزال يعلل نفسه بشراء سرير حديدي ، كان يريد ان يحدث بائع الاسرة ليبيعه احدها بالتقسيط ، ما دام لا يستطيع ان يدفع ربع راتبه في ثمن سرير .. بينما الافواه تصرخ من حوله .. واجرة البيت .. بالاضافة الى النثريات التي لا بد منها : باكيت دخان .. واجرة باص .. وصبغة حذاء .. وقص شعر في الشهر مرتين ، عدا المصاريف الصغيرة التي قد لا يحصرها عد . ولكنه حتى الان لم يهتد الى بائع الاسرة ، وقد لا يريد ان يهتدي اليه لكونه يطمح فى ان يدفع قيمة السرير كاملة حتى اذا نام عليه ، لم يضع فى حسباته ان ثلاثة ارباع هذا السرير الحقير الذي يوشك ان يعلوه الصدأ ، انما هو في ملكية انسان اخر ، يستطيع في كل لحظة ان يسحبه من تحته اذا توقف عن الدفع !!

المجتمع .. وما دخل المجتمع في هذا السرير ؟ كان يسأل نفسه مرارا :

ـ اذا كان سرير حديدي قد شغلني هذه الاشهر الثلاثة فلم استطع تأمينه فما بالي بالآخرين اولئك الذين يشكون عللا عديدة ... وما يقول من نقص غذاؤه او اهترى كساؤه ، ففطى يأس الحياة المضنى عينيه !

ان فى المجتمع نواقص كثيرة ، قد يأتي هذا السرير ـ فى ظنه ـ تاجا لها . وقد يأتي من القاعدة .. المهم ليس في هذا كله . ان المشكلة اولا وآخرا في جيبه الذي لا يفرغ حتى يمتلىء براتبه الذي ينضب بسرعة زائدة ، وهكذا . انه لعام خلا لم يكن يشعر بوطأة هموم الحياة . كان هناك من يحل عنه بعض أثقالها ، ولعل المشاركة في حمل ميت تنسي عظم المصيبة ، ولكن الانفراد بحل المشاكل يكاد يجعل الافراح والمسرات صعبة المنال على الفؤاد الوحيد .

ذهب أخوه الى خدمة العلم . وكمن نام وهو يشعر انه يتمتع بدفء الفراش احس وهو فى بحر انه وحيد الا من فسحة الامل . اصبح اليوم مضطرا لان يحمل من السوق سلة ممتلئة بالخضار والخبز والفواكه واللحوم على ضآلة ما يحمل . كان يخجل كثيرا من حمل هذه السلة ، ولكنها اليوم عنوانه بين الباعة ، وهو بذلك اخذ يستشعر وقع الحياة اليومية التي يحياها الملايين في مشرق الارض ومغربها ، أولئك الذين تمتلىء رؤوسهم بالمعرفة وقلوبهم بحرارة الحياة ، ويضطرون لأن يخوضوا معركة الحياة يوما فيوما ، ليسجلوا انتصارهم على الفاقة والحرمان ، واحتقار الانسان العامل بصمت وبشرف وكبرياء لا حدود لتألقها .

كان دأبه قبل عام اتهام أخيه بأنه يبذر راتبه المناسب في طرق لا يعلم كيف كانت تنهش المال كالفئران بأسنانها اللؤلؤية . ولكنه اليوم يشعر ان الاموال مهما تكاثرت فانها لا بد من ان تنصرف كما تنصرف مياه المقهى في بالوعتها الكبيرة ، حيث تمتزج حثالة الشاي بالقهوة ، ومياه الصابون في حلق هذه الاسطورة التي لا ترتوي ابدا . اما اليوم فهو يشعر بالندم لا لشيء الا لأنه كان يتعجل في لوم أخيه ويسرف في لومه كثيرا . انه اليوم بالذات وفي الايام الاخرى كذلك لن ينسى ان الحياة اشبه بالغرفة التي أحيطت بالنوافذ .. ولكن اشعة الشمس لا تدخلها الا جهة فجهة .. وكذلك حاجة الانسان المتوسط للمادة في مجتمعه ، هذه الحياة المتشعبة بحاجاتها الاربع .. تريد اربعة اضعاف الدخل لسدادها ، وراتبه قد يسد الحاجة للغذاء وحده او الكساء وحده او التسلية وحدها ، او الادخار وحده ، اما ان يستعمل ما يكفي لحاجة واحدة في سداد الحاجة الاخرى ، بله الحاجات الاخر ، فمعنى ذلك انه لن يشبع كفاية .. ولن يكتسي .. ولن يتمتع بمباهج الحياة ، ولا بنعمة الادخار للغد المجهول .

في كل ليلة تتجسد همومه ومتاعبه وبؤسه الذي قد يدوم ، في هذا الفراغ الذي يمكن ان يملاه سرير حديدي ثمنه خمسون ليرة ، هذه هي القضية . ان هذا الفراغ يعكس كل تعاسته كانسان .. وكل آماله كمخلوق يعيش هذا العمر ، وهو يأمل ان تقبل الايام بما يختلف عما اعتادت ان تغرب عليه . ان السرير وحده لازمة لا بد منها في كل حديث ... وكل حاجة ... وكل ذكرى .. وكل نقطة التقاء بين عنصرين من عناصر الفشل والنجاح ، في هذه الحياة التي يحياها ، وقد تجردت حتى من سرير حديدي متواضع يتيح له ، او لامه النوم براحة ، بعيدا عن الرطوبة الوافدة مع كل شتاء.

انه يستطيع لو اراد ان يوفر هذا المبلغ ليشتري به هذا السرير ، ولكنه يعتقد ان هذا التوفير لن يحل القضية قد لا يظهر خروقا من جهة ثانية ، وان كان يشك في ذلك ، ولكن الذي يستطيع ان يؤكده ببساطة ، هو ان هذا السرير اصبح متكأ يلقي عليه كل همومه ... واتعابه .. في هذه الحياة .. على هذا السرير الخيالي ترقد في الليل بعيدا عنه ، هموم قلبه من الحب ، والود ، واللطف الذي ند عن الوصف .. وعليه ـ على هذا السرير بالذات ـ ترقد جميع الديون التي عليه ، لصاحب الدار ، وللخياط وللاصدقاء ، ولبائع الساعات .. وعليه ترقد كل أحلامه في سفرة سعيدة الى الخارج ، حيث يطوف الدنيا ، ويعرف البشر ويزداد بالحياة بصرا ومعرفة ودقة رأي سديد !!

وعلى هذا السرير أيضا تستلقي كل الصور التعسة عن واقعه التعس الذى لولا هذا السرير البعيد ولولا مشكلة ثمنه ، لنام وهمومه في قلبه ، ومتاعبه من رأسه ، وآماله طريحة جريحة عند قدميه ، لا تدفعه الى الامام ولا تجذبه عن يمين او شمال .. انه بذلك على التحقيق ، سوف يموت مكفنا بحلمه ، مشدودا بأمله ، محمولا على سرير حديدي حقيقي الا انه الآن والسرير لم يدخل غرفته بعد ، يستطيع ان يعتقد ولو من باب الاطمئنان فحسب انه ما من مشكلة ـ ومشاكله اضحت معروفة لديه ـ تفوق هذا السرير أهمية .. هذا السرير الذي يعتقد انه هام اكثر من جميع همومه الصغيرة او الكبيرة . فهو لا يستطيع ان يحل هذه المشكلة بمجرد الحصول على خمسين ليرة . هناك هذا السرير القديم ماذا يصنع

به ؟! ان صديقه فاضل باع سريره القديم عندما اراد شراء سرير جديد . فاشترى سريرين من لون واحد وحجم واحد ، وجدة واحدة . ان صديقه يعتقد ان وجود سريرين مختلفين في كل شيء .. في غرفة واحدة ، انما ينافي ذوق المجتمع ... وهو بدوره مقتنع بذلك ولو على كره منه .

كان يعتقد ان مجرد الحصول على المبلغ اللازم يكفي لأن يجلب السرير الحديدي الناقص . فيكون في غرفته سريران كلاهما من حديد . ولو اختلف فيهما اللون وتفاوت العهد ، ولكنه يحيط بالمشكلة الآن احاطة تامة . انه ليس وحده الذي قد ينام على هذا السرير أو أمه . هناك أناس آخرون يجب ان يشاركوه النظر والراحة والانتقاء . المجتمع بالمرصاد له . هو لايستطيع ان يضع في غرفته سريرا آخر وكفى . بل يجب ان يكون السريران من لون واحد ، وشكل واحد ، وجدة واحدة ، والا اتهمه الناس بقلة الذوق ، واخرجوه من قائمة الذين يراعون تقاليد المجتمع ويحرصون على اداء متطلبات هذه الحياة الاجتماعية بصدر أرحب اكثر رحابة من عرض السموات .. والارض !!

فكر أكثر من مرة ، ماذا لو فعل مثل صديقه فاضل الذي باع سريره الوحيد ثم اشترى سريرين جديدين. ما داميحرص على ان يظلحيا يقظا. ولكنه استدرك ان صديقه فاضل قد ادخر بعض المال ، فلما اراد احياء ذوق المجتمع تصرف بسهولة . باع السرير .. ثم اشترى سريرين آخرين . اما هو فكيف يتصرف . اذا باع سريره ، فهل يضمن ان لايبعثر ثمنه في ثمن السجائر ..وحفلات السينما .. وقد يرفه عن نفسه في سهرة حتى الفجر. كيف يسمح لنفسه انيفكر على نحو ما فعل صديقه؟ انه امضى اكثر من ثلاثة أشهر وهو يعد العدة لشراء سرير . حتى بائع الاسرة لم يحاول ان يحدثه .. ان يشرح له وضعه .. ان يستعطفه . انه يريد ان يدفع ثمن السرير كاملا ، فيستريح من عنت المطالبة ، والى اليوم لم يستطع ادخار خمسين ليرة ، فكيف يسمح لنفسه بأن يفكر ببيع السرير .. لتقليد صيق من انصار المجتمع .. وتقاليده وبخاصة في شراء الاسرة ؟ ان المجتمع مخلوق ظالم . كيان يفرض واجبات دون أن يتحمل قسطا من المسؤولية . انه فوضوي ، قد جبل من طينة الحقد والكبت ولن ترده الى الطريق السوي سوى عصى غليظة ، وقدم اكثر غلظة وبأسا !!

انه كلما اوغل في بحث هذه المشكلة والتفكير فيها ، تفتقت له مشاكل عديدة لاحصر لها ، بعضها متصل بفن الحياة . وبعضها متصل برضاء المجتمع عن تصرفاته كفرد عامل فيه . وهو لايزال في حيرة ، اتنتهي هموم السرير بايجاده ام أنها ستمتد أكثر فأكثر .. حتى تشمل ضرورة البحث عن انسانة جميلة ترقد عليه ، ليبحث عن واقعه في هذه الروح التي غلفها جسد جميل ؟!

وماذا يصنع بهذا الفراغ اذا امتلأ .. انه الآن يلقي فيه كل همومه .. كل ديونه .. كل تعاسته في دنياه ، دون ان تبين . ولكن اذا احضر هذا السرير الحديدي واغلق هذه النافذة المطلة على حياته البائسة ، فماذا يصنع تجاه الآخرين . تجاه الهموم الآخرى . ان بيته فارغ ، فارغ حقيقة . ان السرير عنوان هذا الفراغ الفاء ليل نهار . كم سيتعذب ! كم سيتألم ! لملء بيته بما تحتويه بيوت الآخرين ؟! المستقبل .. اف من المستقبل . ان المستقبل لا وجود له . ان يومه الذي يعيشه هو مستقبله . يومه هذا ، حيث يمضي تافها حقيرا . ساعاته شهور ودقائقه ليال طويلة حافلة بالبرد والوحشة والسكون المخيف . المستقبل قد لايراه .. قد لايشعر به . انه يتسلل كاللص الى شعره فيتساقط . أو يشيب . ظهره ينحني ، بصرهيفتر . عاطفته تتلاشى في حبال الجليد التي يعبرها كل يوم في الطريق الى عمله .. حيث تغشاه الكآبة والقنوط . وسريره هذا اشبه بالقبر .. اشبه بالتابوت الذي يحمل الموتى الى مستقرهم . وسريره هذا أشبه بالقبر .. كرقاص الساعة .. مع الثواني .. مع الدقائق .. ومع الساعات والايام .. يتأرجح .. انه مخيف ، مدمر ، ليس لهول دماره حدود .

ليس فى بيته شيء . لا غرفة للضيوف . لا غرفة للطعام . لا براد . ولا غسالة . حتى ولا مؤونة تكفيه شهرا . وهذه الحياة التي يحياها الناس من حوله حافلة بكل شيء . بكل شيء مثير .. رائع . ان السرير وحده في الحقيقة لا لزوم له . ان بهرجة النوم على الاسرة عادة تافهة . ان الانسان ابان نومه على السرير لايشعر بشيء . لايشعر حتى بنفسه فماذا يفيد السرير لحياته الغافية ؟. انه يريد ان يبحث عن اشياء تفيده وهو حي. وهو يقظ. وهو ذو شعور واحساسبالحياة والجمال. ذو جوارح تتعذب بالحرمان . بالظلمة . بكل مافي الحياة من مصائب وآلام . أما ان يكون شبه ميت ثم يبحث عن سرير حقير .. سرير حديدي ، سوف يعلوه الصدأ لا محالة ، سيغدو كتلة حديد ، لا فائدة منها بعد عام أو أقل فانه لايريد حدا وسطا .. سوف يطرح مشكلة هذا السرير التي تلهيه عن مشاكله الاخرى .. مشاكل حياته السوداء وحياة الآخرين الاكثر سوادا . ان مشاكل بيته لنتحل ما دامت مشاكل اخرين معلقة غير محلولة . ان مشاكل البيوت لن تحل الا خارجها . سيفتح عينيه على كل شيء . سيصرخ . سيطالب بحقه . سيوقظ النائمين . سيجرد العصاة من اسلحتهم . سيشنق الخرنة بحبال غليظة . سيخنق المضللين بكلتا يديه . سيشرب من دماء الذين ولغوا في دمه ودم الآخرين وهم في المهد يرضعون حليب الامهات . سيكون بطلا !!

حلب

علي بدور
مجاز فى الحقوق

ازمة "القصة" في الفيلم المصري

بقلم صلاح عز الدين

— ١ —

المفروض فى الفيلم اساسا انه يروي قصة عن طريق الصوت والصورة المسجلتين على نحو مايفعل الكتاب والراديو والمسرح ، وغيرها من وسائل رواية القصة ، بطرق وادوات مختلفة .

ومع أن الافلام تنقسم الى أنواع : بعضها لايعتمد على القصة كالفيلم التسجيلي والفيلم العلمي الا ان هذين النوعين وما اليهما يعتمدان على نحو خاص من « الرواية » يستلزم ، كما هو الامر في البناء القصصى ، ترتيبا معينا لتفاصيل الموضوع العلمي أو التسجيلي . أي انه هو الآخر نوع من رواية القصة بمقدمات مختلفة . القصة هي الكائن الحي الحقيقي في الفيلم والمسرح والكتاب دون شك . هي « الموضوع » الذي من أجله تحتشد أدوات الفيلم من المناظر المقامة وأشرطه الصوت والصورة وأشخاص المثلين أنفسهم . هذا الاحتشاد لايسعى ، في النهاية ، الى غير ايصال « أجزاء » القصة المختلفة ، كل في حدوده ، الى عقل المتفرج وقلبه ، على خير نحو يمكن الوصول اليه .

ومن هنا بالذات ، من مجموع هذا الهدف النهائي ، ترتسم القيم الحقيقية الاساسية التي تحدد مدى استيفاء الفيلم لشروط نجاحه وينبغي أن نسارع هنا الى التنبيه بأن كلمة « النجاح » في السينما ، كما هو ينبغي ان يكون الامر في كل مضمار انساني ، ليس معناها مايحيط بالعمل من ظروف ونتائج عارضة ولكن معناها الحقيقي هو مدى التوفيق الذي تسجله النتيجة النهائية في الاقتراب من تحقيق الهدف الذي تصدت له هذه الجهود الداخلة في تكوين الفيلم — أو الكتاب أو المسرح — وما الهدف — كما بينا — الا رواية القصة بكل أجزائها على خير نحو ممكن .

ولكن المرحلة التاريخية القائمة التي تجعل من الفيلم في معظم بلاد العالم — ومن الكتاب والمسرح — سلعة تجارية تنتج في سوق تتعامل بالنقد من أجل تحقيق فرق بين التكلفة وسعر البيع هو الربح ، هذه المرحلة التاريخية القائمة ، والماضية نحو التغير والتوتر — كما حدث في بعض بلاد العالم — ، هي التي تطمس معالم النجاح الحقيقي وتقصره في معظم الاحيان على « النجاح المادي » وعلى « النجاح الادبي » في أحيان قليلة .. النجاح الذي تترجمه أرقام الدخل في الحالة الاولى وآراء النقاد في الحالة الثانية .

ولكن الحقيقة العلمية السليمة هي ان النجاح الثابت للفيلم كامن ، فحسب ، فى درجة بلوغ اجزاء القصة ، كلها او معظمها او بعضها ، الى اذهان المتفرجين وقلوبهم .

وليس من العسير ان نتبين هذه الحقيقة لو افترضنا وجود جمهور من المتفرجين يجتمع لمشاهدة عدة افلام لمدة اسبوع مثلا ، دون ان يتقاضاه منتجو الافلام اجرا على المشاهدة . عند هذا فقط يمكن ان يتجرد النجاح من هذا المقياس الذي تفرضه عليه مرحلة تاريخية آخذة في التطور والتغير .

فالحقيقة الكبرى هي ان الفيلم «عمل اجتماعي» من اعمال التفاهم ، « عمل » نشأ في مجتمع يتبادل أسباب العيش على أساس «المقايضة» المباشرة .. فتحول على الفور الى « عمل سلعى » ربحا .. كهدف نهائي أو شبه نهائي . وعندما تتطور المرحلة التاريخية القائمة الآن فى معظم البلاد ويتغير نظام المقايضة من نظام مباشر الى نظام غير مباشر فسيرتد الفيلم ، والاعمال الفنية كلها ، الى المكان الحقيقي السليم ويتخلص من قبضة السوق التجارية ليستقر فى يد الاشراف الفني البحت. وما الصراع القائم وراء جدران مكاتب الانتاج السينمائي فى كل البلاد المنتجة للافلام التجارية ، الا حرب دائمة بين التجارة والفن ..

هذه الحرب قائمة فى مكاتب هوليوود ، ومدينة السينما شمال روما ، وحي الافلام غربي باريس ، وقطاع الاستوديوات فى حي سوهو بلندن ، وبورصة السينما فى القاهرة بين شارع النيل وشارع توفيق ..

حرب قائمة بين العنف والهوادة .. بين صاحب رأس المال وصاحب فن الفيلم ، حرب تنتهي الى محاولة تقييم نتيجة الفيلم وتحديد معنى النجاح ، ولا حاجة الى القول بعد هذا ان تحديد معنى النجاح ليس اكثر من تحديد أرقام الدخل فى شباك التذاكر ...

— ٢ —

القصة فى الفيلم السينمائي ، كما هو الامر فى كافة الفنون التعبيرية الحركية ، هي موطن الداء او مصدر القوة على اساس انها الهدف الاول والنهائي من انتاج الفيلم .

والمتتبع للفيلم المصري منذ نشأته حتى الآن يستطيع ان يؤكد ، فى غير خوف من المبالغة او التهويل ، ان ازمته الراهنة قد بلغت الآن حد الاختناق ، لان القصة قد استنفدت عناصر قوتها بضغط الصراع الدائر بين المنتجين التجاريين والسينمائيين الفنيين . ولست اعنى بذلك أشخاصا حقيقيين مدرجين فى نقابة المهنيين السينمائيين وانما اعني فريقين من العاملين فى السينما بالامس واليوم والغد دون ادنى نظر الى هؤلاء الاشخاص بظروفهم وماضيهم وحاضرهم . انما أشير اليهم من الناحية النظرية فحسب . أشير اليهم على اساس اهدافهم كفريقين تجعل منهم المرحلة التاريخية القائمة فريقين متعارضين فى اغلب الاحيان .. الى ان تصبح السينما حقلا انتاجيا مؤمما تتولاه الدولة فيصبح الفريقان المتخاصمان فريقين متعاونين ... يقتصر معنى « النجاح » لديهما معا على مدى ما احرزه الفيلم من توفيق فى ايصال القصة الى عقل المتفرج وقلبه .



فان السينما المؤممة لا تطلب من المتفرجين « فروقا » بين سعر التكلفة وثمن البيع .. لا تتقاضى ارباحا مباشرة مقياسها ارقام الدخل فى شباك التذاكر ... وانما ارباحها هي الافكار التي تمكن الفيلم من « روايتها » على الجمهور « وايصالها » الى عقله وقلبه . عند هذا تنتفى الرغبة فى

بلوغ هدف خارج عن الهدف الحقيقي من فن التعبير السينمائي .

هذا هو الوضع الآخر الذي يجعل من الوضع القائم وضعا ظالما بالنسبة لفن السينما من جهة وللجمهور من الجهة الاخرى . فقد اصبحت السينما اداة تعمل لغير هدفها ، وأصبح الجمهور يدفع ثمنا عن « انتاج » لا يقبله . وليس معنى هذا على الاطلاق ان السينما كفن لم تعد قادرة على تحقيق هدف خلقت من أجله ، وانما معناه ان هناك عوامل تحيد بها عن هدفها وتحول بينها وبين تأدية وظيفتها الحقيقية . ذلك لان المنتج الذي لا يريد من الفيلم الا ان يحقق له ارباحا يجتهد دائما في ان يفرض عليه « ضمانات » لاقبال المتفرجين ... مهما كان الاتجاه الفني المنطقي لقصة الفيلم .

ولقد كانت هذه « الضمانات » في الفيلم المصري منذ نشأته حتى الآن سلسلة من الصور الذهنية المعبرة عن وجهة نظر المنتج الى « نقط الضعف التجاري » عند الجمهور ... صور مختلفة لم تخرج حتى الآن عن الجنس، والفاجعة ، والطرب ... وفي اطار من الاثارة .

ذلك لان الجنس والفاجعة وروح الطرب ليست في ذاتها ، نقط ضعف ... وانما الضعف الذي يهدف المنتج الى استغلاله لا يتأتى له الا عن طريق الاثارة . فالاحساس بالجنس والفاجعة والتطريب مقومات انسانية طبيعية الى ان تثار في صورة مبالغة فتصبح عندئذ موطن ضعف يسلب المرء صفة الاتزان الطبيعية التي تجعل منه شخصا عاديا وتحوله الى شخص غير عادي يمكن السيطرة عليه .

وليس في هذا اكتشاف عظيم ولكن فيه سرا من أسرار المهنة اكتشفه المنتج السينمائي التجاري وهو يسعى الى سبيل تمكنه من السيطرة على السوق على نحو ما يكتشف ساحر القبيلة مدى الامكانيات التي تتاح له اذا سيطر على جمهوره الفطري باثارة روعه من القوى الخارجية او تخدير حسه باصوات القرع القوية الرتيبة .

ان مهارة الساحر الافريقي تعتمد في نجاحها ، بالطبع ، على مدى استعداد جمهوره ومدى فاعلية وسائله في نفس الوقت . والنظرية نفسها تنطبق دائما على اي مجتمع تنشأ فيه الحاجة الى مثل هذه السيطرة القائمة على التحايل والتزييف بغية الوصول الى « غنيمة » لا يمكن الوصول اليها دون نوع من السيطرة التخديرية .

— ٣ —

الملاحظ عموما على الفيلم المصري انه يتحرك ، من ناحية الفكر ، داخل اطار معين لا يكاد يتغير . اطار حدده تاريخ الانتاج السينمائي المصري بحدود الفواجع والفواقع والمباذل . وما يزال هذا الاطار قائما منذ نشأة السينما حتى يومنا هذا بما في هذا التعميم من تسليم كوجود فروق تفصيلية ونسبية .

دليل واقعي ملموس انه من بين الافلام المصرية التي انتجت في اواخر العام الماضي لتعرض في اوائل هذا العام (١٩٥٧) افلام تحمل ، دون تورية ، خصائص هذا الاطار الذي يسخر فيه التفكير السينمائي المصري.. اطار الفاجعة الفاقعة مع الجنس المتلمظ المتهتك .

اذا كان هذا الطابع لا يزال قائما حتى اليوم رغم كل ما يدوي في الطريق والمقهى والصحفية والكتاب والذهن والسياسة العالمية وكل اصوات القرن العشرين ... فان لنا ان نحمله مسئولية دوره الخطير في توليد نوع من التناقض الشنيع بين الحياة الحقيقية وجوهرها في هذا العصر ... وصورتها في مثل هذا الفيلم .. اللهم الا اذا كان الكيان القائم في الفيلم هو الحقيقي وكيان الحياة في الشارع والمنزل والمقهى والذهن هو الكيان الزائف.

وعلى اي الحالين فان التناقض قائم لا محالة بين الفيلم والحياة ... ومثل هذا التناقض لا يؤدي الى غير الصراع ، وهنا نقف قليلا لنشهد بان السينما المصرية هدف صريح لحرب حقيقية تشنها عليها مراكز الحياة .

ومراكز الحياة ، فى هذه القضية ، هي الاشخاص والظروف القائمة خارج نطاق السينما .

ففي هذه السنوات الاخيرة انتشرت الصحف وتكاثرت وسائل التعبير عن الرأي العام ، وانفسح المجال امام الاشخاص العاديين ، وتداخلت خطوط النشاط الانساني المختلفة فى المجتمع العربي عامة بفعل التطور الذي حدث فى الاقتصاد والسياسة وما يترتب على تطورها من اختلاف فى نظم الحياة والتعامل بين الناس ... بسبب هذا كله وما يشبهه كثر النقاش والبحث فى كل ما يمس حياة الناس على نحو لم يسبق له مثيل فى مجتمعنا العربي .

لقد خرج الناس العاديون من حظيرة الوصاية التي فرضتها عليهم ، سياسيا واقتصاديا وفكريا ، قوى اجنبية تتمثل فى قوى محلية مركزة تركيزا شديدا فى أيدي قلة من ورثة الحكم والاقتصاد .

لقد تبلور هذا التطور ، فى السنوات الاخيرة ، بعد سنين طويلة من التجمع والتحبيس ثم التسرب والنفاذ خلال الاغشية الكثيرة المتعددة التي كان الوضع القديم يغلف بها غنيمته الحية طيلة القرون الماضية .

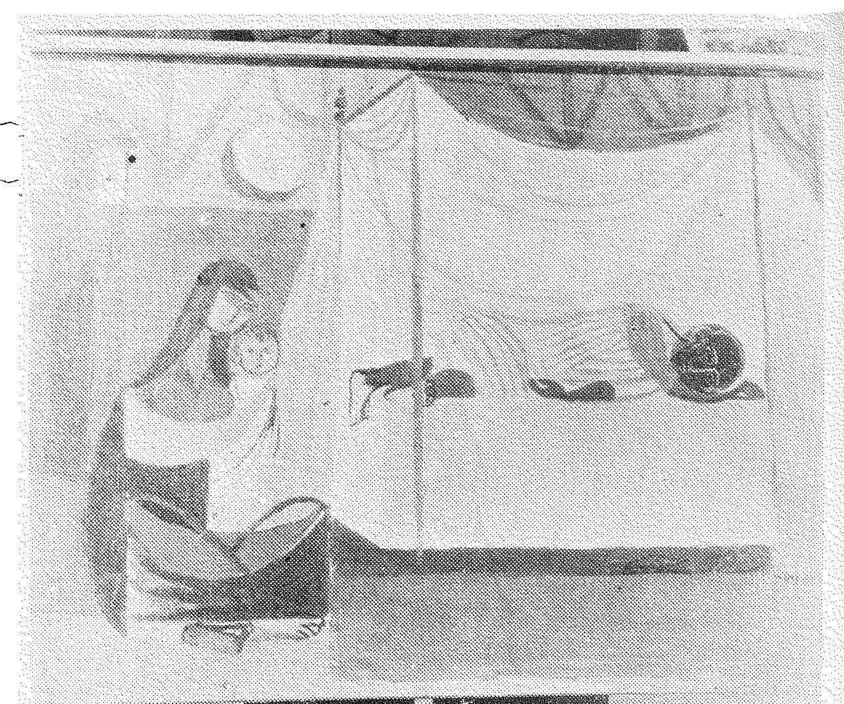
وواضح الآن تماما ان القوى الجديدة النامية ، حتى وهي فى مرحلتها الغضروفية الرقيقة هي القوى التي تثير المتاعب فى طريق القوى القديمة.

والسينما المصرية صورة من صور الاوضاع القديمة التي لم تتغير او لم تغير من حدودها البارزة التي تشى بانتمائها وتبعيتها للمفهومات القديمة رغم المحاولات الساذجة التي تبذلها لتقنيع هذه المفهومات القديمة بأقنعة مستعارة من مفهومات القوى الجديدة النامية .

ولعلنا نستطيع الآن ان نحدد أزمة السينما المصرية بأنها تحمل فى طياتها علتين قاتلتين .. فهي اولا بحكم تكوينها التجاري تهدف الى غير هدفها ... وهي ثانيا تبيع قيما قديمة فى سوق آلت الى اصحاب قيم جديدة.. او بعبارة اخرى تواجه حربا أجنبية فى وقت نشبت فى داخلها هي ذاتها حرب أهلية .

السينما المصرية تحمل فى ذاتها متناقضات ستؤدي ، قريبا ، الى القضاء على كيانها القائم الآن . ذلك لان هذا الكيان يعمل بنفسه على تقويض فرصته فى الحياة .

« للمقال بقية » صلاح عز الدين



« مساء صيف » ـ زيتية ـ للورنا سليم

معرض بغداد للرسم والنحت

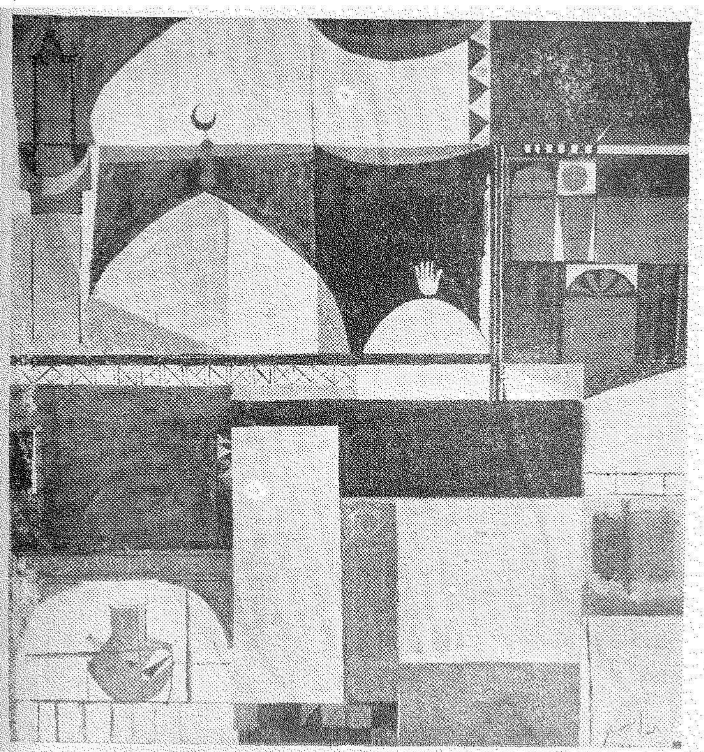
اقيم بنادي المنصور فى منتصف الشهر الماضي معرض بغداد للرسم والنحت ، الذي ضم ١٤٩ قطعة فنية من انتاج العراقيين والاجانب . وتتكشف المعروضات عن اتجاهات فنية مختلفة ومدارس عديدة للهواة والطلاب والطالبات ، سواء من معهد الفنون الجميلة او الفرع الفني فى الملكة عالية او كلية الآداب والعلوم ، او طلاب الفن فى خارج المدارس والكليات المذكورة .

وقد لاحظنا فى معرض هذه السنة ان (لاسماعيل الشيخلي) محاولة جديدة فى صوره ، وخصوصا فى لوحته (الراحة) ولو انه استعمل فى خلفية مواضيعه الجديدة الاخرى المناظر الطبيعية نفسها التي استعملها للسنة الماضية (كمقهى القرية) و (المقهى) واصبحت مواضيعه معروفة (كالاعرابي وأمرأته والنركيلة) . استعمل الوانا مبسطة مع ظهور خطوط سوداء باقية وترك اترها بعد التخطيط . انه يعدم المنظور تارة ثم يعيده فى المرة الاخرى ، فيجسم تارة (صانع المقهى) (كالمقهى) ويستعمل الظل والضياء ثم يرجع ويبسط الاعرابي اي الذي يحمل على كتفه العدل بالوان رصاصية وحمراء بكل بساطة وهدوء . فيكرر الاعراب فى جلساتهم مرة على اليمين واخرى على اليسار ثم لباس الرأس اي الكوفية والعقال واللون الخاكي للزبون ، بينما يلعب فى الفضاء بالوان قوية ،اشجار الخريف والوانه ضد الركود والهدوء والظلال او الالوان الغامقة للاشخاص والمكان والمقهى . ثم يرجع ويظهر الوانه بقوة (كزوجان رقم ١) حيث يلعب الابيض الناصع دورا فعالا فى ملابس المرأة وفى يشماغ الاعرابي بين الالوان البنية والسوداء الحالكة التي تتجاوب مع اللون الاحمر القاني للبساط ، وبين اللونين يبدو اللون الرصاصي لكي يظهر حياة الاعراب الهادئة والبسيطة . اما فى قطعة (الراحة) المهمة فيحاول بعض التجارب بشكل دائري وملتو سواء بحركة الاعرابي او أنبوب النركيلة وحتى نهاية التخت مظهرا الالوان البيضاء والسوداء والبنية والازرق الشذري (اي اللون الشرقي الاصيل) . فيضع اللون الاصفر بخطين بين الاعرابي فى مقدمة اللوحة والشخص الثاني البعيد وهكذا نراه يربطهما .

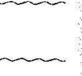
اما لوحة (الاغا) للفنان (اكرم شكري) والتي استعمل فى انجازها مادة (البايروكسيلين) ، فظهر (الآغا) من شمال العراق واضحا وجليا فى صورته هذه اكثر من اللوحات الاخرى التي كانت غامضة للناس او لمجموعهم . يجلس (الآغا) بشرواله الازرق بحيث يتجاوب هذا اللون مع يشماغ الرأس مستقرا على الزولية ، بينما نراه يطل على العالم الخارجي بشباك فى يسار الصورة . وهذا يسد فراغا كبيرا هنا ،ويتجاوب هذا القسم مع الخطوط السوداء والزرقاء والبيضاء على الارضية البنية فى يمين اللوحة . ويظهر الفنان القوة والسيطرة للآغا فى منطقته الجبلية بعضلاته الملفة والردان الطويل الملتف حول الايدي والساعد بينما يؤكد بخطوط سوداء وقوية ابراز الدميري الكردي ثم نراه يحرك عواطف الناظر بالوان حمراء حول يسار (الآغا) ويمينه . بينما يطغى اللون والخطوط البيضاء عليه لنظهره بموقف هادىء ومسالم .

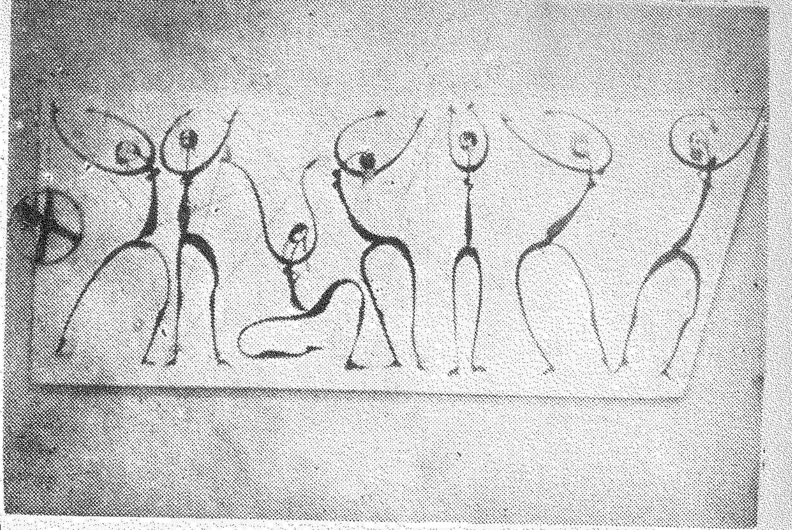
ولاكرم شكري لوحة تمثل (عيد الاضحى) وهي تتحرك بقوة فى اسلوب جديد يرتكز على الخطوط السوداء لكي يظهر (ديلاب الهواء) و (مراجيح العيد) مع حركة تمثلها الخطوط الحمراء المتطايرة فى الفضاء المزدحم باللون الازرق والابيض . ويبدو الناس فى حركة مستمرة . وفى بعض الكتل يندمج اللون الاسود مع الازرق الفاتح فيظهر اشباحا جديدة تسبح فى الصورة لكي تزيد فى حركتها المستمرة او فرح العيد وازدحامه . اما فى (جامع الحيدر خانه) فينعدم مظهر الجامع وواقعيته بينما تظهر الالوان الشرقية الزاهية ، كالازرق الغامق والفاتح مع الابيض والاسود والبني الفاتح ، فتتقارب هذه اللوحة مع اللوحات الفنية التي يعبر بواسطتها الفنان بمادة (الموزاييك) .

واما حافظ الدروبي فقد بقي فى صورته (منظر) محافظا على طريقة الاكاديمية . فهو



« بغداديات » ـ زيتية ـ لجواد سليم





« رقصة المغزل » ـ زيتية ـ لكاظم حيدر

يظهر هنا اكواخ الاعرابي المنخفضة والمدورة الى جنب القصور الشامخة ذات الالوان المختلفة تفصلهما كتل من الاشجار والحدائق بينما تتكاثف ـ اشجار النخيل الغامقة على نهاية الصورة مع ظهور الطريق بلون وضوء فويين . وقد حاول وضع الوان مختلفة وبراقة على الزاوية اليمنى من الصورة لكي يسد الفراغ المتبقي من اللوحة بينما في لوحته (في المعرض) محاولة اخرى تختلف عن الاولى بانها من الوان (البوستر) وهي تمثل سورا تعلق في المعرض واشخاصا من الرجال والنساء ساعدين هابطين وحولهم بقع من الالوان وتربطهم خطوط بيضاء من الخيوط .بينما نراه ينتحل شخصية ثالثة في لوحته التصميمية (رسم للحائط) التي استخدم فيها الوان البوستر : أرجل ممتد وايد اخرى ترتفع الى الاعلى واخرى تستعمل الادوات الهندسية ، فتتصل هذه كلها بألوان متقاطعة كما في سورته للاعلان (البوستر) والتي رسمها للخطوط الجوية العراقية . واعتقد ان لوحات الدروبي للسنة الماضية كانت أحسن بكثير ، وكان لها قيمتها الفنية .

وقد عرض (الدكتور خالد الجادر) خمس لوحات مختلفة من حيث الموضوع والاسلوب وحتى طريقة معالجته للصورة ومشاكلها . فيظهر في جو غامق في سورته (قرية كورة) باشجارها البراقة ذات الالوان الزاهية في مقدمة اللوحة . بينما عالج صورته (رداء) باسلوب والوان تختلف عن غيرها . بحيث نجد فيها البساطة والالوان الزاهية مع التأكيد على بعض الخطوط القوية . بينما نجده يضع الوانه الخالصة الحمراء والصفراء والبيضاء وغيرها في الصورة (امام الكاميرا) . ثم يرجع في (الكريعات) بجو داكن . وأنا اعتقد انه برز في هذا المعرض وبشكل قوي في لوحته المسماة (في قلعة اربيل) فهنا تلعب الخرائب دورا كبيرا وفعالا في الصورة ، من حيث الالوان الارضية ، و (الكونتراست) بين الشمس القوية على الحيطان المتبقية والظلال الحادة ، بينما يربط الكتلتين وبشكل مريح جدا بطاق قديم لم يبق منه الا القوس ، ثم يؤكد على ظهور الشمس المحرقة بواسطة ابواب البيوت المظلمة والبنية اللون الغامقة ، بينما اكد على ظهور بعض الشبابيك النادرة في البيوت ، بلون احمر ، ثم اظهر امرأة تمشي مع حافة الطريق الضيق لكي يثبت ان هذه القلعة القديمة في العالم لا يزال يسكنها بشر . وعلى المجموع اعطى تعبيرا دراماتيكيا في سورة الخربية وقد نجح بها نجاحا كبيرا يستحق التهنئة والتقدير .

عند المغيب) ، (حديقة دار في الصليخ) ، (صورتي الشخصية) و (الغروب على نهر دجلة من الصليخ) وهذه الاخيرة كان قد اقتناها حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني من المعرض ، واضافها الى مجموعته الخاصة . وأترك نقدها وتحليلها لفنانين آخرين .

واذا عرجنا على (لورنا سليم) وجدنا لها صورة تخطيطية صغيرة بالحبر والالوان تعبر عن بغداد ببيوتها ونخيلها الباسق والفقير الذي يسير في شوارعها ثم حاملة الطبق على رأسها التي تبدو عليها المسحة البغدادية مع العباءة السوداء وبادكيرات الهواء للمطابخ ونوعية الشبابيك، فهذه كلها محصورة من الجهتين اليمنى واليسرى بالاخضر الزاهي والرمادي اما لوحتها البارزة في هذا المعرض فهي (مساء صيف) فانها صورة تعبيرية للمرأة العراقية (او المرأة بصورة عامة وأينما كانت) وتضحيتها في سبيل الطفل المولود فتسهر الليالي على طفلتها بينما القمر يرتفع في السماء وضوء البيت لا يزال يشتعل ، تكد المرأة المسكينة طوال النهار في ادارة وانهاء اشغال البيت ثم يأتي المساء واذا بها تسهر ثانية طوال الليل مع ذلك الطفل الحديث المولد مؤرقة العينين بينما يظهر الطفل بكل نشاط وبعيون مدورة نشطة للبقاء طوال الليل ، حتى الصبح. انها تضحية المرأة والام التي تسبغ مسحة حزينة على وجهها، وملابسها الحمراء للدلالة على الحيوية والفعالية ، بينما يرقد زوجها هادىء البال ويشخر على سريره بكل هدوء وفوقه الكلة يلف رأسه بيده اليمنى ثم يمد اليد اليسرى بكل استرخاء وكذلك أرجله ، بينما يلتف برداء أصفر . وحول هذا السرير الهادىء تظهر ظلمة الليل الحالكة تتخللها اغصان الاشجار البنية اللون ، بينما يلتف حول القمر اشجار وحركات تدل على عدم الاستقرار لدى الام بالوانها الصارخة والتي لا حول لها ولا قوة . والمؤسف ان انتاج لورنا سليم الفني لهذه السنة قليل جدا .

ويعرض (فائق حسن) صورا جديدة لهذا المعرض ولكن مواضيعها لا تزال هي الاخرى الاعراب والمضيف والقرية العربية والعلابات .. الخ وهو يعالج هذه المواضيع باسلوب حديث ، تارة يتقارب مع (مانيس) واخرى مع (براك) او (بيكاسو) او فنانين اخرين من الاوروبيين ، بينما يرجو بصورته (نهاية الشتاء في وادي الطويلة) الى اسلوبه القديم بحيث ان اللون البني الغامق على قمة الجبل والمغطاة بالثلج يسيطر على اللوحة لاول وهلة ، بينما اهمل الاجزاء الباقية التي هي في مقدمة اللوحة ووسطها ومن صوره البارزة هنا لوحته (الصديقان) فهما اثنان من الاعراب وامامهما الدلة لعمل القهوة العربية والفناجين ويطوقها بشكل مستطيلي المحيط ثم يملأه باللون الاصفر . تتوسط هذه المشربة ، اي القطعة الفخارية التي لا يزال الناس في استعمالها حتى اليوم ثم يملأه بلون رصاصي مائل للزرقة ثم يفتح فيها قسما متصلا بالمستطيل ويعطيه اللون



تتخللها خطوط قوية داكنة ، ثم يرفع يد احدهم ويلونها بلون بني مائـل للحمرة لكي يعطي نوعا من الحركة العضلية واللونية فى وسط ذلك الجو الغامق ، ثم يرتفع اعلى المشربة والسطح الاخر الرمادي اللون حتى يتصلا برؤوسهما . فهنالك رأسان فيهما تعبير قوي ، وعيون تبص من خـلال الظلمة بانوف طويلة والحقيقة ان هذه الصورة هي من سوره التعبيرية الناجحة . وتتكون لوحة (المضيف) من ثلاثة اشخاص يكونون الهرم او المثلث وهذه الطريقة مشى عليها القدماء (كروفاليل) وغيره ، وحتى تعبيره عن الاشخاص كونه بخطوط هرمية اي بين حركة الارجل والايدي الى قمة الرأس . تحيط بالاشخاص الوان حارة بنية ومختلفة قطع من اللون الاحمر المثل بالبساط الذي يجلس عليه الشخص المتمدد وعلى يمينه (المكوار) التي ترمز الى القوة والسيطرة . وتتكون مقدمة الصورة من بسط عربيه مختلفة من حيث التصميم والشكل والالوان ، ففيهـا الخطوط الصاعدة الى الاعلى التي توصلها بالاشخاص ، التعبير عن وجه الرجل خشن وصارم واناني . وهناك امرأتان تبدوان فى خدمته وتنتظران ادنى اشارة منه لكى تسقيـاه القهوه العربية الجاهزة فى مقدمة اللوحة فالرسام هنا عبر عن احاسيس المرأة بخطوط بنية قوية .

اما (جواد سليم) نحاتنـا المعروف فلم يعرض شيئا من منحوتاته فى هذه السنة ولعل صحته تجعله يترك النحت فى الوقت الحاضر ويتجه كليا الى الرسم ويقتصر على تدريسه فقط فى معهد الفنون الجميلة . اما لوحاته فى هذا المعرض فهي خمس وابرزها (البستاني) فهي من سور لجواد الجيدة فانها معبرة عن البستاني بوجهه الداكن نتيجة العمل المنهك اليومي . وله نظرة معبرة بعيون ملؤها العزم مع حاجب مقطب دلالة على الجد والعمل ، ثم يرجع بحركة يدوية بيده اليمنى وبحركة اخرى وبساعد قوى ، ثم ترتفع هذه الحركة اليدوية مرة اخرى حاملة السندانة الوردية اللون . ثم نأتي لصورة (روث) الزيتية فهي من اللوحات الواقعية وتمثل الفتاة الامريكية ببساطتها وبالتفاتتها ، ومن الغريب جدا ان نرد (جواد سليم)يرسم هذه اللوحات فيما هو يرسم صورا اخرى مثل (بغداديات). وفى هذه الاخيرة، يريد الفنان ان يعبر عما يحدث فى بغداد القديمة المعبرة بجوامعها والمنائر وبوضعه الكف على اعالي القبب ، وبالحركة الحديثة فى تجديد معالم المدينة وذلك بأبنيتها الشامخة وبأجهزة التلفزيون وبغيرها من المواد الحديثة التي تدل على تطور عهدها . ثم يضع الهلال المرتفع الى الاعلى والمحجر البغدادي امام القباب . ثم يعبر عن الابواب البغدادية القديمة وشبابيكها على يمين اللوحة ، ثم الى الجهة اليسرى من الاسفل فيضع ابريقا بغداديا بلون لطيف مع بعض الخطوط ، الحقيقة انها لوحة زاهية لطيفة ، ولكن لطافتها تظهر بعد التفكير العميق ليس النظر اليها فقط لاول وهلة) وفى وسط اللوحة يضع الالوان المستوحاة من الكاشي الشرقي بالوانه الشذرية والازرق الغامق والبني الفاتح . الى اليمين يضع الوانا مفرحة كاللون الوردي مع خطوط بيضاء. واخيرا نجد اللوحة المسماة بـ (الزينة) فأنها تمثل فتاة بغدادية تقف امام المرآة وتتبرج سواء بوضعها المساحيق على وجهها او الكحل على العيون ،بينما تجد نفسهـا وفى حالة اخرى تغمض عينيها وتنام وخلفها الاعمدة والاضواء ثم الخطوط السوداء للمحجر البغدادي ، واخيرا نراه يضع على الجهة اليمنى عدة الوان قوية وزاهية .

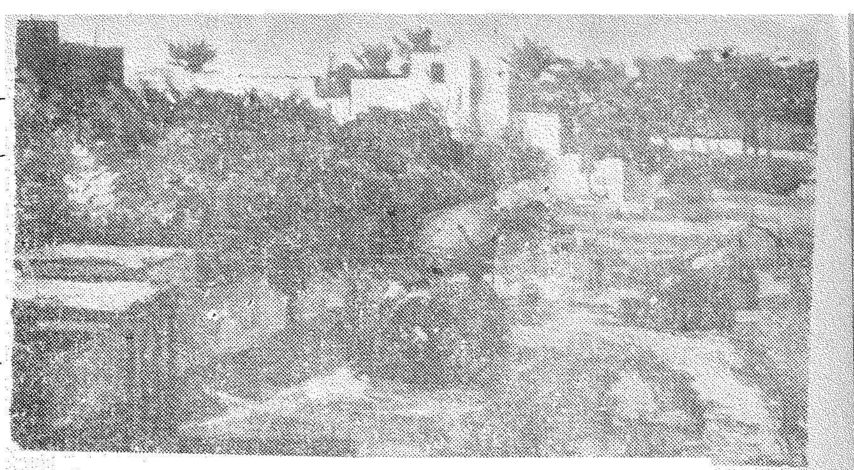
وهنالك جماعة من الفنانين الاجانب اخص منهم بالذكر (أيان اولد) الذي يدرس فرع الفخار بمعهد الفنون الجميلة فله هنا لوحات مطبوعة بواسطة اللاينو منها (عائلة عربية) وموضوعها الاعراب والعربيات وخلفها مناظر بغداد المألوفة . وصورة (عرب) التي تمثل اعرابية وعلى كتفيها الطفل وبجنبها رجل آخر ويده على قبضة الخنجر . وهاتان الصورتان من أحسن لوحاته فى المعرض . ويعرض (روس توماس) لوحة كبيرة كانت قد رسمت بالاصباغ المائيـة وهي تمتاز بالوانها الشفافـة وتجمع بين البساطة والدقة ولقد سبق وان لاقى معرضـه الشخصي عن العراق نجاحـا كبيرا جدا فى لندن فى الصيف الماضي . ومن بين السيـدات الاجنبيات وابرزهن (ناتا لافيت ترنر) التي عرضت لوحة فـي هذهالسنة واظن ان لوحاته للسنة الماضية كانت افضل .

اما (بوغوص بابلانيان) فأنه يتجه اتجاها جديدا بلوحاته التي رسمها فى البصرة سواء (جامع المقام) او (ميناء البصرة ١\٢\٣) بالوان شفافة ولطيفة ، فوضع الوانه ببساطة مع التأكيد على الخطوط الاساسية باللون الاسود والبني الغامـق . فنجح الى حد كبير فى التعبير عن الفضاء والمياه ، ولكنه مع الاسف الشديد لم يتوصل للتعبير عن حقيقة النخيل لا من حيث الشكل ولا اللون .

« المضيف » ـ زيتية ـ لفائـق حسن

ثم نأتي لصورة (نساء واطفال وطبيب) للرسام النحات (طارق مظلوم) فنراه بمحاولته ولوحاته هذه السنة متأثرا بالماضي وعلى الاكثر بالفـن الاشوري ، وخصوصا رؤوس الاشخاص كما فى رأس الام وعلى يسـار اللوحة .

واما (خالد البصام) بلوحتيه (شقلاوة) و (بغداد القديمة) والتي أنجزها بالالوان المائية تطور بعض التطور عما فى سوره القديمة ففي هاتين اللوحتين البساطة والقوة فى الالوان الصارخة والاشباح الغريبة وهما تمثلان الارتباك النفسي تمثيلا صادقا . وهنالك لوحات متناثرة هنا وهناك كصورة (جامع) لعالية القره غولي فألوانها شرقية تظهر فى وسطها القباب والمنائر مع سماء داكن وهي رقيقة بالوانها ويبدو (كاظم حيدر) اخيرا من

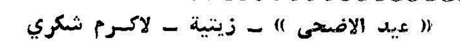


ابرز الطلاب بصوره ولوحاتهسواء فى السنة الماضية او فى هذه السنة .

ومن أحسن لوحاته الزيتيه (حديث الفصل) فانها صورة من صميم الواقع والفنان يضيف الى واقعيته فى هذه الصورة قوة ومتانة كما فى قطع وتماثيل (هنري مور) اذا ما درسنا حركات الارجل وكلها القوية المبسطة . وفى لوحته (رقصة المغزل) افكار جديدة واستعمالات حديثة فى التعبير عما يجول فى خاطره (ولو كانت هذه القطعة معروضة فى معارض اميركا لابتكر منها رقصة حديثة وانتشرت رقصتها فى النوادي الليلية للشابات والشبان كالنار فى الهشيم) حيث انه استعمل فى قطعه هذه خيوط الحرير وفى نهايتها (المطوى) وفى الجهة الاخرى المغزل الحقيقي (ومن الصنع المحلي) المتدلي من اللوحة الى الاسفل وتتصل هذه الخيوط بعدة اجسام نسائية وفى حركات مختلفة وبانسجام .

وأما (خليل العزاوي) فقد حصل عنده تطور كبير عن المعارض السابقة بحيث اخذ يستقل بطريقته الفنية ومواضيعه .

واما معروضات قسم النحت فى معرض المنصور لهذه السنة فاعتقد انها قد اصيبت بنوع من الهبوط عن المستوى النحتي الذي كان للسنة الماضية لعدة اسباب اولها عدم عرض النحاتين المعروفين (جواد سليم) وخالد الرحال قطعا منحوتة تستحق الاعجاب اما النحات (عبد الرحمن الكيلاني) فلاسباب قاهرة ولعدم وصول قطعه من لندن بالوقت المناسب خسرنا التمتع بفنه . هنالك شباب آخرون لا يزالون فى عهد الدراسة فى روما (كمحمد فني حكمت) وآخرون فى (باريس) ننتظرهم بكل لهفة فى المعارض القادمة . ومن الذين قد اكملوا دراستهم الفنية فى معهد الفنون الجميلة والذين قد اصابهم النجاح (خليل الورد) فى قطعة (عطية) والمنحوتة من الخشب ، ففي هذه القطعة يظهر تأثير الفن الهندي بصورة جلية (وميران السعدي) الذي اكمل دراسته الصباحية والذي لا يزال حتى الان فى دراسته المسائية وكان قد عرض عدة منحوتات مهمة فى معرضنا هذا ومنها (الفقير) او (على قارعة الطريق) اي القطعة الجبسية التي نجحت الى حد كبير فى التعبير عن حالة البائسة لدرجة (ان الناس والزوار اخذوا فى وضع النقود فى يده اليسرى عندما كانوا يمرون به) ! واعتقد ان من احسن ما انتجه هنا (ابن المزارع) الذي نحته من الحجر، ومن قطعه الجيدة (راس فتاة) والحق ان ميران السعدي يتقدم نحو الظهور عن طريق اشتغاله المتواصل والمنهك الا ان الثقافة الفنية والتأريخية تنقصه لحد كبير للاخذ بقطعه نحو التجدد والتطور بشكل منطقي وفني. اما النحات الشاب الذي يبشر بمستقبل لامع وهو (اسماعيل فتاح الترك) فأخذت فى تتبع خطواته منذ معارض سابقة فوجدته يتقدم بشكل تدريجي ومريح كما فى قطعه (هموم) و (ثرية) . ثم برز بقوة فى قطعه النصف

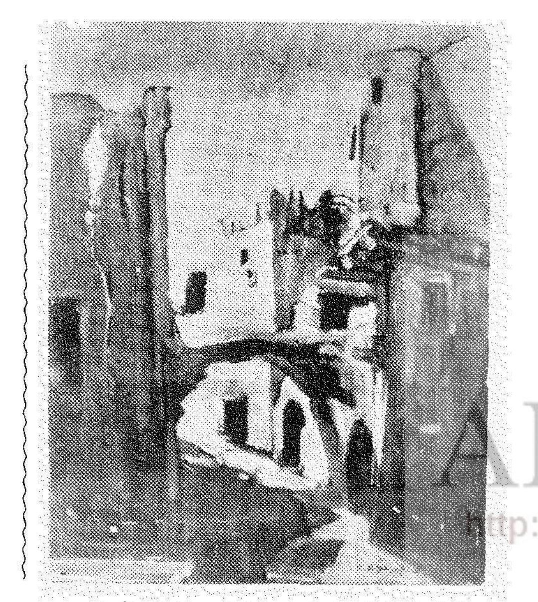


« عيد الاضحى » ـ زيتية ـ لاكرم شكري

« منظر » ـ زيتية ـ لحافظ الدوربي

المجسمة (الباروليف) وموضوعها العمل فى الحقل ومع الاسف الشديد لم يكن عليها الضوء الكافي لاظهار معالمها وجودتها ، بينما هي تمثل جموعا ثلاثة تتوسطها امرأة وعلى كتفها الفأس وفى يدها الاخرى المشربة وتحمل على كتفها الايمن باقة او حزمة الحصاد ، وهنا تعبير عما تقدمه المرأة العراقية من المساعدة فى الاوساط القروية سبيل الانتاج الزراعي ولزيادة الحاصل الذي نأكله نحن سكان المدن بكل راحة بينما نجد الفلاح على اليسار مع مسحاته ، وعلى العموم نجد التعبير قويا وخاصة فى الوجوه ثم فى حركة الفأس وانا اتمنى لهذا الشاب الهادىء الرزن كل النجاح والتقدم فى المستقبل .

واقول ختاما ان معرض بغداد للرسم والنحت وفى نادي المنصور فى بغداد لاقى نجاحا منقطع النظير حتى بلغ عدد الزوار اكثر من عشرة الاف زائر وزائرة ، وان القطع الفنية التي بيعت بلغت (تسعا وثمانين) قطعة



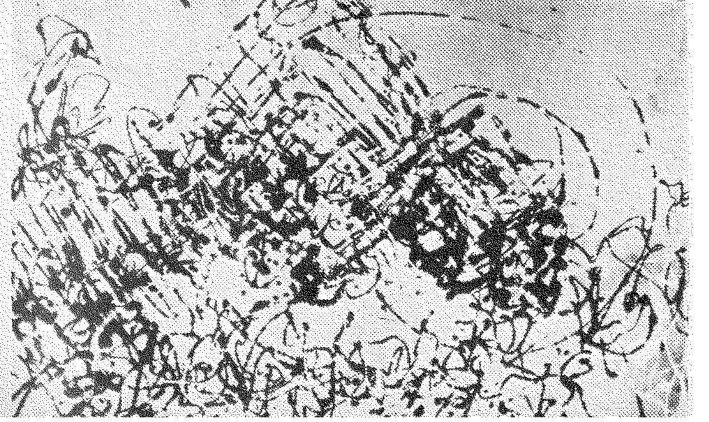
« فى قلعة اربيل » ـ زيتية ـ لخالد الجادر

فنية ما عدا الاشغال الفنية الاخرى التي طلبت من الفنانين بعد نجاحهم الباهر فى هذا المعرض الفني الفخم .

ويمكن القول اننا دخلنا بهذا المعرض مرحلة جديدة فى تاريخ حركتنا الفنية المباركة وانها نقطة التحول فى تكوين مدرسة عراقية او بغدادية وحركة فنية مباركة فى العراق الحديث .

عطا صبري

الصليخ، بغداد — دبلوم جامعة لندن فى الفنون الجميلة



الإلقاح الاصطناعي

بقلم الدكتور منذر دقاق

اذا كان التقدم العالمي في الحقل الطبي يبدأ في البلاد الانكلو سكسونية فان الشذوذ الاجتماعي والفوضى الاجتماعية هما من صفات الشعوب الناطقة بالانكليزية ايضا.

لقد عرفت الشعوب الاميركية والانكليزية الالقاح الاصطناعي عند الانسان قبل غيرها من الشعوب وان كان هذا الالقاح قد طبقه العالم الايطالي (سبالانزاتي) على السمك عام ١٧٩٢ .

واذا كان العالم الروسي (افرانون) قد اجرى تجارب الالقاح عام ١٨٦٠ على الغنم والبقر ، فان العلماء الاميركيين هم اول من اطلق هذه الطريقة (اللااجتماعية) على الانسان واول من طبقها على نطاق واسع ، وكان اول من لقح المرأة اصطناعيا هو (هانتد) عام ١٨٣٨ .

وقد قدر عدد الاطفال الناشئين من الالقاح الاصطناعي عند المرأة في السنين الاخيرة ٨٠ الف في الولايات المتحدة و ٦ آلا ف في مدينة لندن وحدها ، وذلك خلال عام ١٩٥٠ المنصرم .

وخلال الحرب العالمية الثانية ارسل عشرة آلاف جندي يقاتلون في الباسفيك (نطفتهم) بالطائرة الى الولايات المتحدة لتلقيح زوجاتهم اصطناعيا بها كسبا للوقت في الحصول على طفل ترعاه الام خلال غياب الاب .

وهكذا تمت ولادة كثيرين من الاطفال (بالبريد الجوي؟)

وتعلل بعض الاوساط العلمية في اميركا استعمال الالقاح الاصطناعي بأنه الوسيلة الوحيدة لانجاب الاطفال عند العاقرين من الرجال ، والواقع ان نسبة الرجال العاقرين في الولايات المتحدة تفوق النسبة المألوفة في البلاد الاخرى ، وربما كان ذلك ناشئا في الاصل — قبل اكتشاف البنسلين — من داء السيلان عند الرجل الذي يؤدي الى العقم في كثير من الاحيان .

هذا ، وتقوم الان في فرنسا وسويسرا وايطاليا حملة دينية اجتماعية عنيفة ضد هذه الوسيلة من التناسل ، ولقد عبر المجمع الفرنسي للعلوم الاخلاقية والسياسية عن استنكاره الشديد لمثل هذه الطريقة الوضيعة التي تطوي في ثناياها مستقبلا مضطربا للعائلة القادمة ، عندما ينظر الطفل الى ابيه وكأنه ليس منه .

وفي روما اصدر الاطباء الكاثوليكيون في ايلول ١٩٤٩ بيانا شجبوا فيه بقوة هذه الوسيلة (اللاخلاقية) للتناسل ، واعتبر الالقاح الاصطناعي عند المرأة جريمة اجتماعية مشينة.

اما من الوجهة الطبية فترتكز عملية الالقاح على ادخال « نطفة » الرجل في المرأة اصطناعيا ، وقد تأتي (النطفة) من الزوج نفسه .

وثمة شروط طبية عديدة يتطلبها الالقاح الاصطناعي منها:

١ — التأكد من ان المرأة ليست بعاقر وذلك باجراء فحوص مخبرية وشعاعية على جهازها التناسلي .

٢ — التأكد من ان المرأة غير مصابة بأي مرض تناسلي .

٣ — فحص الرجل المعطي والتأكد من سلامته طبيا ومن غزارة نطفته بعامل الالقاح .

والاتجاه المتفق عليه حاليا فيما يعود لضرورة الالقاح الاصطناعي هو تطبيقه في حالات تستوجب مثل هذه الوسيلة ، وذلك عندما يكون الزوجان سليمين من العقم الذي يأتي نتيجة بعض العاهات كالسمن الزائد في كلا الزوجين او احدهما وكالفتوق على انواعها التي تجعل الالقاح عسيرا وفي مثل هذه الحالات المرضية الخاصة يجري الالقاح الاصطناعي بين الزوجين الشرعيين .

ومما عمد اليه بعض مراكز الالقاح الاصطناعي في الولايات المتحدة مزج نطفة الزوج العاقر بنطفة رجل آخر ، ثم ادخال الخليط في جهاز المرأة حتى يشترك الزوج الشرعي في تكوين الطفل القادم الا ان مثل هذا التدبير لم يلق انتشارا واسعا حتى الان .

والمشكلة الاجتماعية التي يتركها الالقاح الاصطناعي هو ان المولود لا يكون الابن الشرعي للاب ان لم تكن نطفة الاخير قد ساعدت على تكوينه ، ومع هذا فمن اللازم ان يخفي على الطفل في المستقبل شروط تكوينه (وخاصة اذا كانت النطفة لا تأتي من الاب بل من رجل آخر) لان معرفته لهذا الوضع الشاذ تجعله في عراك نفسي ابدي مؤلم له كثيرا .

اما العقم عند الرجل او المرأة فمن السهل جدا تشخيصه ومداواته . واسبابه عديدة منها : الاصابة بالامراض التناسلية المعدية (الافرنجي والزهري) او نتيجة اضطراب في افرازات الغدد الصم او اثر تكون اورام خاصة في جهاز المرأة التناسلي تحول دون نجاح عملية الالقاح الطبيعي .

وهناك اسباب وعوامل اخرى معرفتها تبقى من خصائص الطبيب.

ومداواة العقم عند الجنسين سهلة وممكنة .

وفي اوروبا واميركا مراكز خاصة للمداواة مجانا ، وهي تعطي نتائج باهرة تجعل طريقة الالقاح الاصطناعي طريقة ثانوية ، يستحسن التغاضي عنها ولا سيما وقد انكرتها الكتب السماوية والاخلاق الاجتماعية والتقاليد الادبية .

منذر الدقاق

بحث الشهر العلمي

النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

قضية الجزائر .. ايضا

رفع ثلاثمئة وسبعة وخمسون من رجالات فرنسا واساتذتها ومحاميها ومهندسيها واطبائها وكهانها رسالة مفتوحة الى رئيس الجمهورية الفرنسية يلفتون فيها نظره الى طرق الارهاب والضغط التي تمارسها السلطات البوليسية في الجزائر ضد السكان المسلمين . وبين موقعي هذه الرسالة المستشرق ماسينيون والكاتب الكبير موریاك ولويس اوجولا وبول فريس وموريس دو كاندياك والمفكر الاشتراكي اندريه فيليب والصحفي المعروف دافيد روسيه ، وسواهم .

وقد قرر الموقعون ان يرفعوا هذه الرسالة بعد ان اطلعوا على عدد كبير من الشواهد تدل على ان « الجنود الفرنسيين الذين يرسلون الى الجزائر يساقون الى الاشتراك في عمليات يشجبها كل ضمير انساني وتشجبها وثيقة حقوق الانسان » .

وقد ارفق بهذه الرسالة مجموعة من الوثائق والشهادات التي تتحدث عن « اعادة السلام » المزعوم الى الجزائر .

وما تزال الصحف الفرنسية الحرة تنشر عددا من الوثائق التي تؤيد عريضة الثلاثمئة والخمسين والتي تشير الى « المسؤولية الجماعية التي يشترك فيها كل الشعب الفرنسي ». وقد نشرت لجنة «المقاومة الروحية» كتابا بعنوان Des rappelés témoigneent وفي عدة شهادات ادلى بها جنود عادوا من الجزائر في المدة الاخيرة . وقد ذكرت اللجنة في مقدمة الكتاب ان هدفها من النشر « ليس هو نشر الفضائح وانما اطلاع المؤسسات الفرنسية جميعها على هذه الاعمال الفظيعة لكي يخضع الفرنسيون ضمائرهم لامتحان عميق » تجاه هذه الاعمال التي تجرح الشرف الفرنسي في الصميم .

وتلح اللجنة على ان ما يرتكبه بعض الارهابيين الجزائريين من اعمال لا يبرر على الاطلاق « ما يرتكبه جنودنا نحن » لان هؤلاء الجنود يصبحون مجرمي حرب .

ولا تزال مجلة « اكسبريس » توالي نشر الوثيقة الخطيرة التي كتبها ج. سرفان شريبر J. Servan-Schreider بعنوان « ليوتنان في الجزائر » والتي يكشف فيها النقاب عن الفظائع التي يرتكبها الفرنسيون تجاه الوطنيين الجزائريين . وتهدد الحكومة الفرنسية الكاتب باعتقاله ، ولكن كثيرين من المفكرين الاحرار يؤيدونه ويدافعون عنه .

وصدر في الشهر الماضي كتاب هام بعنوان « ضد التعذيب » للكاتب المعروف بيير هنري سيمون يفضح فيه كل اعمال التعذيب التي يقوم بها البوليس الفرنسي في سجون الجزائر .

وقد اوردت معظم الصحف الفرنسية في هذا الشهر نبأ صغيرا من الجزائر يروي انتحار المحامي الجزائري علي بومنجل الذي كان المظليون الفرنسيون قدخطفوه يوم ٩ شباط الماضي . وكان بومنجل قد حاول الانتحار مرة اولى في ١١ شباط ، وحين علم اخوه احمد بومنجل مستشار «الاتحاد الفرنسي » في باريس ارسل الى رئيس الجمهورية يحمل الحكومة مسؤولية موت اخيه ، اذا حصل ، ويطلب محاكمته امام المحاكم . ولكن لم يلتفت المسؤولون الى ذلك ، حتى انتحر علي بومنجل في ٢٤ شباط الماضي . وقد احدث موته ضجة كبيرة في جميع الاوساط البرلمانية والحقوقية وثبت انه انتحر ليتخلص من الوان التعذيب التي كان يخضعه لها بوليس الجزائر .

وكان لهذا النبأ وقع كبير في الاوساط الفرنسية . وقد استقال على أثره رينه كابيتان الاستاذ في كلية الحقوق بجامعة باريس وكان وزيرا للتربية في حكومة الجنرال ديغول . وقد قال في رسالة استقالته التي نشرتها الصحف : « ما دامت مثل هذه التصرفات التي لم نرتكبها حتى ضد الاسرى الالمان ـ مسموحا بها في الجزائر من قبل حكومتي ، فانا لا اشعر بأني قادر على التدريس في معهد فرنسي للحقوق . ولهذا سأوقف دروسي . سرحوني اذا اردتم او اذا استطعتم ، فاني سأتقبل بالرضى كل ما من شأنه ان يسهم في نصر احتجاجي ضد أعمال جديدة بأن تلوث شرف فرنسا ، اذا ظللنا مكتوفي الايدي امامها . »

« المفكرون الثوريون »

تأسس اخيرا في باريس « مركز عالمي للمفكرين الثوريين » مهمته ان يتدخل كلما دعت الظروف لمحاربة الدعايات الرسمية وأكاذيبها وتشويهاتها للحقائق والوقائع . ولكن جهده الرئيسي سيتناول قضية اخطر : هي دراسة جميع القضايا التي تثيرها النظرية الثورية وتطبيقها ومنظوراتها .

وبين مؤسسي هذا المركز روبير انتلم واندريه برتون وايميه سيزير وروبير شيرامي وجان دوفينيو وكلود لوفور وميشال ليريس وموريس نادو واليو فيتوريني الخ..

وقد بدأ المركز أعماله ، فتألفت فيه ثلاث لجان حسب الاختصاص ، اولاها ستدرس «السلطة في المجتمع الاشتراكي» (لا سيما الدور الاقتصادي والسياسي لمجالس العمال الاستشارية) والثانية ستهتم بالمشكلات المتعلقة بالبلاد المستعمرة (بفتح الميم) ، وتحاول الثالثة ان تحدد وضع المفكر المثقف في مجتمع الاستغلال ومجتمع الثورة . »

النشاط الثقافي في الغرب

الاتحاد السوفياتي

« أخلاقية » القصة

اصدر الكاتب السوفياتي « كوزاتشـنكو » Kozatchenko رواية جديدة بعنوان « سالفيا » يروي فيها قصة كولخوزية صغـيرة أغراها رسام معروف حتى استسلمت له ثم تركها .

وقد احدثت هذه الرواية ضجة في اوساط النقاد وتناولتها بعض الصحف بالتحليل والنقد . وترى مجلة « ليتراتورنايا غازيتا » ان من الظلم ان نرى الجانب الاخلاقي في هذه الرواية يتركز فقط على استدرار الشفقة على الفتاة وتوبيخ الرسام المعدوم الضمير . فمما لا شك فيه ان من الواجب شجب انسان يتصرف كما لو ان موهبته تحرره من الواجبات الاخلاقية التي تترتب على المواطنين السوفيات . فهذا التصرف ، على حد قول الجريدة ، هو من «مخلفات الماضي» . غير ان الليتراتورنايا غازيتا تضيف بأن « فتاة سوفياتية تقترب لاول مرة من شخص معتبر ، مثقف ، يعرف ان يعيش ، ثم تكتفي بالبكاء بعد ان يهجرها هذا الشخص ، ان هذه الفتاة هي ايضا موضع العتاب والنقد ، وتصرفها هو كذلك من « مخلفات الماضي » ومن اخلاق البورجوازية الصغيرة . فهي ليست فقط ضحية ، بل هي تتصرف وفق قواعد بعيدة كل البعد عن مبادىء « المواطن السـوفياتي » الرفيعة .

وعلى هذا ، ترى الجريدة ان المؤلف كوزاتشنكو كان على خطأ اذ لم يشجب ايضا « نقص الجدارة » الذي اتسمت به بطلة ترفض ان تستجيب « للحقوق العليا للشخصية الانسانية » .

مجلة جديدة

صدرت أخيرا في الاتحاد السوفياتي مجلة جديدة بعنوان ليتراتورنايا موسكفا » . ويبدو ان نزعتها الاولى هي محاربة الانقيادية . وما كاد العدد الثاني يظهر ، حتى واجهت عاصفة من النقد قامت بها المجلات والصحف السوفياتية ، وعلى رأسها « البرافدا » لسان حال الحزب الشيوعي و « ليترانورنايا غازيتا » ، وقد اتهمتها كلتاهما بالنزعـة « العـدمية » .

وتخشى البرافدا ان تصبح هذه المجلة الجديدة مركز « عصبـة متآمرين او دساسين لا مبادىء لهم » .

ويجدر بالذكر في هذه المناسبة ان ايليا اهرنبورغ يبدو انه غدا متخصصا في « عدم الانقيادية » بسبب المقالات التي نشرها في العدد الاخير من « الليتراتورنا غازيتا » دفاعا عن الثقافة الاميركية...

مؤتمر الموسيقيين الثـاني

افتتح في اوائل هذا الشهر في موسكو المؤتمر الثاني للمؤلفـين الموسيقيين . وقد خصصت « البرافدا » اعمدة طويلة من صفحاتها لهـذا الحدث ، تحدثت فيها عن واجبات الموسيقيين السوفيات . فعلى آثارهم ان تكون « قومية في شكلها واشتراكية في مضمونها » وذكرت ان الموسيقى السوفياتية هي « الابن البار لثورة اكتوبر ... »

وقد علقت جريدة « فرانس اوبسرفاتور » الفرنسية على ذلك بقولها : « الغريب ان الحزب الشيوعي السوفياتي يحاول ان يمارس سـلطة لا حدود لها في الميدان الذي يتساءل المرء عنده « ما عسى ان تكـون هنا استقامة الخط الايديولوجي » .



انكلترا

لمراسـل « الآداب » خـالد القشطيني

جويس كاري

بعد حياة طويلة بالمرض ، وبعد شلل ما انفك يزحف في أعصـاب جويس كاري لعامين ، لم يكن في موته ما يفاجئنا . مع ذلك فان خسارة كاتب عظيم قبله لا يمكن ان تعدم في ذلك الاسى والاسف المقرونين بفراق لا نفس واحدة بل نخبة من النفوس التي خلقها الكاتب وعاش وعشنا معها. قد يكون كاري غريبا على كثير من قراء القصة فاسلوبه غير محبب للجميع ولكن من الف طريقته واحب منه اسهابا في رسم الاشخاص لا يجد ترددا في جعله اعظم قصصي انكليزي من الاحياء – الاحياء حتى نيسان الماضي. كاري ارلندي في الاصل ، وهذا كاف ليحضر في ذهننا قائمة طويـلة من الاسماء يجمعها طابع معين ، شريدان ، اوسكار وايلد ، شو ... الخ. للدم الارلندي خاصة مهمة في الادب الانكليزي . ولكن ثقافة كاري كـانت انكليزية محضة يكفيها ان تكون في كلية ترنتي باكسفورد . والواقع انـه من الكتاب القلائل الذين سمعتهم او قابلتهم ولم اجد فيهم أثرا لأصلهم الارلندي . كان هادئا مهما تدفقت الافكار في رأسه . ولكنه كان نشيطا جدا بالرغم من نحافته المسرفة وضعف كيانه البادي ، لم يكـن ليأخـذ كرسيا بالرغم من نقد رسمنا اياه عدة مرات . وهو ينتصب بقامته الطويلة ويظل يصول بسلسلة طويلة من الافكار عن القصة والفن عامة ، افكار عميقة ربما امتدت جذورها الى عشرات السنين من تفكير مضن ولـيد اكسبها صفة الطبيعة والتواضع والالفة . جويس كـاري لا يذهب

للاستشهاد بارسطو الدكتور جونسون او حتى بالساندي تايمس ، انه مستقيم مباشر فى معالجته فقصصه خالية من شعوذات علم النفس او فذلكات المدارس الحديثة . والهزل والتهكم الذي يصحب كثيرا من مواقفها وعباراتها هو ترديد لروح شارلس دكنز . كان مغرما بحب الحياة لدرجة لم يحتمل ان يتلفها بزيف أو ضعة أو كراهية ، هكذا وصفته الكاتبة باملا جونسون .

لم تؤثر اكسفورد عليه كما أثرت دراسة اخرى هي الرسم . الرسم من الاوبئة التي لا تصيب مخلوقا دون ان تترك أثرها في وجهه طوال حياته . وهكذا بالرغم من ان كاري ترك مهنة الرسم ، وكان ناجحا فيها ، فانه لم يستطع التخلص من أثرها او الحنين اليها . والرسام البوهيمي كان اعظم شخصية ابدعها فى أحسن قصصه : « فم الحصان » التي تعتبر من اجمل القصص الحديثة . وكثير من القصاصين والمسرحيين ومنتجي الافلام حاولوا معالجة حياة الفنانين . ولكنني لا اذكر واحدا بلغ نصف ما بلغته « فم الحصان » . ذلك ان كاري كان بذاته رساما محترفا ، وبالاضافة لم يدرس الرسم فى لندن وانما فى باريس — حيث لا تنبح الكلاب على الرسام البوهيمي عندما يمر . لغة هذه القصة لغة رسامين مائة بالمائة ، خصامهم من النماذج وغرامهم معنى ، غرور النماذج الرخيص بسيقانهن ، تسمية التصاوير لا بالعناوين او الارقام ، او الموضوع وانما بالمساحة !

من المؤسف جدا ان السياسة ، وهي الحرفة التي امتهنها بعد هجر الرسم لم تأت من الاثمار ما يصل ذروة « فم الحصان » . لقد انخرط كاري فى السلك الدبلوماسي فقضى سبعة اعوام فى نيجريا لم يكسب منها سوى اعتلال الصحة وجرح اصابه فى الحرب الاولى . والظاهر ان كونه حاكما بريطانيا فى قرية افريقيين حيث لا يجد ما يفعله اكثر من صيد بن آوى فى منطقة ينعدم الحيوان فيها تماما ويحظر حظرا باتا على الموظف البريطاني ان يتناول قدح ماء بدون ثلاثة زنوج يمسكون له القدح ، افقده مزايا التجربة الفنية الصادقة ومعرفة الاحوال الاجتماعية المظلمة . وهكذا فقد كتب الكثير عن الافريقيين ومشاكلهم ولكنها جميعا لم تبلغ ذروة اجادته . بعد اعتزال الخدمة عام ١٩٢٠ عاد الى اكسفورد « لتعلم » كتابة القصة ، حتى اخرج لنا فى الاربعة والاربعين من عمره ، « آييسا انقذت » التي تبحث حياة زنجية تنصرت . ثم لحقتها « مستر جونسون » التي عالجت حياة موظف افريقي واشارت الى نجم كاري ككاتب قدير . هذه المقدرة لم تنجل وترفع كاري الى القمة حتى صدور السلسلة الثلاثية الشهيرة ، « بنفسها مندهشة » ١٩٤١ و « ان تكون حاجا » ١٩٤٢ ثم « فم الحصان » ١٩٤٤ .

ان جويس كاري كاتب آمن بالحياة وبالانسان وبالوافع كموضوع للفنان . ولقد شغلته مشاكل المصير حتى ادركه المصير قبل ان يتبلور على جواب . بدأ حياته بالتطوع لحرب البلقان ١٩١٣ معتقدا انه « لن يكون هناك اي حرب اخرى ، وعليه لم ارد ان اضيع الفرصة . » ولكن حربين عالميتين رعزعتا كل يقين سياسي في ذهنه .

الرجل الكئيب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٥٦ ـ

فى زاويتي منذ سنين طويلة ، فى منعطف شارع الصالحية ، حيث كنت احمل الصحف الصباحية ، كان يحلو لي ان اراقب التلميذات يمضين زوبعات من الجمال والبراءة والرغبة البكر مع زوابع الشتاء في الطريق المزدحم . كنت ارقب دائما بعضهن في سيارات آبائهن الفاخـرة .. ما اشتهيت مرة ان اشارك احداهن هذا الترف ، ولكني حلمت ليـالي طويلة بان تتاح لي فرصة مغازلة واحدة منهن .

وفي الجامعة التقيت بهن . كان يعوزني الاسلوب الذي به اتحـدث لم اكن اخشى منهن احدا .. كنت احس بالاحتقار كلما اقتربت منهن كنت احس بصورة ، بصورة ما ، انني انبل منهن جميعا .

ـ والان يا استاذ ما هو احساسك وقد نلت واحدة منهن ؟ لا اتوقع منك مجاملة ، لقد كنت دائما وقحا بصراحتك ، انك ترمي كلمتـك وتشـرد ..

ـ انني أتساءل فقط كيف انني نلتك حقا ، انا لا احس ان يـدي قبضت على شيء ما بعد ..قبل ان املك شيئا ، يجب ان املك نفسي : ان احدا منا يا سلمى ، في طرقنا وسراديبنا ومواخيرنا لا يعرف بعـد كيف انه سيد انفاسه . ان بعضنا يتاجر بالبعض الآخر . هناك مـن يحصي علينا عدد انفاسنا . يتجسسون علينا ، يدمرون عفويتنـا ، يجعلوننا نلقي بوضوحنا الى غموضهم ، نضحي بصباحنا لمسائهم ، نقتل ارواحنا لاجسادهم ، نتنازل عن انسانيتنا لوحشيتهم .. لا تعجبي ، انهم يملأون عالمنا ، حولنا ، انهم أشباحنا ، قد أكون انا وقد تكونين أنت ، فكيف تطالبينني بأن استسلم اليك .. فمن انت بحق الابالسة من انت؟ انا لا ارى الا وحدة الجماعة السديمية المزرقة من عدم الدم والجبن والمؤامـرة . هذا تشايكوفسكي ، اله العدم ، ماذا يفعل بعدمـه ، يبعثه الينا عبر الابد ، انه هو الاخر محترف ، محترف فظيع . يعذبنا ويضحك من وراء الغيم : سيزيف ما زال يحمل صخرتـه بـين السفح والقمة .. ولكننا قتلناه يا سلمى ، قتلناه أليس كذلك ؟..

استمعي الى هذه الحركة ، ان هذا الوحش ، وحش العدم لا يعـرف كيف يكذب . لم يعد ثمة انتصار الا هذه النغمة الشاحبة المرعبة مـن المزمار ، تصوت نحيلة مقبورة بعد كل هبة ، بعد كل تجمع طري شاق للقوى المبعثرة .. البعث ، بعث الحرية ، يبقى الامل ، الامـل .. هذا السوط المفتول من افعوان التاريخ الميت يلهب لحمنا بالصفعات ، صفعات الامل الرهيب .. هذا الاله لا يعرف البعث ولكنه يتمطى تحت السوط ، وانت لا تعرفينه .. انا وحدي الذي احمل قضية البحث عنه ، لا قضيته . لم ار وجهه مرة ، فكيف اعرفه ، ولكن اتذوق مشاق ميلاده ، آلام انتظاره ..

المنتظرون ، المحملون على انظارهم ، المتطلعون الى ما فوق جماجمهم ، اللاهثون .. هؤلاء هم شعبي . ماذا أعددنا له ؟ ماذا اعد لنفسـه ؟ الا قضية الانتظار .. المجترون ، البواسل الذين يمضغون قلوبهـم خوفا على قلوب الاخرين .. الذين يفضلون الظلام خوفا من ان يشعلوا السـراج ويروا وجوههم .

تشايكوفسكي يعلمنا وحدته . لقد اعطى كلمته ، وفي الحركـة الاخيرة .. سيكون انسانه الاخير ، نظرته الاخيرة لا الى الوراء ، ولكن الى اجيال الالم الصامت .. الغاضبون ابن هم ؟.. أين الذين تهـدد قبضاتهم آخر شيء يظهر منهم وهم يغرقون في مستنقع الهزيمة ؟.. لماذا تخبئين العرق هذه الليلة يا سلمى ؟.. انها الليالي الفاصلة . لقد بلغ الاجترار تخمنه . والبطن الكبير سينفتح ، سنشتم نتننا بأفجـع جيفة . وعندها لن يبقى احد له انف . نختنق ، ولكن سنبحث لنـا عن هواء اخر .. لن يكون الا في الذرى .. في الذرى ايها المجترون ..

انت مثلا ماذا تخشين يا سلمى ؟ مازالت شعور النعمة مسبلة حولك في كل شيء .. والعاصفة في الخارج ، في البعيد ..

ـ قلت لك انني تعلمت وحشيتك ، لا تخرجني عنك ، لقد اصبحت محترفة انا ايضا ، فلماذا لا تستمع الي قليلا ؟

ـ ماذا اسمع بالله عليك ، لا يمكن لاحد ان يشاركني . هل قلت ان السم شركة ، ان الموت شركة ، ان المظاهرة شركة .. المتظاهرون الذين قضيت بينهم زهرة شبابي ، صباحي من كل يوم ، وحيدون يا سلمى ، انهم افجع من تذوق الوحدة . ولم تجمعهم الا وحدتهم .. ان المناضلين ليسوا شركة ، انهم اعداء ، اعداء الى اقسى العداوة ، من قال لـك اننا قوم الرحمة ، لو اننا قبضنا مرة فقط على عنق احدهم .. لدينا انياب ، انياب لم تقلم من زمان ...

ـ قلت لك انني تعلمت وحشيتك ، ولم اقل لك انني سأمارسها كما تمارسها انت .. انني احترف يأسي الخاص ، أهذا يعجبك ؟

واقهقه بعنف اسـود :

ـ أهـذه بطولة اخرى يا سـلمى ؟

ـ كلا ! كلا ! ولكنها دموعي نفسها ، انني لا استعيرها ابدا .. ان اعظم اخطارك هي انك تبعث في كل انسان وحشـه الخاص .. وعندئذ تتحداه ، انك هذه القوة . قل لي ايها البطل . تمهل ايها الرجـل الكئيب . يجب الا تحجب وجهك عن احـد . انـه اجمـل وجـه يحمل انبل كآبـة ..

انك تبكيني يا انور ، هذه العيون الغائرة تعبت من كثرة ما حملقت فيما هو وراءها .. اتجه الينا قليلا ، اعلم اننا جميعا ملء ذاتـك ، ولكن لا تجعل ذاتك كلها تحمل العالم كله .. تلك هي انانية اخرى . علم الك يا حبيبي .. انثره ، عندئذ ستتمزق اشباح الفرح المزيف ، وتتفتت اصنام البطولة المدعية .. ولكن قل لي بربك كيف اخرج مـن نفسـي ..

ـ لا حاجة لك لان تخرجي منها ، انك تدخلينها ، تلك هي حكمتنـا اليـوم .

ـ لقد حاولت ، حاولت طيلة عمري ان اكون ، ان اكون هذا الانسان، ما زلت اجهل الوسيلة . لا احسب ان المسألة كانت تبشيرا ، او دينا جديدا .. معك حق .. لسنا فى صدد هواية اخرى .. سئمنـا الدعوات ، مللنا الذين يقعون على نتوءات الارض ويصرخون باسـم الآلهة ، ويتحدثون باسم الاموات والاحياء ، يتكلمون باسم الابدية ، بالقيم الخالدة ، بالمبادىء الحرفية المصنوعـة في عقـول من خشب وتنـك ...

انها مسألة ان تصنع الامة شخصيتها ، بأن يصنـع الفرد شخصيته. لا حاجـة للكلمات المزعمة ، وللزعماء المتحجرين . ينبغي للانسـان ان يكتشف طريقه بضوء عينيه . ولكن كيف يكون ذلك ؟

عندما كنت طفلة ، كنت ارقب عودة امي كل مساء تأتيني بالخبـز والطعام . كانت تقول لي انها تقضي النهار بين عصافير البسـاتين الذين

الغرفة الوحيدة التي هي كل بيتنا ، كان اكثر ما يشغل حواسي وتفكيري هو العصافير التي ترقص على اشرطة الكهرباء وتقفز من نتوء الى نتوء في الدور وقد تقف احيانا على حافة نافذة ، وكم هممت بأن اقبض على بعضها . كانت جميعها تفر . واما انا فما كان لي سوى يصنعون لها الخبز ويأتون لها بالطعام .. وانا نفسي لقد اتت بي العصافير اليها . وخلال كل نهار طويل اقضيه لوحدي خلف نافذة ان اسألها عن امي .. واين هي . واعجب لماذا لا تصادقني كما تصادق امي . كنت وحيدة في طفولتي ..

ولكن لم تمض سنون قليلة حتى رأيت البثور في يدي امي ، والتجاعيد المخيفة في وجهها العابس الصامد وقارنت بين لباسي ولباس زميلاتي في المدرسة وبين لباس الامهات ولباس امي ..

كانت امرأة غسالة ، تشتغل في البيوت ، وتأتيني كل مساء بفتات المائدة وبالتعب الصامت ، والعروق النابضة الزرقاء في الرقبة ، وتشقق الجلد الجاف في الايدي والغطيط المفزع .. وانا لصقها شيء صغير يفكر في كل هذا العالم الذي لا تبنيه العصافير حتما .

ما الذي يجعلك اذن تعتقد انك ابن المنعطفات وحدك ، والوقفات الجامدة مع حزمة الصحف تلعق الايدي ، وتقتطع لحمات مدورة من اجسام العابرين ، الفرنكات الحمراء القذرة .. انك الابن الوحيد لوحشة الطفولة وحقارة الشباب .. ومأساة السن الثلاثين في دنيا المدينة ذات الاضواء الزرقاء اليوم .. وغدا تعود الى افراحها وانوارها البيضاء ، وترجع البضائع الى ايدي المساومين .. بضائع جديدة هذه المرة مدغومة بطابع بور سعيد وغزة ..

ولكننا لن نسمح لهم .. كل شيء ينبىء انه لم يعد ثمة مجال للتجارة بجنس العرب .. بطفولتنا وتشردنا وثورتنا ..

ما لك تبتسم ، أتظن تلك من الكلمات الكبيرة التي يلقيها مهووسون على نتوءات الارض .. ولكن لنا الحق بأن نرددها نحن وبطريقتنا الخاصة وبلساننا الخاص ..

ـ ألا يكفي ان بور سعيد لبور سعيد فقط ؟ ماذا نفعل نحن هنا ؟ اننا نتناقش ، نضع التعاريف للابطال والخونة . نزن الحقائق بكسلي وحماقتك . نشعل الاضواء الزرقاء . نبحث عن القاهرة في المذياع . نستمع الى صفارات الانذار ولا غارات حقيقية ، نخاف ، نخلي الشوارع منذ الساعة الرابعة مساء .اتسكع انا .. ويجد رواد المقاهي حديثا دسما بين النراجيل والوجوه الجافة الصفراء . والقى صديقي ، واحادثه من خلف جرائده . واتلصص في الشوارع .. وانظر الى واجهة النادي ، نادي الكبار ، السري دائما . إصعد درجك . ادخل بيتك . انعم بالرفاه والانوثة ، ووطنية الانوثة ، وعذوبة الثورة ، على الحرير ، وبين اقداح العرق ، ومع السمفونيات السوداء . واستمع الى قصة ابنة الغسالة التي اصبحت اليوم تشغل الغسالات والخدم في بيتها . ألا يرضيك هذا .. اننا جميعا مدعوون لان نصمت يا عزيزتي اخيرا . فكل صوت اخر يضاعف حقارتنا ..

ولم يبق الا وهج النار من المدفأة . والمرأة المرتبكة مطروحة ، مرة اخرى ، على الديوان المخملي ، ترفع سيجارة من فمها . وترميها ويدها الى قرب الارض . والرجل الطويل جالس على مقعد بدون مسند . ينحني الى الامام . تختلط ملامحه بالظلال . ويخبو لمعان عيونه تحت جفونه نصف المغمضة ..

كل انسان اذن يجر خلفه جثة ماضيه . يلتصق بالعفن ، ينشر النتن على الاخرين . ألا يعلم ان كل ماض جيفة لا تبعث ؟

ومع ذلك، فانني اسمح لنفسي بأن احاور صور الماضي ، ان كان لي ثمة ماض . ان الناس جميعهم يشاركونني جثة هذا الماضي .. انهم مدفونون بين أحشائها ، وانا مدفون معهم . ويوم ، ابعث ، سيبعثون معي .. ان الذي يدوس على طراوة الرمال ، ستعلق ذرات الرمال بنعليه ، واما آثار اقدامه فسرعان ما تذروها الريح ويمحوها سأم الوحشة .

فلماذا لا تكون سلمى بدون ماض . الحوادث تموت . اما وجه الانسان ، فانه سيظل ينطق بمن مات ومن امات .. لقد وجدت كلمة اخرى اذن ، فاقوم من مقعدي ، واتجه اليها :

ـ سلمى .. انني أسألك عن براءتك .. لقد حدثتني انك عاشرت في بداية حياتك شابا .. كان سخيفا أليس كذلك ؟ ولكنه كان ينتظرك امام باب المدرسة .. وعندما كنت تخرجين بين باقة من الزميلات يلهب الفخر والخجل خدودك ..

كان يزعجك كل مساء فيأتيك ببطاقات السينما او الحفلات . وكان ينعم عليك بين وقت وآخر بالهدايا ، يختلق المناسبات لذلك ..

ولكنك رفضته : شاب غرير ، يهتم بلمعة شعره وحذائه وخدوده كلها مرة واحدة .. هكذا اذن ..

ـ وماذا اتى به الان ؟

ـ لا تصرخي بوجهي هكذا .. احب ان اجوس بين آثارك قليلا ..

ـ بل هذا تعذيب ...

ـ ألم يكن مرحا ، يستطيع اقتناص فرص التسلية ، يسرق من خدك القبل ، يهيء مشاريع النزهة في الضواحي .. اما كان اجمل منك قليلا، لقد كان يحبك .. و ..

ـ وماذا بعد .. وماذا بعد ؟..

ـ كان يعد لك مستقبلا بريئا .. وبطريقة ما اشعر انه كان بطلا .. كان يتآمر ضد غرورك .. وانت تآمرت ضد براءته !..

ـ فعلت ما كنت ارضاه .. ولن اندم ، لن اندم !..

ـ وها انت ارملة ، تنظرين كل لحظة الى المرآة .. لك كل لحظة مع كل تجعيدة مأتم . امرأة بدن رجل ، بدن ولد ، بدون مستقبل !

ـ وانت من ايها الرعديد ؟.. انك بدون حتى ذكريات . طفيلي على ذكريات الآخرين . فضولي تنهب من ايامي .. تفترس وجه هذا الشاب، الشاب الذي تحاول ان تجمع فيه براءة ضائعة منك ومنه .. قل ما تريد مباشرة ..

ـ اشعر بالشيخوخة !..

ـ وماذا بعد ؟

ـ أما سألتني ان كان لي ان احبك ..

ـ لقد احتقرت نفسي تلك الساعة ، يجب ان تنسى ما قلته . الغريب انني ابحث عن .. عن الحب عندك ..

ـ وماذا لو قلت لك انني احب حقا ..

ـ هذا شأنك ..

ـ دعيك من اللهفة .. احب امرأة غيرك .. احب هيفاء .. بنت الاستاذ الكبير الذي تنازل اليوم وقضى معي ساعات في النقاش حول المصير ، وكان من قبل قد تنازل فدعاني الى بيته .. اعرف ابنته جيدا..

ـ هذا حسن .. قم اذن وتزوجها .. لقد قررت انت وما عليك الا ان يجهزوها لك ويقدموها عشية الغد .. لقد بدأت تضحكني حقا يا أنور ..

ـ انا اضحك من نفسي اولا .. اريد هذه الفتاة يا سلمى ، اريدها بكل شقائي وكآبتي .. انت لا تدركين عودة اليائس الى الحياة . لأول مرة كثفت امالي في انسان . تنازلت عن كل شيء .. الا عنهـــا .. ستكون لي ..

*

واستمر الرجل الطويل يهذي على هذا المنوال ، وهو يهبط درج بيت سلمى خارجا . ليجد حريته مرة اخرى مع السكون والظلال . ولقد توقف وهو ينحدر نحو الشارع الخلفي لحظات . انحنى الى الامـــام قليلا . راعه صوته المتدفق الذي ألقى من خلاله بكلمات ما كان يعي محتواها تماما . ادهشته هذه الهمة المتدفقة في عروقه وارادته . انه ينزل الدرج كمن له هدف حقا . ويتجه في الطريق كمن هو على عجلة من امره . أتراه يجرب مرة ان يكون انسانا له شيء محدود ينتظره على هذه الارض .. يجرب ان يكون انسانا عاديا يقلق لامل . ويخشـــى لاضطراب صورته في خياله .. وتلهبــــه اعاصير احـــلام واوهـــام معروفـــــة ؟

هذه هي اذن بشائر الصحة . انه يستطيع ان يسير كما يسير كـل الناس في الشوارع . وسيخاف ان وجد نفسه وحيدا في حي مجهـول مقفـــر ..

ما كان انور ليجهل في نفسه تلك الطاقة المختزنة من الارادة على الحياة، على كل صعوبة تتحداها رجولته . فهو في ساعته هذه يشبه تلـــك الساعات الكثيرة التي قرر فيها ان يكون شيئا ، ان يقرأ ما يكتب فـي الجرائد التي وجد نفسه ، وقد شب وهو يحملها للناس الذين يعرفون كيف يقرأون ما يحبر عليها ويسود .

وانه ليشعر الان بتلك القوة من الحقد والغضب والعناد والبسالة ، هذا الخليط العجيب من العزم الانساني ، الذي جعله ينتسب الى مدرسة ليلية ابتدائية ثم يتابع في مدرسة ثانوية ليلية ، ثم يدخل الجامعة .

وصل انور الى الحانة وما زال يضرب الارض بمثل هذه الخطوات المريدة . ولم تطل به حيرته ، فقذف بنفسه اليها . وصدمه دفعـــة واحـــدة ذلك الوجـه الذي يعرفـه جيدا ، الكومة من الملامح المعجونـة بقبضة لكمة .. كان هو ابو الفوارس عينه ينبعث من العدم فجأة .

كان واقفا امام البار وفي يده كأس كبيرة لشرب الماء . ملأها بالعرق.. وما ان رأى انور حتى تجرع الكأس مرة واحدة واندفع اليه يحتضنه من خصره .. ووصل رأس ابو الفوارس الى قرب انف انور ..

ـ أين انت ايتها النخلة الجدباء ؟ اصبحت اكثر نحولة واكثر طولا ، كأن الله يريد ان يشــدك من رأسك اليــه .. وقدماك تفرســانـــك في التـــراب .

وتأمله انور لحظة ، وبنظرة سريعة ادرك آثار النعمة على هيئة صديقه.

ـ عادت آلامي يا ابو الفوارس !..

فتنحنح هذا .. وهم ان يلقي بسيل من الكلمات من بين اوداجـــه المنتفخة الحمراء لكنه ضحك ، ثم همس في اذن انور :

ـ رجعت ايامنا يا انور .. هذا الجبل من العضلات أين يذهب ؟ لا تسخر من البطولات يا عزيزي .. انني مأجور ايضا ، اجرت عضلاتي ولكن هذه المرة في خدمتكم جميعا .. جميع النيام والجبناء ..

ـ أحقا .. وهل تحتاج المثل العليا اذن الى العضلات ؟..

ـ انني ادافع عنكم .. هيا تعال معي ، دعك من الجد يا اخي . اود ان اتمتع بهذا الوجه مرة اخرى ، هذه منضدة فارغة .. انك تعرف المكان .. ها ها ها .. المكان الضيق الذي يجمع السكيرين المثقفيـن ، وغير المثقفين .. انا مثلا .. وصاحب الخمارة .. هذا الكرش المجتمـع كلـه وراء صندوق المال ، انه يعد الكؤوس .. يساير حركة يدنا بين الطاولة والشفاه المشققة .. أترى ؟ لقد اصبحت استطيع الكلام .. تلك عدوى لعينة يا انور نقلتها عنك .. ان تتفرج على كل شيء حولك .. وان تفضحه .. تذكرت .. أجل ان عملي كذلك هو نوع من الفضيحة .. لست انت وحدك من يملك الاسرار ، انني صانعها ... انني مكتشفها اجمعها من كل زاوية ومن كل وجه ومن كل حركة لجسد مرتعد ينسرب في ظلمات الشوارع .

وعلى ذلك ، فان لسان ابو الفوارس كان منطلقا كخزان من المحفوظات يتجرع كل كأس تقدم له . وعيناه تنفران بالوهج الاحمر والحيويـــة المنبعثة خلال حطام خمسين عاما من تأجير البطولات للخائنين .

ـ قريبا ستقع في هذه القبضة .. قبضة ابو الفوارس حزمة مـن الرقاب ، الناعمة المصقولة المصنوعة من لحم غير لحم البشر . سآتيك بصلعات كانت تأبى ان ينعكس عليها الا زمرد الاله في قبة السماء ، بكوم من البكوات والاعيان ، من قمامات الالقاب والاسر العريقة ..

قريبا سترقص المدينة كلها حول اعواد مشانق ، حول اجساد مدلاة بأكياس القذارات ، بجيف تنتن ، بتقاليد شعوبية .. نعم هـــذه اللفظة التي حفظتها عنك لهذه الفئة .. هذه الفئة العثمانية من عصور ماذا .. عصور الانحطاط .. هذه الجيف ستتدلى في ساحة المرجة ، وسنلقى جميعنا ثاراتنا .. معلقة امامنا ..

انني ارقب هذا السكران الطيب . هذا الرجل الضخم ، في الفاظه وعضلاته ، وجثته ومشروعه الجديد . وعندما انهى ما في جعبته قليلا غمرت تقاطيع وجهه المكتلة لمحة من الفزع الساذج المرتبك . شعت من عينيه نظرات الاستفهام الصافية ..

كان يود ان يستمع الي اخيرا ، ان يرى مدى موافقتي على حماســـه ومشروعه .. لكنه رجل يعمل بالاجرة .. على (الراس) . وعم جـــو الحانة ضباب من الدخان والانفاس والظلمة المعشعشة في هذا الركن ، منذ اقدم قبو التأم فيه جمع من البشرية المنهوكة القوى، الضائعة الجهة، الزائغة الانظار ، التعبة من كل نور او تحديد او شكل معين له قالب يدب عـلى ارض الزمـان المطوط ... مـن ازل ســحيق اسود الى ابـد ســحيق اسـود ..

ولقد اختلطت الضجة وغرقت في سديم من الاصوات المتشابهـة ، واختنقت رئة الفضاء برائحة اللحم المشوي والعرق الرديء والنفس الانساني القذر . وتلامست كراسي الزبائن . وكلما ازدحم المكــان كلما عمق الجو واصبح ادعى الى اللذة والشقاء الابليسي . هذا هـو فرح انساننا الجديد .. اللذة السادية تحت لسعات السوط .. سوط في يده وعلى جسده .

واصبحت لا اتبين الوجوه من غمام في رأسي ، ومن غمام في الجو . ولكن هذه هي الملامـح الشابة الوضيئة تتلاقى حول العرق والموائـد الوسخة . حلقـات مــن طـــلاب ...

هذه زمرة ولا بد من شباب الجامعة . انهم يتهامسون مرة . تتلاقى رؤوسهم وتتصادم حول كلمات. تعلو اصواتهم من بئر مخنوقة . يتحدثون عن الحب العذري ، وعن ساقي احدى الزميلات . وعن ثاثاة الاستاذ المحاضر ويعودون الى الموضوع الاصلي .. ماذا بعد بور سعيد ؟

وتتصادم الكؤوس والرؤوس ، والنفوس الشابة البريئة . وتتهـرق

السذاجات الملوثة بروائح الخارج المبهم .. خارج النفس والمدينة والمسافات .. الى حدود الصحارى والخضم ، الى حيث يمسك الشعب لاول مرة بسلاحه ليدافع عن قضيته . ويتساقطون ، ويتساقطون واما هنا .. فينتصبون ، وينتصبون ، وتعلق انظارهم بالجو . ويبحثون في المذياع عن صوت القاهرة ، صوت القنابل وعبد الناصر من القاهرة .. ويسكرون .

يسكرون ويناقشون الله والشيطان ، والعقائد والقواد ، والرؤوس الصغيرة ، والجيوب المنتفخة ... الساسة العظماء والجواسيس الخلصاء.
عندما كنت طالبا جامعيا ، كنت أعف دائما عن مخالطة الزملاء .. وما كان أسرع دخولي الى الجامعة وخروجي من بوابتها الحديدية الصدئة .

كانت هناك مناظر عجيبة تتقيأ قيمها .. واختنق برائحتها وحدي . كانت مناظر موزعة على درج النادي وفي زواياه ، وبين اشجار الحديقة وفي اركان البناء الجامعي ، او الثكنة العثمانية المرعبة . قامات مريضة نحيلة من شباب مدع مغرور يجمع حوله القزم من الذكر والانثى ، وتستمع الى الحديث ، فهو عن سارتر ، والعروبة ، والماركسية ، وكهوف باريس ، والاستعمار .. وكل الخرافات العظيمة التي يحترق في اتونها جيل بعد جيل لا يدري عن المصير سوى نظرة مرتعدة خارج اسوار الجامعة .. والى حدود المستقبل القريب في مهالك المدينة الغامضة المجهولة .. وبين اناس تجار بالجيل وبجميع المثل المسروقة من قلوب البراءات التائهة .. المظلومة .

المظلومون .. المظلومون .. واصداء الصراخ تهدم اكثر فأكثر من بناء السجن المتداعي ...

احتقرهم . ادوس ظل قامتي المديدة ، ادوسها كلها مهما تطاولت امامي على احجار الرصيف المصقولة من الاقدام المسرعة المجنونة في سيرها واهدافها الاسطورية .

واضرب الكأس التي امامي واقوم .. وابو الفوارس يعرفني . لا يحير لفظة . يحدجني بنظرة قلقة مريبة وانا أتركه . سئمت منه ، ومن جديد يعدم مخلوقاته ، ويميع اشكالها .. وملامحها .. ولو كانت وجها بطوليا .. مأجورا في النهاية .. ووجوها من الجيل الجديد الذي يحرك لسانه بأكثر مما يحرك يده ..

وغبني الشارع الطويل ..

*

الليلة هذه اضواء بيضاء . دور السينما تعج بالناس . الشوارع تخنقها الاقدام . تتكدس فيها الاشياء المتسكعة . لم يبق ثمة ظلام ، ولا وحدة ، ولا شبح رجل طويل على رصيف افعواني لا نهائي .

بائع الجرائد ينتهي من حزمته باكرا ويأوي الى ثقوبه .

*

لم يعد لي ثمة مكتب . اغلقوا المكتب الكبير للاستاذ الكبير ، وغرفتي الفرعية معه طبعا ، وختموا الباب العملاق بالشمع الاحمر ... منذ اكثر من شهر ..

فاصبح محل اقامتي الدائم اثناء النهار المقهى . وفي الليل ابيت اما عند سلمى او في الماخور في الغرفة الخلفية لغرفة سعاد ..

ولقد تملكت مني عادة جديدة ، بعد اغلاق المكتب ، فأجول كل مساء حول بيت الاستاذ المظلم الا من غرفة ابنته هيفاء .

تحيط بالقصر تلك الحديقة الحزينة . ويقوم القصر اسود جبارا في كتلة من الديجور العابس المرعب . وتبقى النافذة العريضة تشع بالضوء من هذا الكائن الصامت .

ها هي ذي تذرع الغرفة جيئة وذهابا ... الجديلة من الشعر الاشقر محررة ، فسيل من النور المجعد الناعس مرسل على الكتفين . وثوب النوم الطويل يجوس خلاله شغوف المصباح . وخطوط الوجه الجانبية حانية وادعة ، ووحدة غريرة غريبة تملأ ارجاء القصر سكونا مهيبا . وهيفاء سجينة هذا السكون . نواس من العذاب المكبوت ينوس في الغرفة الضيقة بين النافذة والمرآة . من النافذة تشرف على العالم الذي غار في اسوده ابوها العظيم . وامام المرآة ينبثق الجمال الحر الذي ينزع لأن يخلق اقداره بالنظرة الوديعة والفم المحجر ، الجبهة العريضة الواضحة والعنق المجدول من مرمر ملائكي غض .

في مثل هذا المساء منذ اكثر من شهر طرقت باب القصر قبضات فولاذية. وتدخل جماعة مدججة بالسلاح . وربما برز بينها من كان خطيب هيفاء ، وربما وقف في الخلف ابو الفوارس يفي بوعده لاهل المدينة .

ـ لدينا أمر بالقبض عليك .. الخيانة العظمى !

وينتزع المحامي العظيم من سريره وحريره ، ليمضي في ظلام الليل الى مصير ، حكمت به ثارات المظلومين المجهولين منذ مئات الاجيال ، عليه وعلى طغمة مسلولة بخبثها ، كهان الخبث ، في معبد الزندقة والجحود ، وراء ظهر الامة .

واجول حول القصر ..

ابحث عن خرزتي جمجمة ، عيني رجل ، لاعكس فيها مرآتي . ليس لهذه الوحدة من اخر . ان سيزيف فقد الشعور بالزمان . وانتهت الذروة الى هاوية والهاوية الى ذروة ، فتساوت الابعاد في مأساته .. الا من هذه الدودة المسلولة التي تنخر في قلب الاستقرار فتؤرقه . دودة الامل التي تحفر في العدم ، في صخر العدم لتنبت شوكة ملأى بالماء ..

المتعبون تحت عبء الامل .. لم اعد من قافلتهم ، لقد يئست من املهم ! لقد اضاءت شركة الكهرباء شوارع المدينة وانتهى عالم الاشباح بين العيون ، وانتقل الى عالم اشباح بين القلوب والضمائر .

انني ارقب هيفاء ، من هذه الزاوية المظلمة قرب حديقتها ، مقابل نافذتها العريضة .. اعذبها ، اعذبها انا كذلك بدوري . وليس لها قط ان تكتشفني ، ولا ان تلمحني ، او تذكرني .. رغم انها حاولت ان تتصل مرارا بعد توقيف ابيها . لان أكون محاميا عنه في التهم المتدفقة كالصخور على رأسه ومصيره .. الخيانة العظمى وفنها .

فن هذه الخيانة في كل عرق من عروق امتي ، في كل ثانية من حياتها ، تحت كل فجر من ايامها ، بين طيات لحوم اطفالها ، وعزائم شبابها ، ويأس شيوخها .

انا من هنا ، من غيبوبتي ، اعذبها ، استرقها ، أعد عليها انفاسها ، وآهاتها ، واكشف انوثتها المهانة المحطمة . انني لذتها البعيدة ، انني ديانها المخيف .. من هنا من صمت وقفتي ، ووحشة نظرتي ، ورعشة شفتي حول الكلمة المفقودة التي لن اقولها ، ولن تسمعها هي حية أو ميتة ..

ويذوب المساء في فجر جديد .

النهار صاخب ، ورؤوس الصفحات من الجرائد حافلة بالعناوين الضخمة حول الاعترافات ، الاتهامات ، المرافعات ، معلقات الخزي ، والمؤامرة الازلية ضد كل امة تبعث المجد في دم الانسانية .

ويطل رأس الحكمة في المقهى ، ينهج بالشعر الابيض ، والجبين ..



سيل من نور شاب ، والعينان حقيقتان تلدان مع كل نظرة مشعة بالسر والايمان ، بالشك والكرامة ، بالتجربة والنبوة ..

لقد كان يقول ذلك منذ ثلاثين عاما ، يفلسف ذلك ، ينادي ويؤسس الدعوات الانسانية في شعبه (لذلك) .. للمؤامرة ضد الامة العربية ترتكبها بشرية الغرب بيد عربية ، بالحثالات ..

كان يؤمن بالامة ، وبالمؤامرة . وها هي المؤامرة يصطدم تلقاءها وعي الشعب ، فلا يجرؤ ان يطمس عيونه هذه المرة ، ان زعماءه ينهارون تحت سوط ابشع جريمة .. الشعب ، ولاول مرة ، مدعو لأن يكون ديان قضيته . انه اليوم المسؤول الاول عن الهه وشيطانه ..

كان رأس الحكمة يتحدث كعادته بين جماعة من شبابه الذين يعرفهم ولا يعرفهم حول منضدة صغيرة في المقهى المزدحم . لا يتشفى ، لايحقد لا تلوح على وجهه اية امارة عن نية سيئة لم يعرفها في حياته حتى ضد جلاديه ، جلادي عروبته منذ ايام المستعمر .

انظر اليه . بدأت حقيقتاه ، عيناه ، باللمعان الجوهري ، انه يمسك وحي فكرته . يجمع الافق السماوي من الشارع ، من خلال آلاف العابرين من اهل امته . انه يبسم لي .. لقد زايله شكه ، لم يعديحمل عقيدة عن المؤامرة . اصبحت ملك الدهماء الذين يصفون الى المذياع الساعات الطويلة يستمعون الى حقارات اناس كانوا مرة يحلمون بحكام تاريخ كامل على مذبح وحشيتهم .

ــ ستعلق رقابهم ، ستعلق رقابهم في ساحة المدينة ، ان الامةاكتشفت اعداءها اخيرا ، اكتشفت ضميرها الاسود ضد وجودها ، ففضحتمرضها .. انها تعرف مسؤوليتها اليوم ..

كان الشباب يتزودون من (رأس الحكمة) المشع ، كل يوم بتفاؤل صعب ثقيل . وكانت نفوسهم وهي تتشرب بلسم الثقة تتشرب سم الخوف .. الخوف من اي شيء ؟!

بعد الظهر شحبت مباني الشوارع بشمس الاصيل المصفرة . وفي المساء همد كل شيء مرة ثانية ..

ودون ان تبدل المصابيح البيضاء بالمصابيح الزرقاء ..

ودون ان يهرب الناس الى بيوتهم ..

ودون ان تتطلع العيون المذعورة الى السماء ، ترقب الطائرات العدوة..

ودون ان تدوي صفارة انذار واحدة ..

كان جو بور سعيد قد انتقل حتما الى دمشق . ودون ان تعلن اية حرب في الشوارع . فقد كانت الشوارع في صمتها المريع تعلن عن نهاية حرب ..

وصرخت في وجه سلمى :

ــ لقد وقعت الهزيمة اخيرا .. وابو الفوارس يتيه هذه الليلة بين الحانات ، والناس يغلقون المذياع الى الابد .. لن تعلق اعواد المشانق ، لن تقتل دمشق نفسها لتخلقها بكرا جديدة حرة والى الابد ..

خفضوا الاحكام .. لن تكون هناك جرأة لاحد على الاعتراض .. من اجل قضيته ..

خسرتها يا سلمى .. خسرت قضيتي .. ولن يجديني نفعا بعد اليوم كسلي ، وتسكعي المرير بين الماخور وبيتك ، بين بائع الجرائد ونافذة هيفاء ..

وكان الرجل الطويل يميل بنصفه الاعلى نحو الامام والى الاسفل قليلا . وكان وجهي يعاني صفرة الموت الصامد . ما زالت بعض الكلمات الهادرة تتفجر من كسله العتيق . بينما كانت سلمى تتمدد شيئا فشيئا على الديوان وتفتح جريدة مسائية .

وقام الرجل الطويل من على مقعده ، بدون مسند ، وفتح النافذة .. ومن هناك انحنى انحناءته المعروفة ..

وكانت المدينة تحت انحناءته تلمع بجواهر الضوء الابيض .. وكان اللمعان ترجفه رعشة ، كرعشة النجوم البعيدة وهي تهوى الى الحضيض.

مطاع صفدي

مُناقشات

أي نقد هذا ؟ !

بقلم عبد الرحمن الكيالي

مما يحرج الاديب كثيرا ان يتصدى للدفاع عن اثر من آثاره ، مضطرا الى خوض معركة تلتحم فيها الذاتية بالموضوعية التحاما وثيقا ، يكاد يزهد المرء فى الاقدام على معالجة هذا النوع من الموضوعات .

ولكن الاثر الادبي حين يخرج الى القراء بالنشر ، تضعف صلته بصاحبه، بقدر ما تزداد صلته بالقراء ، حتى ليكاد صاحبه يصبح واحدا من هؤلاء القراء الذين من حقهم ان يتناولوه بالدراسة والنقد ، وهذا ما يشجعني على مناقشة الكلمة التي كتبها احمد ابو سعد تعليقا على قراءته للقصائد الشعرية المنشورة فى عدد آذار ومنها قصيدتي « انشودة القنال » .

واني مع ايماني بضرورة النقد ، وحرصي على ان يكون صريحا وحازما ، واعتقادي بأنه خير سبيل لتوجيه الادب وتطويره ، ارى انه لا يستطيع اداء رسالته وبلوغ غايته المرجوة الا اذا سيق في كلام مهذب ، وصيغ بأسلوب مؤدب يترفع به عن الاسفاف الى درك المهاترة والسباب البذيء. وهذا ما يصعب تجنبه على النقاد المبتدئين ، فيضل سعيهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . ويلوح لي ان الناقد الذي تأخذه العزة .. ويضيق صدره بما يقرأ الى درجة ان يفقد اتزانه فتطفح على قلمه الالفاظ النابية، لا يعدو احد اثنين : فهو اما ان يكون جاهلا لا يعرف قدر الامانة التي يتصدى لحملها ، واما ان يكون صادرا عن حالة نفسية تحتاج الى العناية والتطبيب . اما الناقد الموزون البصير بما يعالج ، ففى وسعه ان يسلك الى غايته سبيل الحكمة ، وان يبرز العيوب لاصحابها وللقراء فى وضوح وجلاء يضعان ايديهم وابصارهم وعقولهم مواضع النقص والخلل ،ويعرفانهم مواطن الضعف والهلهلة دون ما حاجة الى الصولات العنترية والحملات الدون كيشوتية . بدأ ابو سعد حديثه بما يشبه البحث فى الشعر القديم والحديث ، استغرق نصف موضوعه تقريبا ، ثم خرج منه بان ثلاث قصائد فقط من التسع المنشورة هي التي قدر لها ان تظفر بقسط من رضاه ، اما الست الباقية ، فأصحابها فى زعمه : « طائفة من النظامين المقلدين الذين غالوا فى الخروج على كل قاعدة ، والتحلل من كل شرط ، فراحوا ينظمون « على كيفهم » غير شاعرين بفداحة المسئولية ، ولا ملتفتين الى مضمون الرسالة التي اخذ اقطاب الحركة على عاتقهم التبشير بها لتخليص الشعر العربي من الرتابة والجمود ورداءة التكرار الخ» . ثم يصفهم بالجهل والانخداع بالبساطة والسهولة ، وينعي على اصحاب المجلات فتح الباب لكل ما هب ودب من طوفان الشعر التافه المبتذل الى قوله : « فيستمر السادة المزيفون فى غيهم وتقع المأساة » وهذا ما يخشاه على الطلاب والشعراء الناشئين ، فيقترح على هيئات التحرير فى المجلات ان تقفل الباب امام الناس العاديين والمبتدئين المقلدين هكذا .. انه ليحضرني وانا اقرأ هذا الكلام صورة لشرطي المرور الواقف تحت المظلة يشير بيديه الى السيارات ، وهو ينظر في اتجاه معين، ومن زاوية محدودة فى دماغه ، ولكن السيد ابا سعد ، لا يكتفي من يديه بارسال الاشارات فحسب ، بل يهوي بهما على سائقي السيارات المخالفين لاشاراته ، وعلى الركاب ايضا ، ويتعجل الامر ، فيصدر عليهم أحكام المخالفات متجاوزا صلاحيات القضاء ، ثم يتعدى ذلك الى اشتراع قوانين السير على هواه وكما تشاء نظرته المحدودة الضيقة .

هل صحيح ان القصائد الست كلها تافهة متفاوتة فى الرداءة والضعف فقط، وخارجة على كل قاعدة، ومتحللة من كل شرط؟ ان كان الامر كذلك، فاولى لمن اشرفوا على المجلة ونشروا هذه القصائد ان يتنحوا عن عملهم فورا لانهم ليسوا اهلا فى نظر الناقد للقيام بعملهم الادبي الجليل . وان يكلوا اليه الاشراف المطلق على هذا الباب كما يوحي مقاله لنرى كيف يحكم الرتاج ، فلا يلج منه الا عمالقة الشعر وعباقرته الذين يملأون خياله ، ولنهتف حينئذ جميعا : « يحيا الاحتكار الادبي »

ان مجلة « الآداب » ايها الاخ لم تتبوأ مقعدها الادبي فى العالم العربي الا لانها حطمت الاصنام ، وازاحت السدود ، فاطاحت بعروش الادب الكرتونية ، وفتحت الباب على مصراعيه امام مواهب الادباء ، فكشفت عن القوى المخزونة ، والطاقات الفنية الحبيسة . ومعنى كلامك ايها السيد ان تنزل هذه المجلة عن أقدس واجباتها الادبية فى معركة الحرية العربية فترجع الى الوراء طائعة مختارة ، بل ان تلغي نفسها في الواقع ، وتتخلى عن رسالتها الى الاجيال العربية الصاعدة لنصيح انت وحدك على جدثها : « عاشت الرجعية الادبية » .

ان منطق الاستاذ الناقد يقودنا حتما الى سوء الظن بكل ما تقدمه هذه المجلة : فاذا كانت هيئة التحرير فيها قد فشلت فى اختيار ست قصائد من تسع ، فمعنى ذلك ان ثلثي مختارها الشعري لا يستحق القراءة ، ولا يبعد بهذا القياس ان يكون الثلث المستحق قد فلت عفوا واندس فى المجلة بدون دراسة وتمحيص ، وما صدق عن الشعر ، سيصدق على النثر ايضا ما دامت هيئة التحرير واحدة ، وحينئذ يكون اولى لهذه المجلة ، الا ترى النور خوفا على الطلاب والناشئين من سوء القدوة وفساد الأذواق .

ويظهر ان الناقد لا يرى الشعر اهلا لان يكون ادبا الا اذا كانت عبارته تعبيرية موحية تتميز بصدق التجربة وعفويتها ، ونزولا على هذه القاعدة يحكم هو بان القصائد الست الغثة فى رأيه انما هي نماذج من الشعر الوصفي التقريري الخالي من التجربة الصادقة . اما ان يتميز الاثر الادبي بصدق التجربة وعفويتها فهذا حق لا مراء فيه ، واما التزام العبارة التعبيرية الموحية فلا يجوز ان يكون الميزان الوحيد فى تقييم الاثر الادبي ، وان كان من اهم الميزات التي ينبغي ان تلاحظ فى تقدير الحكم عليه .

ذلك بان اتخاذ هذه القاعدة وحدها اساسا للعمل الادبي ، سيفرض علينا حتما ان نرفض جميع ما لدينا من نتاج تشيع فيه العبارة التقريرية الوصفية مهما تكن مشحونة بالافكار العميقة الناضجة ، ومهما توافر فيها من عناصر الجمال والابداع . وهذه النتيجة لا يمكن ان تكون صحيحة.

وبعد فان هذه المناقشة الاخيرة مبدئية فحسب ، اردت بها بيان وجه الخطأ فى رأي الناقد . وليس حقا ادعاؤه ان عبارة القصائد الست التي سخفها ــ تقريرية وصفية ــ والعجيب فى الامر ، انه قد استشهد على رأيه ببعض القطع من هذه القصائد مبتورة من اصولها ، ومع ذلك جاءت عباراتها تعبيرية موحية ، واليكم مما اختاره : يا اخت تحيات عطره ــ من قلب يشتاق اليك ــ ولامي وفتاتي تلك السمراء ــ لسعاد يا اخت تحية ــ ولكل رفاقي وصحابي ــ ما زال خطابك فى كفي ــ يهتز وينبض .

ان هذه الكلمات على بساطتها تثير فى الانسان احاسيس عميقة متحركة وترسم صورة حية لشاعر فى حالة نفسية خاصة .

ومما يلفت النظر ان الناقد قد فطن الى شيء مهم حين فرض ان تكون العبارة تعبيرية موحية ، وغفل عن شيء اهم ، وهو ان تكون القطعة كلها كوحدة متكاملة تعبيرية موحية ، فقد تكون القصيدة موسقة بالعبارات الوصفية التقريرية ، ولكنها في جملتها تعبيرية موحية ، لكن الناقد فتن بالعبارة الجزئية فى القصيدة ، فنسي الحركة الداخلية العامة فيها ، وهي اقوى تعبيرا ، وابعد ايحاء من تعبيرية العبارة وايحائها . وهذا ما قد توافر فى معظم القصائد التي رماها بالتفاوت فى الرداءة والضعف .

ومما يثير الدهشة ان يتخذ الناقد من بساطة العبارة وسهولتها ، منفذا للطعن فى الشعر ، ووسيلة لتسخيفه والسخط عليه ، وهذا رأي عجيب حقا ، فنحن نعلم ان البساطة والسهولة ، من اهم عناصر الفن فى العمل الادبي ، ولا يخفى ذلك الا على اولئك الناس الذين خدعوا بالعبارات الضبابية المعقدة وران على افكارهم مفاهيم مثالية مجردة لا تمت الى الواقع بسبب ، وهذا ما يأباه النهج الادبي الحديث ، وليست بساطة العبارة وسهولتها من الامور اليسيرة كما يتراءى لبعض الناقدين ، بل الامر على العكس تماما ، فان من أشق الاعمال وأصعبها على الاديب ان يسكب الافكار العميقة الواسعة في اسلوب سهل مفهوم . وقديما عرف ابن المقفع البلاغة : بأنها الكلام الذي اذا سمعه الجاهل ظن انه يحسن مثله .

ويذهب الناقد الى ان شعراء القصائد الست من المقلدين المبتدئين الذين لا يستحق شعرهم النشر ، وهذه الدعوى ان دلت على شيء فانما تدل على ضيق نظر وسوء فهم لقضية الشعر العربي التي ينصب صاحبنا نفسه للدفاع عنها ، فهو يقول فى مطلع كلامه ان النهج الحديث فى الشعر لا يتجاوز عمره عشر سنوات ، وهذا يعني انه لا يزال فى فجر نهضته ، ولما ترسخ اقدامهبعد ، ولكنه من جهة اخرى يريد ان يقصر النشر على الرائع من نتاج الاقطاب الذين يمنحهم هو هذا اللقب ، فما هذا التناقض ؟ وكيف يمكن تفسيره ؟

ان هذه الظاهرة ليس لها حل سوى ان صاحبها مستعبد وهو لا يدري لنوع خاص من الاصول الادبية القائمة فى ذهنه ، ولا ينظر الا من كوتها الضيقة ، ولولا ذلك لما اتخذ موقف الهدام المدمر ، وتخلى عن موقف الناقد المنصف البناء ، فان معظم هذه القصائد التي أحنقته ، واخرجته عن حدوده فقذف بها وباصحابها الى اعماق الجحيم ، اقول : « ان معظم هذه القصائد ــ انشودة القنال ــ الطوفان والمدينة السمراء ، بلادنا مقابر الغزاة ، انا وهي والليل ، لا يمكن ان يحكم بأنها تافهة ضعيفة ، وان اصحابها نظامون مقلدون مبتدئون سوى ناقد مغرض ، ينطق عن الهوى ، أو مغرور جاهل بالادب عامة وباصول النقد والشعر خاصة . وقد عودتنا مجلة الآداب فى اعدادها السابقة ، ان تسلم باب نقد الشعر الى بعض المختصين المخلصين المعروفين بالعمق والانصاف ، والحرص على متابعة الحركة الشعرية الحديثة ورعايتها ، ولست ادري : هل كان من سوء حظنا وحظ الشعر ان تقع قصائدنا تحت يد الناقد ابي سعد ام كان ذلك من سوء حظ مجلة الآداب نفسها ؟!

عمان عبد الرحمن رباح الكيالي

حول قصيدة (حب وجاجلة)

بقلم ايلي حاوي

قرأت في العدد السابق من الآداب ، النقد الذي أجراه الاستاذ احمد ابو سعد على قصيدة اخي خليل حاوي (حب وجلجلة) ، وقد رأيت ان اتولى هذا النقد لان اخي غائب في جامعة كيمبردج ، وهو لن يتسع وقته للرد على نقد بدا يطلق الاحكام ويفضي الى يقين بشأنها دونما تحرج او هوادة ، كانما يحفظه على جماعة الادباء وتر قديم .

والنقد ، بعد ، ينبغي ان يتصف بالموضوعية والتؤدة ، يتجه من المقدمة الى النقاش فالنهاية بروح علمية تيسرها له الدراسة المتكافئة . ولست اود أن أتواقع معه بجدل أو مهاترة في سوية الامور وانما يخيل الي انه من اولئك الذين يتمضغون ثقافتهم المحدودة ، يكتفون بها عن تجربة العصر وثقافته . وربما كان بلغه نبأ تلك المحاولات التي تسعى الى ان تحرر الشعر من قيوده الخارجية ، فاكتفى بما سمع عنها في حديث القوم دون ان يتعمق دراستها ، او يلاحقها في الشعر المعاصر ، شاعرا اثر شاعر ، ليتمثل ماآوفت اليه تجاربهم اخيرا . فهو قد سمع بالتجديد ولم ينجدد به ، لم يحوله الى معادلته في النقد ، لينصف بنقده ولا يعود يغمط الناس استحقاقهم بعجزه وضعف ثقافته فضلا عن تماديه . يسهل ان نستعيد جملة تليت امامنا عن التجديد فنذكر انه يقوم « على نظرة استطيقية مدروسة وفلسفة في الحياة خاصة » الا انه لاينبغي ان نكتفي بما سمعنا ، من ان نتقف بذينك الامرين ونجتاز بيقين وتمثل ، مراحل تطورهما ، ونخبر طبيعتهما بالدراسة الطويلة والمراس . فاذا لم يتيسر لنا ذلك ولبثنا نتخذ الامور بما سمعنا عنها ، فستأتي أحكامنا في النقد حكما علينا بجهلنا لقضايا الفن والفلسفة .

ولعلي بناقد القصائد في العدد السابق ، لا تتكافأ ثقافته مع ثقافة بعض الشعراء الذين تعرض لنقدهم ، فكشف عن ضعف ثقافته فيما حاول ان يكشف ضعف شعرهم .

من ذلك انا بصرنا به يطرح قصيدة تكاد ان تكون من اجمل قصائد العدد ، وكانما استغلقت عليه لانه لم يستطع ان يجاري الشاعر باجوائه الفنية فضلا عن جماليته . فقصيدة « حب وجلجلة » تمثل قضية نفسية ، قضية مصير دون ان تتخلى عن الرونق الجمالي ، ان نفس الشاعر مابرحت حية الاشواق والعزيمة في جسد اعيته الامراض فاضحت كانما تسكن فيه قبرا يشدها الى العدم فتتهالك او تكاد « اما الروح فنشيط اما الجسد فضعيف » . الا انه عندما يصبر البرابرة تسعى أظافرهم للفتك بمن أحب ، يتأجج النداء في قبره ، في صقيع قبره ، في عرقه الموات ، فيصلي ويضرع ليبعث من جديد ، يريد ان يبعث دون ان يخشى صليبه القديم ، بل سوف يحمله ودمه النازف منه ، سيعاني مأساته في اعياد الطغاة ، سيعاني هذه الجلجلة جميعا ، ليعود فيبصر من احب : بلاده ، عبير الارض في بلاده ، فضلا عن ابنائها وتلك البيوت التي غمرها هم « العيش فعميت ونسيت ان وراء سور الهم » مروج الامل والحياة .

فهلا نفذ الناقد الى هذه المعاني او استطاع ان يرافق الشاعر في مراحل تجربته؟ اعتقد انه ممن درج على عادة الشعر القديم الذي يستنفد في بلهوانية تقوم على هدم الصورة العتيقة الهرمة وابتنائها من جديد . لذلك لبث ، عن وعي او عن غير ما وعي ، يقيم الشعر وفقا لاساليب البلاغة الموات ومماطلة الاستعارة بطقوس من المعاني ، تعاد وتستعاد ، يخلف شكلها دون جوهرها . فهو لا يمكنه ان يتذوق هذه المحاولات او يشارك بهذه التجربة لانه لم يعانها بنفسه ، ولم يثقف ثقافتها الفنية والفلسفية . ان التجربة نشأت اصلا في شقاء الشاعر بدائه ومنفاه ، يطأه جدار الليل وجلاميد الاسى ، ومن ثمة ، امتزج واقع دائه واساه

بفلسفته ، بايمانه ، عبر ذهول الحدس ، فنشأت لديه فكرتا العـود الابدي كما في زارا نيتشي ونبي جبران ، والبعث الذي يحر القبر كما بعث ادونيس والمسيح . ذلك ماأشار اليه الشاعر في مقدمته النثرية:

« تسألون كيف عدت من غربة الموت ؟

ـ لقد اعادني حب الصغار ، زنابق الفجر في بلادي ، عدت لافتديهم وسوف اعود في كل عصر تشتد فيه مخالب البرابرة » ،

هكذا نرى ان الشعر يقوم على فلسفة خاصة وفوق ماارتأى الناقد ، لكنها ليست في المنطق والبينات بل هي حالة مبرمة في ذهول النفس ، يتحدس بها القلب بحدسه الخارق المبهم . فالقصيدة نفذت من الواقع النفسي الى فكرتي البعث والعود الابدي اللتين لم يخبرهما وربما لم يسمع بهما الناقد !!

ولست اود ، بعد ، ان افيض في جمالية القصيدة ، لان الشعر كالله يتخذ بالقلب على العقل ، كما يقول بسكال . الا اني اود ان اجتزىء ببعض خصائصها ، نسبة للشعر المعاصر ، فيطلع الناقد على نظريات لم يفسح له ليخبرها ويتداولها تداول اليقين ، ولعلي به ، جرى على عادة الصور المتماسكة ، الواضحة الخطوط كانما تمثل بعين المشاهدة لابعين الخيال في عتمة الضمير ، ان الشعر المعاصر ، او قبل ، منذ عهد الرمزيين ، ماانفك يغشى خطوط الصورة الفنية بالظلال والاضواء ، ليغمرها بالوهم وبالتالي ، بالكثافة والايحاء ، ولعل بودلير لم يوفق الى تلك الرعشة الجديدة في شعره الا بغيبوبة الصور وذهولها لديه . والصورة الشعرية منذئذ ، طفقت ، خاصة على يدي رانبو ، تغرق في التغيب وربما الفوضى لتمثل واقع النفس فيما هو حي يختلج ولا ترضى به بعد ان يتضح ويعي لانه يموت . وفي عصرنا لدى أبولينير ولوتريامون فضلا عن اليوت انحلت الصورة الشعرية عن واقعها القديم ، واصبحت صورا في صور ، او بالاحرى ومضات من الصور الهاربة في اطار صورة. ذلك ان النفس تتحول تحولا ابديا ، كما بين برغسون ، توهم المرء بصورة واضحة ، بينما ينكفىء وراءها آلاف من المويجات الشعورية المغفلة ، على الشعر المعاصر ان ينفذ من موجة الوضوح في النفس الى المويجات الهاربة وراءها .

من خلال هذا المفهوم ينبغي ان نواجه القصيدة لنقدرها حق قدرها ونتملى اجواءها .

وانا في وحشة المنفى مع الداء الذي ينثر لحمي ، والسعال ـ وجدار الليل في وجهي ، وفي قلبي دخان واشتعال ـ وعلى صدري ... على صدري جلاميد ، ثقال ـ آه ربي ، صوتهم يصرخ في قبري ! تعال

هذه الصورة المتلاحقة في الداء الذي ينثر لحمه والسعال فضلا عن جدار الليل والدخان والجلاميد ، هذه جميعا ، ملامح شتى لعمر لحظة نفسية واحدة ، تبرم في نفسنا جو تجربته دون ان تسف بذهولها عن جمالية التشخيص ورونقه . فجدار الليل تشخيص واقعي بقدر ما هو ذاهل ، وكذلك دخان القلب فضلا عن نثار الداء والسعال ، هذه كافة ، واقع تمثله الشعر فيما هو يختلج ، حيا ، دون ان يصقله الوعي ويفصل علاقة أجزائه الواحدة بالاخرى . ان التفصيل والشروح في الشعر تعطله فيصبح اشلاء بعد ان كان رؤيا وصلاة ، لذلك رأينا فاليري وكلوديل يتنكبان عن استعمال أداة التشبيه ، تقتضي ذلك عليهم الصعوبة الداخلية في الفن ، لان هذه الاداة تجمد التجربة لتدع العقل يواجه طرفي التشبيه. كدت أقول ان فضيلة الشعر ، منذ بودلير حتى السريالية قامت على قدر تلاحقه في وحدة نفسية مضمرة عبر الذهول والغيب الظاهرين . والابيات الاربعة التى ذكرنا تقوم على هذه الفضيلة ، اشتراكا حيا بتجربته ، بل تتحدان فتصبح التجربة فلسفية نفسية بنا الى قضية القبر ، ان الشاعر لايوضح علاقة الجلاميد بالقبر بـل تغفل عنها لتظل الصورة عميقة الايحاء شديدة الترابط بالرغم من ظاهرها غير المتماسك . الا اننا ليس يتعصى علينا ان نرابط بينهما فندرك ان جلاميد الاسى ليست الا احجار القبر الذي يرزح دونه . ومـن ثـم تفضي بنا الى قضية البعث حيث تمتزج ثقافته الفلسفية وتشترك اشتراكا حيا بتجربته ، بل تتحد ان فتصبح التجربة فلسفة نفسية تتطور خلال شريط من الصور والرؤي والصلوات .

وصليبي ، والدم النازف منه ، ليل مأساتي ، واعياد الطغاة

غير اني سوف القي في الغداة

كل من احببت ، من لولاهم ماكان لي بعث ، حنين للحياة

بي حنين موجع ، نارتدوي في جليد القبر ، في العرق الموات

هل تمثل الناقد صدق هذه التعابير والصور في الصليب والـدم النازف منه ؟ وهل تملى الشجو الانساني في تشخص مشكلة العدالة والحرية اذ قال : « ليل مأساتي واعياد الطغاة » ففي لفظتي ليـل واعياد يتراءى لنا واقع الظلم وانسانية الشاعر . فهو ليس يتأسـى لغرض تافه ، لمال في فقره ، لوظيفة في بطالته ، وانما اساه كأسـى ابي العلاء ، وهملت وفينيي ، اساه اسى الوجود ، اسى المصير . هو اذن يترجح بين شهوتي الزوال والبقاء ، فيطرح سؤال هملت الابـدي حتى تنتصر لديه شهوة الحياة . لكنه ليـس يعود لينتهبها في لذة عابرة او عمر مستسلم ، وانما يعيده الى الحياة ، حنينه الموجع الى بلاده ، الى شباب وصبايا الجبل ، نسل تموز الجمال والعافية . وهنا يتضح عنوان القصيدة الذي يوجز مأسـاة وجود الشاعر : جلجلة في طعن الحرية ، في ليل مأساته تدفع به الى العدم والتهالك ، ومحبته لم يحب من اصدقاء واهل ووطن ، تشـد به الى الحياة ، وتقصي تخاذله وشهوته للموت .

هذا بعض ما قد تنطوي عليه القصيدة . واني اعتذر لاخي عن شرحها، فالشعر لا يشرح او يشوه . بيد اني قضى علي بذلك عدم فهم الناقـد للقصيدة . كما انني لست اود ان اتخذ الناقد ببعض العنف مما يسهل بل يتوجب علي ازاء نقده الا انني اتحلم عن ذلك حفاظا على الموضوعية والسـوية الادبية .

ايلي حـاوي

تقييم ...

بقلم هنري صعب الخوري

يقول برغسون « ان الفلاسـفة ـ رغم اختلافهم البين ـ متفقون على تمييز طريقتين جد مختلفتين لمعرفة شيء ما ، الاولى تستلزم ان ندور حول ذلك الشيء ، والثانية ان ندخل فيه . الاولى تتعلق بنقطة النظر الوضعية ، وبالرموز التي نعبر بها ، والثانية لا تأخذ باية نقطة نظر ولا تستند الى اي رمز ، فنقول عن المعرفة الاولى بأنها تقف عند ما هـو نسبي ، وعن الثانية بأنها تتصل بالمطلق ، هناك حيث هي ممكنة »

ونحن اذا ما حاولنا ان نقيم نقد الاستاذ ابي سعد لقصائد العـدد الماضي ، من هذه الوجهة ، ندرك على الفور ، ان صاحبنا لا يتمتع بغـير

المعرفة الاولى ، هذا اذا كان يتمتع بها بالفعل . والا فما الذي يبرر موقفه، ليسقط من حسابه ست قصائد ، ولينعتها جملة بالضعف والرداءة، مرتابا في ان تكون صالحة للنشر ام لا ، دن ان يكلف نفسه عناء النظر فيها . انني والله لا أعرف كيف أجيب هذا الناقد. أأربت على كتفه واقول له ، عافاك الله ، لقد ملأت فراغ هذا الباب لصاحب الآداب ، ام أكيل له الصاع صاعين ؟ أأجيبه بطريقة علمية ، وهو ابعد ما يكون عنها كما يشتم من تعليقه ، ام اتركه يتبد برأيه ، وبعقول السنوبيين Les snobs ؟ والله لا ادري . فأنا بطبيعتي لا اميل الى المهاترة ، او الى اي عمل يسف عن مصاف الخلق .

ولكن ما في اليد حيلة . اذ ان استاذنا قد خرج عن حدود الفهم الادبي، ودل على ضحالة في الحكم والدرس ، وعلى غرور بذاته ، الى حد يسمح له بالتوجيه ، واسداء النصح والتمني على هيئات التحرير بان تختار الجيد الرائع ، كأنه معلم هذا الجيل ، ومن عداه فهو جاهل غر .

على ان اطلالة عجلى على انتاج ناقدنا السابق ، وانتاجه اللاحق ، الذي لم نقرأ منه سوى قصيدة واحدة عن بور سعيد ، تكفي لوضعه في المكان اللائق به ، والحد من عصبيته ، وكشف ابتهاره للفن والحياة وحرارة التجربة وصدق الانفعال ، هذه المسميات التي باخت من كثرة دورانها على السن النقاد .

وكي لا أتهم بانتقاصه بغير ما دليل ، اورد فيما يلي ، قصيدته «الحارة» ــ لن نهون ــ التي أبى الا ان ينشرها مرتين . كأنه لم يرض بما أوقع من ضحايا في المرة الاولى، فعاد يكمل على البقية الباقية .

« في بور سعيد ــ في ارضنا في بور سعيد ــ للمجد والكفاح مولد جديد ــ بور سعيد ــ ما الموت ؟ ما الدمار ؟ ما الحديد ؟ ــ امام بأسها الشديد ــ امام شعبها العنيد ــ لا نريد ــ الموت للغزاة لا نريد ــ ويهبط الطغاة ــ في القناة ــ ويزحف الموت على الحياة ــ لن نهون ــ نحن هنا مصممون ــ ان نكون او لا نكون ــ صامدون ــ ساهرون صابرون ــ او نبيد ــ بور سعيد ــ لم يبق في الارض مكان للعبيد ــ »

أظن ان القارىء الكريم ، قد يتساءل الان ، بعد قراءته هذا الشعر ــ عفوا ــ هذا الموال : أيصلح مثل هذا في زعم الاستاذ الناقد للنشر مرتين ، ويرتاب في صلاحية قصيدة مثل « انا وهي والليل » بالاضافة الى خمس قصائد اخرى ؟ افنعت « انا وهي والليل » بالضعف في زعمه ، وتستملح هذه الثرثرة ــ لن نهون ــ نحن هنا مصممون ــ صامدون حامدون ــ ساهرون صابرون ــ الخ. ــ حقا ان ميزانه لعجب .

سوى اني كنت افضل ان يرشدنا الى الجودة التي يريد ، الى المقاصد الشريفة التي تنتج شعرا شريفا ، فاذا كانت على شاكلة مواله ، لن نهون ــ فليطمئن فاننا لن نهــون !

ارجو ان لا يحقد علي الناقد العزيز ، فأنا لا اعني بما قلت وما سوف اقول شخصه بالذات ، وانما اتوجه بالتثريب الى ما يصدر عنه بالذات . ان من يفقأ في عيني حصرمة وهو محق ، اشكره على صنيعه ، اما ان تفقأ على خطأ ، ان تفقأ اعتباطا ، فذلك ما لا استطيعه .

يدعي حضرته بكل سهولة ، ان قصيدتي ضعيفة ولا يزيد . ترى هل قرأها ؟ هل حاول ان ينساق مع داخليتها ؟ ثم اين هو هذا الضعف ؟ افي سبكها ام في فكرتها ؟ فاذا كان في السبك ، فانا اتحداه بان يأتيني ببيت واحد هزيل ، وان كان في الفكرة ، فانا موقن انه مر عليها مر الكرام، اغفالا منه او جهلا ــ لا أعلم ــ بما تحمله من ايحاءات ورموز .

في هذه القصيدة عمدت الى الاخبار عن مشكلة القلق التي تتلبس الفنان المعاصر ازاء هذا السيل من التيارات الموجهة ، وحيرته بين ان يستجيب لمجتمعه الذي لم يلق منه غير الصمم والعقوق ، وان يستجيب لنداءات ذاته ككائن له وجود يتفرد به .

ــ وحدي! كأوفيليا البلها يلاحقني يأسي ، ووحدي احوش الموت والمحلا ــ مشكلة قد لا يشاركني بها الجمهور ، ولكن يكفي لاعبر عنها بانفعال وصدق، ان اعيشها ويعيشها اكثر الفنانين الاحرار . اما ان تطرح ، ويطرح الاثر الذي ينقلها لمجرد عدم انزلاقه شرعا مع هوى البعض ، فذلك هو الظلم بعينه .

وثمة ظاهرة عند هذا البعض ، اجتزيء الآن بالاشارة اليها ، مرجئا معالجتها على نطاق ارحب الى مقال خاص . هي ظاهرة الازراء بكل شعر على الوزن التقليدي ، كما نلمح شيئا من ذلك عند ابي سعد .

وردنا على هذه الحالة ، ان وجود نماذج جديدة في الشعر من حيث القالب والاسلوب والفكرة ، لا تنفي وجود نماذج تقليدية من حيث القالب ، جديدة من حيث الاسلوب والفكرة . فالشاعر الصادق مع نفسه ــ باعتراف الشعراء ذاتهم الذين خبروا الطريقتين ، الحديثة والقديمة ــ غير مخير باختيار الوزن والقالب ، بل ان الموضوع ، هو الذي يملي عليه غالبا هذا الوزن او ذاك ، وهذه الطريقة او تلك . وبرهاننا على ذلك ما نشاهده لدى الكثرة من شعراء الغرب والعرب المجددين ، من جمع بين الوزنين التقليدي والحر ، في الديوان الواحد ، واحيانا في القصيدة الواحدة .

اذا ، ما هي حجة صاحبنا ؟ ما هي الموازين التي قيم بها قصيدتنا ؟

واخيرا، احب ان اشير الى خطأ مطبعي وقع في البيت الثاني من قصيدتي اذ جاء العجز على هذا الشكل ــ دينونة غسلت عن جدره الثقلا ــ والاصح أن يقرأ : دينونة غسلت عن جدره التفلا والسلام .

هنري صعب الخوري

حول ديوان (اغاني المعركة)

بقلم محمد مفيد الشوباشي

قرأت كلمة النقد التي نشرتها مجلة الآداب الغراء للسيد الطيب الشريف عن ديوان الشعر الذي اصدره السيد ابراهيم شعراوي اخيرا باسم « اغاني المعركة » . وقد شعرت بعد قراءة تلك الكلمة انها لا تخص الناقد والمنقود وحدهما ، ولا تقتصر على الديوان المذكور بعينه ، ولكنها تتجاوز ذلك الى المعركة الدائرة اليوم بين المذاهب الادبية بعضها وبعض ، وتعكس اتجاها خطيرا للفكر النقدي الحديث . واذا كانت مناقشة هذا الاتجاه قد استغرقت صفحات عديدة من المجلات الادبية ، فانها ما زالت في حاجة الى الاتساع والامتداد لتلم بالموضوع من اطرافه ، ولتلقي عليه من اضواء البحث ما يكفي لانارة اركانه الخافية . ولعل اهل الرأي من الباحثين واصحاب المجلات لا يضنون عليها بتحقيق تلك الغاية المؤثرة في نهضتنا الثقافية .

لم يشأ ناقد « اغاني المعركة » ان يمتحن ذلك الديوان على هدي قواعد مذهبية يختارها هو ويطبقها عليه ، ولكنه احتكم الى مقدمة الديوان نفسه ، ورجع الى بعض عباراتها فسجل منها : « الشاعر لا يمكنه ان يضحى في زحفه الجديد بالكلمات المنغومة المنتقاة »، ولكنه « لا يجوز ان ينكمش داخل القوالب الجاهزة المعدة كقضبان السكك الحديدية » واورد منها كذلك : « الاستاذ الشعراوي يعرف واجبه ومسئوليته وطريقه . »

وقد استخلص الناقد من تلك العبارات « ان صاحب الديوان له اسلوبه ذو الالفاظ المنتقاة ، وله طريقة ، وعليه واجب ومسئولية يقدرهما في عمله الادبي » . وعلى هذا الاساس اخذ يحاسبه في بحثه النقدي ، اي ان الناقد عد صاحب الديوان من انصار الادب الواقعي الملتزم ، فوضع « اغاني المعركة » في ميزان مذهب ذلك الادب ، واتخذ من اصوله وقواعده محكا يختبرها به ، فخرج من هذا الاختبار بحكم على الديوان بانه عنتري الاسلوب ، خرافي المضمون ،بعيد كل البعد عن الالتزام والثورية. وقد بنى هذا الحكم على شواهد استمدها من الديوان مدللا بها على صدق نظره . وسنناقش هنا تلك الشواهد لنتبين نصيبها من الخطأ والصواب، ولنتفهم اصول الادب الملتزم واهدافه على نحو اوضح .

بدأ هجوم الناقد على الديوان حاميا عنيفا اذ ناقش اولى قصائده وهي قصيدة « الكنز » . ومضمون تلك القصيدة ان الشاعر كان :

« يرنو لغد رغم السحابات الكثيفة ــ والاعاصير المخيفة ــ فوراء السد كنز ــ قد ورثناه عن الاجداد في ماضي الدهور ــ روحنا تحنو عليه وترفرف ــ قال جدي ان هذا الكنز مسحور مطلسم ــ سيفك السحر مصري ، بقلب يتألم ــ وحديد يتكلم ، بحروف من جهنم » .

ومن الواضح ان الكنز الذي يتحدث عنه الشاعر هو ارض الكنانة الممتدة وراء سد أسوان ، وانه ملك اصحابه المصريين ، ولكن وضع مصر الجغرافي والاقتصادي حرم المصريين كنزهم ورصده للمستعمرين . وقد اراد الشاعر ان يصور مشاعر المصريين ومعتقداتهم في زمن جده تصويرا واقعيا صادقا ، وان يعبر عن آمالهم ، فقال بلسان جده ، وهو لسان ذلك العصر ، ان ذلك الكنز مرصود لغير أهله ، ولكن الحال لن تدوم على ما هي عليه ، فسوف يأتي مصري صميم يقود المعركة ضد الاستعمار ، ولكنه لن يقوذها بالخطب الحماسية المثيرة للحمية الوطنية دون ان تدعم تلك الاثارة قوة فعالة ، بل سيقودها بحديد يتكلم بأحرف من جهنم .

هذا هو مضمون تلك القصيدة . ولكن الناقد ابى ان يدركه على وضعه الصحيح ، وأصر على ان يقلب هذا الوضع على عقبيه ، فبدل ان تكون نبوءة جد الشاعر تعبيرا عن شعور المصريين في ذلك الوقت ببوادر النهضة الحديثة ، وبحركة التطور ، وبالامل في الخلاص ، اذا الناقد يراها نبوءة كنبوءات العرافين ، واذا هو ينسب الى الشاعر الزعم بأن الثورة التحررية المصرية وليدة نبوءة الجد الخرافي !.. وفي هذا تجن على القصيدة وعلى تصويرها الواقعي مما لا يحمد صاحبه عليه .

ويرمز الشاعر في تلك القصيدة للاستعمار بعجوز « لم تزل تنفث في عقدتها .. وبعينيها دهاء .. » ويأبى الناقد ان يعترف للشاعر بأنه اراد الرمز ، فيقول : « يتمثل الشاعر تراث الاجداد كنزا تتصرف فيه عجوز شمطاء متسعوذة .. » ثم يعود فيقول : « الذي اعلمه ان الاستعمار اجهزة اقتصادية واجتماعية مبنية على اسس صياغية علمية ، وليس مجرد عجوز هرمة تنفث في العقد .. » ولكن هل اكتفى الشاعر من رمزه بذكر العجوز الشمطاء أم تجاوز ذلك الى التخطيط العريض للسياسة الاستعمارية ؟ انظر الى قوله الذي اغفله الناقد :

« والعجوز لم تزل تنفث في عقدتها ، وبعينيها دهاء
فرّق الشعب ومزق وحدته
مثلما حطمت في ماضي الليالي ثورته
والعجوز تتأبى .. كيسها أتخم من تبر بلادي
من دمي .. من عرقي   من خير زادي . »

نخلص مما تقدم الى ان الشاعر صور لنا في قصيدة « الكنز » تطور نهضتنا ، ومنابت ثورتنا ، وكيف بدأت في صدور الاجداد وأذهانهم مشاعر وآمالا مستمدة من واقعهم ، ثم تطورت وتجسدت في الكفاح الثوري المتوثب لتحقيق أهدافه كاملة . وقد استعان الشاعر في ابراز ذلك المضمون بالرمز الصادق التعبير، وبالصور المرتبطة بحقبها التاريخية. ولن ينال من هذه الحقيقة الملموسة محاولة الناقد قلب أوضاعها ، وايهام القارىء ان الشاعر جعل من الرمز في ذاته حقيقة ، وأخضع الواقع للخرافة ، فانحرف بذلك عن جادة الادب الملتزم . لقد حققت القصيدة هدفها الواقعي بتجسيدها الاستعمار في تلك الصور البغيضة ، وفضح حقيقته وأهدافه ، وزيادة نفورنا منه ، وتمكين وعينا له . ثم انها دعمت ثورتنا الاستقلالية بتصوير انتصارنا الذي بدأ أحلاما وآمالا ، واخذ يسلك السبيل العملية حتى تحقق بالقوة المادية بعد ان هيأت له الظروف الملائمة ظهور القيادة الواعية المظفرة .

وانتقل الناقد بعد ذلك الى قصيدة « ثمن الحرية » فأخذ عليها انها تقليدية الشكل والمضمون ، لانها لم تحطم قواعد الشعر العربي ، فالتزمت الوزن القديم والقافية الواحدة، وعبرت عن الواقع تعبيرا مباشرا ! ونحن نرى ان هذا المنحى النقدي يزداد خطورة على مر الايام حتى يكاد يدخل في روع شباب الادباء انه يكفي ان يقدموا في منظومهم على العبث بالوزن والاطاحة بالقافية لينتظموا في سلك المجددين المبدعين !!.. لقد فات السيد الناقد ان الغرض من عدم التزام القافية الواحدة هو التخفف من القيود التي قد تكون غير ضرورية ، وهي مع ذلك معيقة لانطلاق الشاعر في ميداني المعنى والموسيقى .. ولكن الانطلاق الذي يؤدي في حالة توفيقه الى تحقيق الهدف ، ينقلب الى فوضى اذا أخفق ولا يكون ثم توفيق الا في ظل نظام جديد أخف قيدا ، واجمل اتساقا ، يستعاض به عن النظام القديم المتداعي ، فحيثما ينعدم النظام تسود

الفوضى . ومما لا يجوز اغفاله ان الشاعر المتمكن قد يكون اكثر انطلاقا وهو مكبل بقيود الفن من الشاعر العاجز الذي لا يستطيع الا ان يحبو مهما اطلقت له العنان . وقد فات الناقد ان هذه القصيدة تعبر عن انفعال الشاعر بمعركة بور سعيد ، وقد نظمها والمعركة مضطرمة الاوار ، فمن الطبيعي والحالة هذه ان تعبر عن النضال تعبيرا مباشرا صريحا ، وان تكون قوية المبنى حماسية المعنى . ومن العسف ان نطالب الشاعر بالخروج على حكم القاعدة التي تقول « لكل مقام مقال » لقد كان الشعب خلال تلك المعركة القاسية في حاجة الى تقوية معنويته بمثل هذا الشعر، ولكن الناقد الذي لم يفهم الواقعية على اصولها يطالب الشاعر ، رغم قسوة الظروف التي لابست شعره ، ان يجنح الى النورية ، ويلمس النغم الناعم ، واللفظ الانيق !!. وقبل ان ننتقل مع الناقد الى القصيدة التالية نود ان نشير الى خلط شباب اليوم بين القالب وبين الشكل ، فهم يكتفون بتحطيم القالب الفني القديم ، ويظنون كأنهم تخلصوا بذلك من الشكل القديم . في حين ان القالب ليس بذي خطر ، فقد يصاغ العمل الفني في أجد قالب ، ويظل رغم ذلك ، بتعبيره الفني العتيق ، عتيق الشكل .

ينتقل الناقد بعد ذلك الى قصيدة « سأقاتل » ، ويأخذ على الشاعر قوله : « ان تاريخي تاريخ عرابي » ويفسر هذا القول بأن الشاعر يحصر تاريخه في ذلك النطاق الضيق المحدود بدلا من ان يصله بتاريخ البشرية جمعاء . وقد وقع الناقد هنا في نفس الخطأ الذي يقع فيه بسبب غفلته عن صلة كل معنى في القصيدة بموضوعها .. فهو ككل مثالي يطالب بالمعاني المطلقة . ولو انه فطن الى ان معركة بور سعيد هي استمرار لمعاركنا مع الاستعمار منذ اعتدائه على بلادنا واصطدامه بالمقاومة التي قادها عرابي لعرف ان الشاعر أصاب اذ ربط نضالنا الحاضر بأصله التاريخي .

واخذ الناقد كذلك على الشاعر قوله :

« كنت ادري انني لم أتعلم — غير ان ابكي اذا الخطب دهاني.. واحتواني — قبل هذا اليوم لم أحمل بكفي بندقية — غير اني سأقاتل — علموني يا رفاقي .. »

قال معلقا على هذا الشعر : « فاذا كان الشاعر لم يحمل سلاحا قبل اليوم فكيف يقاتل ؟ وكيف يكتب وهو لم يتعلم ؟ » والناقد يعذر اذا فهم المعنى المقصود من هذا الشعر على النحو الذي سجله ، لانه فردي النزعة، وبعيد عليه ان يدرك واقعية هذه الابيات التي تعبر عن المقاومة الشعبية. يحسب الناقد ان القتال اليوم ، كقتال امس وقف على الجندي المحترف. وكأنه لم يعش بمصر خلال المعركة ، ولم يشعر حتى بطرف يسير من الواقع الذي يجري حوله . فاقبال الجماهير على التدريب العسكري ، وتسابقهم الى ميدان القتال ، وحملتهم على الجيش المعتدي دون ما التفات الى دربه المتميزة ، مؤمنين بحتمية الدفاع عن وطنهم ، وافتدائه بأرواحهم رغم ظروفهم غير المؤاتية ، كل ذلك كان بعيدا عن نظر الناقد السابح في أبراجه الجمالية .

جاء في هذه القصيدة كذلك :

« كل ما أعلم أني سأقاتل — وسنقوى من خلال المعركة — فاذا مت بأرض التضحية — فستحيا من ورائي أغنية — وسيحيا وطني للابد .. »

ويعلق الناقد : « اما انه سيقوى من خلال المعركة دون دربة سابقة ، فهي معجزة حقا ! » وفي هذا القول انكار لقيمة التجربة لم نسمع بمثله من قبل .

ثم تناول الناقد بعد ذلك ست قصائد من الديوان قال انه سينقدها بالجملة دفعة واحدة . وقد وقع فيما كان لا بد ان يقع فيه ، اذ جاء نقده مختلطا معجونا بعضه في بعض مما تعذر علي معه فهم مرماه ، وتعذر بالتالي ردي عليه . ولكني أستثني قوله عن قصيدة « انتصار » « لم ادر بعد أي انتصار حققه الشاعر ؟ » ان الناقد يصر هنا ، كما أصر دائما ، على ان الشاعر يتحدث عن نفسه ، متغافلا عن ان الديوان كله تصوير لمعركة بور سعيد على الخصوص ، معاركنا مع الاستعمار على العموم . والذين خاضوا تلك المعارك وانتصروا هم الجموع الشعبية ، وشاعرنا واحد منهم . ويعود الناقد فيسأل : « من هو المعتدي ؟ » يا له من سؤال !!..

وبعد ان حاول الناقد التزام الموضوعية في نقده ، وربط المناقشة بكل بيت يناقشه ، تفجرت منه الفاظ النقد العامة المحفوظة دون ما تطبيق لها ، او تدليل على صحة ما تحمل من تفهم ، فهو يقول مثلا : « وليس في القصيد من تجربة شعورية (معاناة من الداخل) انها مجرد تساوق لفظي مسطح ، وتلاعب بالتعبيرات المنسقة تنسيق المسطرة العروضية المتحجرة .. » هذه الصيغ النقدية التي ألفناها في هذه الايام ، ووجدناها نسخا متكررة لأصل واحد « سريالي » النزعة يستهدف انكار كل اتجاه ادبي لا يلتزم السريالية . فالشعر ليس صورة تعكس الواقع في صدق وحيوية ، ولكنه وليد تجربة معاناة من الداخل . والشاعر لا يغوص في أعماق الواقع ليصوره على حقيقته ، ولكنه يغوص في أعماق نفسه وسراديبها بحثا هناك عن الحقيقة . وهو لا يتناول في شعره مشكلات مجتمعه ، او مشكلاته مع ربطها بالمشكلات العامة ، ولكنه يتناول مشكلاته الذاتية مقتفيا أثرها في أعماقه المظلمة .

ثم لا يكتفي الناقد بمهاجمة شعر الاستاذ الشعراوي على هذا النحو التعسفي ، ولكنه يتجاوز شعره الى شخصه فيرميه بالغرور الباطل مستندا الى الابيات التالية التي يتحدث فيها الشاعر عن شعره :

« وأجمع فيك رحيق الوجود	من الارض لا من خيال الخلي
« من الزارعين من الصانعين	من الراكعين لدى المغزل
« من الحاصدين رقاب الطحالب	بين الازاهر والمنجل

فهذا الشعر الذي لا يستهدف منه الشاعر الا توضيح اهدافه الشعرية ، يراه الناقد تفاخرا باطلا . وقد قال في ذلك : « انا أفهم ان يتباهى « شيلي » و « طاغور » و « الشابي » وغيرهم من الاصلاء بأناشيدهم .. ومع حقهم في المباهاة لا نراهم يلجأون اليها لان انانيتهم المتواضعة ليست بالمنتفخة او الوارمة . اما ان يقوم بهذه العملية



« ناظم » لم يستبن طريقه بعد .. فهو لعمر الحق ضرب من الاشادة « بأمجاد مهزومة » ــ كما يقول « بودلير » ، يراد بها الاكثار من الغثاء في عالم يزحم مسالكه الغثاء » .

بهذا القول كشف الناقد عن طويته الحاقدة . لقد بدأ نقده موضوعيا كما قلنا ، فلم يلبث ان انقلب ذاتيا ، اذ غلبته السموم التي كظت نفسه فنفثها بذاءة وغثاء . ولا عجب فان هذا الناقد ينافس شاعرنا في ميدان النظم . وقد اختلفت بهما الطرق، فسار الاول في الطريق المظلم فتخبط وسقط وهو بعد يخطو خطواته الاولى ، وسار الثاني في الطريق السوي فجادت المعيته بالشعر الحي السليم، فاذا امطره الحقد سبابا فعزاؤه في انتاجه الذي دلل على نجاحه باثارة الاحقاد .

ومن الامثلة الدالة على ان ذلك الناقد يلقي نقده جزافا قوله : « يستغرق الشاعر في هيمانه « عند الشاطيء المنحدر » وشاطئه وشاطئه لان القافية ، او المسطرة العروضية استلزمت ذلك . » فالناقد الحصيف يحسب ان هناك شواطيء غير منحدرة . وان الشاعر وصف شاطئه بالانحدار التماسا للقافية المتحكمة في شعره. فهل يعرف القاريء شاطئا لا ينحدر الى الماء ؟ واذا وجد مثل هذا الشاطيء فما الذي يحول دون طغيان الماء عليه ؟

ونكتفي بما ذكرناه تدليلا على ان الكلام الذي كتبه الناقد عن « اغاني المعركة » ليس نقدا ، ولكنه حملة تعسفية مغرضة . فشاعرنا صاغ شعره من الفاظ موحية حسنة الاختيار مبتعدا عن الصيغ البيانية الجاهزة ، اختار طريقه السليم ، وعرف واجبه ، واضطلع بمسؤوليته كاملة .

ساهم بنصيبه ، رغم اعتراض الناقد ،في « تخطيط الاسس النقدية ب العربي » .

محمد مفيد الشوباشي

القاهرة

النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

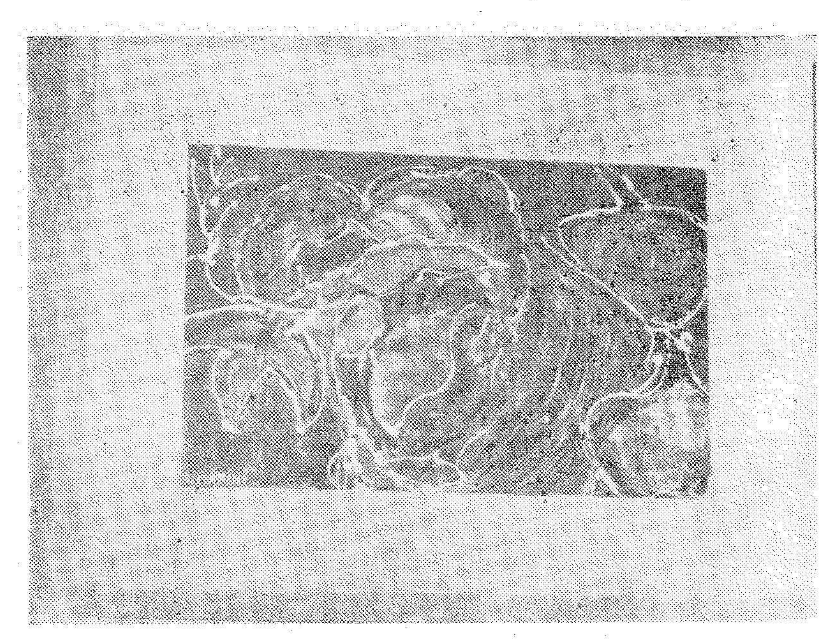
معرض الفنانة مارديني

عرضت الفنانة عائدة مارديني اخيرا فى بيروت حوالي ٩٩ لوحة مختلفة الاحجام والاشكال والطرق .

وهذا النتاج الضخم لسيدة لا تقل مسؤولية عن اية ربة بيت دليل قاطع على نشاطها الجم وحيويتها الدافقة ، وقلما تخلو لوحة فى اي جانب منها من الاثر الحسي لدى الفنانة اذ تعطي اللوحة مسحة (من العفوية التقليدية) تجعل الرائي يشعر انه امام عمل ان كان طريفا فى تعبيره فهو غير عميق وهو سريع فى انجازه الى حد ما . والواقع ان الفنانة تتلاعب بالخطوط والالوان (والتوش) فتدعو الناظر الى وليمة اخرى هي كتلة مشاعر حسية فياضة فى تنضيد حر حديث ، وهكذا يقف المتفرج ازاء اللوحات او الرسم ليتأمل ـ كما تريد الفنانة ـ بقلبه واحاسيسه وعواطفه لا بعقله وتفكيره ...

وتدلنا اكثر اعمال الفنانة ماردينى على مكانتها من الموضوع اذ تحسب هي انها فى هذا العالم الواقع ـ انسان وهمي مبهم او شبح خيالي او عابر طريق يرسم هذا المشهد وذاك مما احاطها اثناء عبورها الطريق ـ فتسجل فى عبورها انطباعات لونية اكثر حدة ووضوحا من الانطباعات الشكلية والتفصيلية دون تأمل جدي ، وبدون التأمل الجدي يعطي الفنان عملا سطحيا الى حد ما او يشارك فى الحياة مشاركة سلبية مدفوعة مسيرة غير مقيدة بأمر او واقع حياتي هام وكأنها فى كثير من اعمالها تريد ـ اما لنفسها واما للناس ـ الراحة المطلقة والحرية المجردة والتخلي الكامل عن الاهتمام الجدي للموضوع وكأنها تدعو ان نستسلم الى الامور تسيرنا كما تشاء الصدف .





غير اني شاهدت فى عدد من لوحاتها محاولات جدية رائعة محببة ففي لوحاتها (الحياة فى لبنان) المرسومة بطريقة الحفر على الخشب افضل تعبير عن هذه الحياة ومنها لوحة (الترام) ومن منا يجهل فوضى الترام فى بيروت ، ولوحات (اول بيعة) و(الكبة) و (الخبز المرقوق) و (الدبكة) .. ولعل هذه الاعمال المرسومة بطريقة الحفر على الخشب من افضل اعمال الفنانة ماريني ولو ان فى بعض لوحاتها الاخرى مواضيع ممتازة وتعبيرات حسنة منها عدد من اللوحات الملونة (مظاهر من الحياة فى لبنان) ولوحات (المجد) و (بياع الطرابيش) و (بياع الموز) ولوحتي الحصاد. فى معظم المناظر توخت اظهار المواضيع بتعبير حسي خاص اكثر منه تعبيرا فكريا اراديا فالفنانة تبحث عن (الجو) فاذا طلبت الربيع اعطت الالوان ـ ولو بطريقة ء فوية تلقائية ـ تعبيرا حسيا عن مظاهر الربيع، كذلك فىلوحاتها عن الخريف. وفى بعض لوحاتها عبث طفولي مقصود وتفكير ساذج وفى بعض زخرف جميل طريف مرح وفى بعضها القليل لوحات نهجت فيها نهجا تكعيبيا وتكاد الفنانة ماريني تغرق فى التجريد على حرصها ان تكون اللوحة مفهومة واضحة لدى الجميع . ففي لوحتي (القمر فوق البقاع ـ والقمر فوق الجبل) اجد عملا اقرب الى التجريد منه الى الهندسة اذ لا أثر للقمر اطلاقا فى هاتين اللوحتين . وهكذا الشأن فى لوحتها (ضيعة من البقاع ـ وتحت الحور) المرسومتين بالحبر والماء ، اما لوحة (انتظار) فلنسمح لي الزميلة المحترمة ان اقول انها بالرغم من طرافتها عمل طفولي فى اشياء من العبث واللهو . والحق اني اجد شخصية عائدة ماريني فى لوحاتها المصنوعة (بالكواش) والتي يحتل فيها الخط الابيض الملقى من الانبوب الابيض مكانا كبيرا .

ناظم ايراني

النشاط الثقافي في الوطن العربي

اشتات ادبية

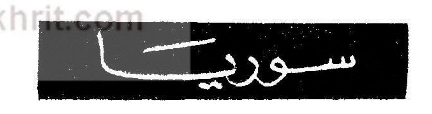
* عرضت الاكاديمية السوفياتية على الشيخ عبد الله العلايلي تبني مشروع المعجم الكبير الذي توقف عن اصداره بعد عدة اجزاء . واشترطت الاكاديمية ان يشرف الشيخ العلايلي هو نفسه على اخراج المعجم في موسكو ...

* نشطت دور النشر اللبنانية في الفترة الاخيرة بايفاد ممثلين عنها الى اقطار افريقيا الشمالية لايجاد اسواق جديدة للكتاب العربي ، ولاسيما اللبناني . وكان من انشط الناشرين الاستاذ حسن الزين صاحب « دار الكتاب اللبناني » وقد اشتركت وزارة المعارف التونسية بمئتي مجموعة من « تاريخ العلامة ابن خلدون » الذي تصدره هذه الدار ، كما ان رئيس الحكومة المغربية تبرع لمشروع انجاز طبع هذا الكتاب بمبلغ نصف مليون فرنك .

* تهاجم احدى المجلات الشعوبية في لبنان مجلة « الآداب » باستمرار بدعوى انها تهتم بالسياسة ، وانها كفت عن ان تكون مجلة فكرية .. كأن السياسة ليست من الفكر ، او كأن باستطاعة الفكر الواعي ، ولاسيما في هذه المرحلة التاريخية من حياة العرب ، ان ينفصل عن السياسة ...

* يصدر قريبا جدا عن « دار الآداب » الديوان الشعري الثاني للشاعرة العربية الكبيرة فدوى طوقان ، بعنوان « وجدتها » وفيه قصيدتها الطويلة المعروفة « هو وهي » .

* وقع خطأ على غلاف العدد السابق من « الآداب » ... فرسم « فلاحة من مصر » هو للفنانة المصرية سناء وهدان ، لا للفنان سناء وهران ...



الادب والسياسة

لمراسل « الآداب » مطاع صفدي

الحياة العربية ازمة تكوين واصالة مستمرة ، بحث عن الجذور في التاريخ ، وفي المجتمع وفي الابداع والقوة . وبين يوم وآخر تتخذ ازمة التكوين هذه اشكالا مباشرة وصورا تزحم الواقع ، وتنطق عنها بعض حوادث ، عفوية ظاهرا ، في السياسة او في مجال الفن ، او في الشارع والاندية ، ولكنها معقولة في اعماقها ، مترابطة الوحدة ، تنبىء عن نمو التكوين وعن صراع طاقاته مع القوالب التي ستنصب فيها ، وعن صراع اليد الخالقة ، والمادة المطواعة السديمية او المادة الجموح المتصلبة .

ويمكن ان نستقطب الصور اليومية الاخيرة لهذه الازمة في هذا الجزء الصغير من الوطن العربي ، سوريا ، ضمن ثلاث ظواهر هي :

١ ـ القيادة والانقياد

٢ ـ الخيانة والخائنون

٣ ـ الذهنية والتعبير

القيادة والانقياد

تطرح هذه المشكلة نفسها على جميع مستويات الحياة في سوريا : في الاجتماع كما في السياسة ، وفي الفن كما في الفكر والادب . ولعله يمكن عرضها على الشكل الاتي :

في كل مرحلة من مراحل النمو لامة او لجزء من امة تتوفر عناصر حياتية مبعثرة في فيعان التطور الجديد . هذه العناصر لاقيمة لها ان لم يشعر بوجودها وعي معين ، وان لم يخلقها مرة ثانية على صورة نماذج فعالة مباشرة ، لتبرز تلقاء الوعي الجماعي السادر الاقرب الى المحافظة والسكون، هذا من جهة . ومن جهة اخرى ، فانه لا يمكن ان تأخذ عناصر التنمية هذه، مرحلتها الفاعلة ضمن النماذج الموجهة ، ان لم يكن ثمة تقابل متناغم بين الوعي المستقطب وبين وجود قابلية انقيادية لهذا الاستقطاب والتوجه. وانه على وجود هذا التقابل والانسجام بين الاستقطاب وقابلية الاستقطاب يتوقف كل تجانس نير بين ما يدعى عادة برأس الهرم وقاعدته .

ولنلاحظ مبدئيا ان هذا التجانس لايعني علاقة واحدة للقيادة والانقياد، كعلاقة الهرمية هذه فحسب ، بل هناك علاقة افقية بين التمركز الداخلي الغني والاشعاع الخارجي الواضح ، فالجماعة لاتقاد من اعلى فحسب ، ولكنها تقاد من اعماقها كذلك ، اي من الخميرة المركزية لمجموع الطاقات والامكانيات الكامنة المتبلورة حول نية الخلق والتحول الى واقع منظور متكامل ، في وجدانها التاريخي ، الواعي لخطوطه المرحلية من الحضارة والتكوين الانساني ، وان كان هذا الوعي حاسية اقرب الى الغموض والحدس الاولي الذي يحتاج الى تنوير وايقاظ وتنبيه عن طريق الفعل الايجابي وحده ، عندما يجسد النية ، ويحقق المخطط ويملأه بحلم الحياة. والواقع يقدم لنا نماذج متبدلة من القيادات الهرمية ، هذا النوع البدائي الذي تبلورت فيه اشكالنا السياسية المعاصرة ، والاجتماعية الراهنة . فالمؤسسات الجمعية للفكر والسياسة والفن تبني هيكل وجودها على اساس الانفصال حتى بين الهرم وقاعدته ، فكيف الانفصال بين القيادة الداخلية والتنفيذ الخارجي ، اي بين النية والفعل !

فاذا نظرنا الى سوريا من هذه الوجهة تبين لنا ان عدم التوازي بين دورها الذي فرضته عليها درجة تطورها القومي والتحرري ، في التوجيه والقيادة ، وبين قدرتها الحقيقية على هذا التوجيه ، هو ان القيادة فيها وفي بعض منظماتها الحزبية تخضع للشكل البدائي اي ، للقيادة الهرمية على اساس عدم التسوية بين النية والفعل ، بين المخطط والانشاء ، بين المثل والواقع.

واذا اردنا ان نحصر انواع هذه القيادات وجدنا ان بينها ما يختص بالنظام ، والسياسة ، والفكر . ولكنها ترجع كلها الى ينبوع واحد ، وهو الروحية الحضارية التي وصلت اليها في هذه المرحلة التاريخية كجزء من تطور الامة العربية ، بشكل سباق نموذجي . ومن التناقض ان مسؤولية سوريا من حيث تحقيقها للنموذج القيادي تحتاج فعلا الى وعي هذه المسؤولية بشكل اكثر اصالة وجدية .

ولقد هيأت لها روحيتها القومية ان تكون السباقة في للدعوة الى المسؤولية النضالية من اجل شعارات الامة العربية في الوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية . وكان خلاصها من الاستعمار المباشر بشكل سابق على غيرها من اجزاء الامة العربية ، حافز ثقة للاجيال المناضلة بدفع الروحية القومية الى اقصى ذرى الوعي الذاتي والعمل المنظم من اجل

الاهداف العامة • ولقد برزت على حقل التوجيه القومي طليعة عربية اخذت على نفسها مهمة القيادة بالنسبة لبقية فئات الشعب • وقد نجحت هذه الطليعة في استقطاب الرأي العام حولها ، وفي تنظيم السعي الهدفي ضمن شعارات معينة ما لبثت ان انقلبت الى بديهيات الانقلاب القومي الذي تحضر له الحياة العربية في هذا القطر الثائر من الوطن الاكبر •

فلقد كان عمل هذه الطليعة في اول مراحلها نوعا من التحريض الذاتي والايضاح المنمي الكاشف لامكانيات الروحية القومية الكامنة في نسغ الشعب • كان عملها تعريف الشعب على هويته العربية وتحميله عبء هذه الهوية • وفي هذه المرحلة تنجح القيادة الطليعية الى ابعد حدود النجاح• ومن جهة مقابلة فان عناصر الانقياد تكون مطواعة قابلة لها بنفس النسبة• ولقد كانت العلاقة بين الطرفين نموذجية الى حد متفائل مثمر : فليست هذه القيادة لتقبع في رأس الهرم ، وليست القابلية الانقيادية نوعا من السلبية القطيعية في قاعدة الهرم • كانت العلاقة بينهما تفاعلا خلاقا • ان الصلة بينهما رحمية داخلية • فالقائد يحدس ببذور الانقلابية والثورية والنية المسطورة في اعماق الشعب ، لانه هو الشعب وقد وعى نفسه وانكس على ذاته ليدرك عناصر المبادهة في وجدانه . والشعب يرى في قيادته الجديدة براءته وجيله الباعث الجديد ومستقبله المشروع • ومن هنا كانت الثقة بينهما ثقة بالنفس والقدرة على الانقلاب وتنفيذ شروط هذا الانقلاب وىحمل تبعة نتائجه •

فهذه المرحلة اذن وقفت كعامل اثارة وكشف بالنسبة لعناصر القيادة وعناصر الانقياد • وكان على المرحلة التالية ان تحول الامكانيات المكشوفة الى اعمال ، والثقة المتبادلة الى عملية تنفيذ متضامنة . ولقد ظهر هذا التحول في بعض المؤسسات القومية التي تخضع جميعها الى المستوى الذهني او النظري المعلق في الفراغ • وكان الادب اول ما استجاب لنتائج نشوء هذه الصلة الرحمية بين القيادة والانقياد والمرحلة التاريخية للقومية العربية . فظهر ادب الالتزام القومي وشق لنفسه تيارا عميقا ، غير الشكل والمحتوى ، وانشأ لنفسه مدرسة كاملة وجيلا مثقفا بمفاهيمه ، متجاوبا مع دعواته ، مغذيا لمشاريعه ، ومعانيا لاذواقه الجديدة العميقة . وطرح مسائل الانقلابية ، في الفردية العربية والشعبية والاشتراكية ، وفي اصول الحرية والوحدة ، كل ذلك من خلال الشروط الخاصة بالواقع العربي ، وتحت اشعاع الروحية الملمة لمرحلتنا التاريخية الحاضرة . وهكذا سيطرت ذهنية جديدة على الاجيال الصاعدة ما لبثت ان بدات تغير من معالم القيم في عقل الشعب ونظرته الى قواده على مختلف انواعهم • فحصروا ضمن مصطلح خاص هو (الفئة الحاكمة الرابضة على صدر الشعب) • وكانت الطليعة العربية تعني من هذا المصطلح جميع اشكال وايدلوجيات هذه الفئة ، سواء الحاكمة في السياسة او الادب او الفن او الجماهيرية الشعبية • ولقد هيأت هذه الطليعة ذاتها لان تكون هي الفئة الحاكمة الاخرى النابعة عن صدر الشعب، المنبثقة عن ارادته ، المجبولة بدمه ونضاله ، المحققة لامكانياته العظيمة او لآماله الكبرى •

فانعكست هذه الذهنية في العمل السياسي وبدات الفئة الرابضة تهتز عروشها تحتها • اي بدأت الامكانيات الشعبية تتحول الى عمل انقلابي •

وتلك هي المرحلة الجذرية في عملية القيادة هذه •

ان الوعي الذي حققته المرحلة الاولى تسرب الى الانظمة الواقعية ، واستطاع الشعب ان يخرج من هذه القيادة من يعبر عن انقلابيته ، حتى اصطبغت سياسة سوريا ، من الخارج فقط ، بالطابع الانقلابي ، فحررتها من الانقيادية تلقاء الغرب المستعمر ، ووقفت منه موقف الند الحذر • ودعمت مصر والاردن واعطت وضعا للسياسة العربية في الحقل العالمي يسمح لها ان تستفيد من ظروف الصراع ، وان تنشيء علاقة ندّية اخرى مع الشرق لها ميزات الصداقة والتساوي •

فكان القيادة الطليعية ، وقد دخلت معركة السياسة الرسمية ، قد حولت جميع قواها العملية نحو السياسة الانقلابية الخارجية • مما جعل السياسة الداخلية تغرق في سديمية مخيفة وغموض واختلاط ، سمح لبقايا الفئة الحاكمة المنقرضة ان تعيث فسادا •

انعزلت اذن المؤسسات للسياسة الداخلية عن التأثر بالانقلابية العامة في سوريا • ولم تستطع الانقلابية الذهنية ان تتحول الى انظمة واقعية ضمن حدود هذه المؤسسات • فعظمت الهوةتدريجيا بين ذروة الوعيالقومي الذي وصل اليه الشعب وبين حضيض واقع حياته العملي اليومي الذي بقي كما هو ، او انه زيف لوجهه المشوه العتيق صورا تقدمية لا حقيقة لها •

وفي الواقع فان السياسة في بلادنا قد جاوزت مفهومها الضيق ، المصطلح عليه في عالم الغرب • ان السياسة تعني حياة الامة ومصير وجودها • فهي تعادل تماما مسألة ان توجد هذه الامة والا توجد ، مسألة الشروط المعقولة التي تخول هذه الامة ، ان تفتح من خلالها قدراتها الذهنية والوسائلية الاقتصادية • ولهذا فلا يعقل ان تقسم السياسة الى مستويات او الى اوجه : خارجية وداخلية ، دبلوماسية وشعبية ، انها واحدة في ذاتها لا علو فيها ولا انخفاض ، لا رأس ولا هرم ، لا اسلوب ولا غاية •

وفي هذه الاونة يصل التعارض بين مستوى الوعي الانقلابي الذي تخمرت فيه ذهنية الشعب ، وبين شكل الحياة والعمل في الواقع ، الى اقصى حدته ، حتى لكأن الانتصارات التي حققتها الطليعة القيادية لم تستطع ان تتعدى الوجه السلبي لضرورات الانقلابية ، وفي الوقت الذي كانت فيه هذه الطليعة القيادية في أوج صراعها الممهد لوجودها ضد اشكال الواقع الفاسد ، اي قبل ان تختلط بهذه الاشكال ، وتمتزج ايديولوجيتها بايديولوجيات غريبة اخرى تسبح في بحران الواقع الفاسد كاليمينية المساومة واليسارية المستوردة المصطنعة • من خارج الحياة العربية ، في هذا الوقت كان وضوح هذه الطليعة بالنسبة للجمهور ظاهرا مشعا بجميع قيمة الجديدة العذراء . وكان طرفا العملية الانقلابية ، القيادة والانقياد، على اتحاد وتناغم عميقين • والخطر اليوم في هذا الانفصال الحاد بين الطرفين المتكاملين ، في غموض القيادة وارتباكها ، وفي شل العقيدة الانقلابية عن عملها لدى المناضلين •

وجاءت الحوادث الفاصلة منذ القنال وبورسعيد مفاجئة لامكانيات هذه القيادة ، فبرهنت للشعب عن عجزها المطلق عن المبادهة الايجابية تلقاء الاحداث الكبرى ، وعن عدم قدرتها على اعداد ايه خطه او منهج علمي

النشاط الثقافي في الوطن العربي

شامل للمستقبل ومفاجآته .. وكان عملها عبارة عن ردود فعل عصبية موتورة لمنبهات خارجية لاتعرفها ولا تعلم عن هدفها او طاقتها اي علم حقيقي .

واذا قارنا الوضع بين سوريا ومصر اتضحت لنا هذه المشكلة اكثر ، ففي مصر لا تبقى الذهنية الانقلابية معلقة برؤوس اصحابها فقط ، انها تتطور من الفكر الى العمل ، ومن المثال الى الواقع . ويجهز الشعب بهذه الذهنية ، وتجهز يده بالوسيلة التي يحقق فيها هذه الذهنية ضمن نظام حياتي واجتماعي مباشر يحس بتقدمه ابن الشارع يوما بعد يوم . واما في سوريا فقد ترعرعت هذه الذهنية بسرعة رائعة ، من الطليعة الى الشعب الثوري ، وغذتها الاحداث واعطتها دائما برهانا واقعيا عن اصالتها وتجلو بها مع ضرورات المرحلة التي فيها الشعب . ولكن ولادة هذه الذهنية في مؤسسات تنظيمية في الدولة والثقافة والسياسة تتأجل من ظرف الى اخر ، ويدور الامل في حلقة مفرغة ، ويأكل من لحمه ، وتجتر هذه الذهنية نفسها حتى تنسى انها مرحلة موقتة في سبيل العمل الحقيقي . وكل ذلك لان القيادة الجديدة مهددة بخطر التجويف الداخلي ، فتفقد تجاوبها مع الانقياديين ، بعد ان اصبحت الظروف الرسمية ووسائل الواقع الفاسد الذي التزمت اشكاله عن وعي او غير وعي اقوى بخبثها من براءتها الاولية ، وبتجربتها العريقة بالخيانة من صفائها البكر . فاذا بالقيادة الانقلابية تتجاهل مهمتها ، وتتناسى عنفها ووضوحها ، وتأخذ تدريجيا في تبني ذات الوسائل التي كانت للفئة الحاكمة العتيقة التي قامت هذه من اجل تحطيمها وشل قواها ، ظنا منها ان الصراع يجب ان يجعلها تأخذ بسلاح العدو نفسه وتلك اكبر مغالطة ، وتنتقل من قيادة الاستواء بين النية الداخلية والعمل الخارجي المعبر عنها بكل اصالة ، الى قيادة هرمية ، فيها الرأس غير منظور من القاعدة ، غامض وبعيد .

ولا ريب ان العلة كامنة في انذهنية الطليعة الانقلابية قد دخلت بعض نماذجها الممثلة لها في العمل مع نماذج ذهنيات اخرى تمت الى الواقع الفاسد ، ضمن اساليب معينة مجهزة من قبل هذه الذهنيات من الماضي ولها خبرة طويلة في وسائلها المخاتلة ، وذلك قبل ان تنشىء الذهنية الانقلابية خططها العملية ونظمها الواقعية ، فتبنت وسائل غيرها قبل ان تبدع وسائلها ، ووقعت في هذا الحرج الذي تتأزم فيه نفسية الطليعة بكاملها .. تحتار ويحتار من خلفها شعب بآماله المعطلة :

لقد وجد الايمان فلماذا لايوجد العمل ؟ ووجدت القيادة فلماذا لاتتطور الحياة ؟ وعرفنا مثلنا فلماذا لانعيشها في واقع حي ؟

هذه هي قضية القيادة ..

واما الانقياديون فهم الذين عليهم ان يعودوا الى النضال مرة ثانية قبل ان تجثم فئة حاكمة اخرى على صدرهم !

الخيانة والخائنون

من اعراض هذه الازمة ، هذا الاختلاط الحاصل بين ذهنية انقلابية ووسيلة تابعة لذهنية مساومة من رواسب الماضي ، نشات ظاهرة طبيعية بالنسبة لهذه الازمة هي الخيانة ، فما هي الخيانة في سوريا ؟

الخيانة نعني جريمة علمة يقترفها جزء من القوم بحق القوم كله . فهي لذلك جريمة داخلية (اهلية) ان صح التعبير وهدفها القتل بالجملة ، والقتل في خيانة سوريا هو تجويف تطورها وهدر نسغه من داخل ، تماما كتجويف القيادة من رصيدها في الطليعة والشعب .

ولنبدأ اولا بتحديد شروط هذه الخيانة . فشرطها التاريخي كان معركه بورسعيد ، الحرب الاولى الحقيقية بين العرب والغرب . هذه المعركة كانت المناسبة التاريخية لظهور هذه الخيانة ، واما شرطها القومي ، فلقد استعد شعب سوريا لان يقف مع مصر وانظر شرف الحرب عندما يعتبره الغرب عدوا بمعنى الكلمة فيحاربه في جبهة على المكشوف . واذا بقضية هذه الحرب تتحول الىحرب داخلية ، الى محاكمه افراد من الامة ، ومن خلالهم الى محاكمة الفئة الحاكمة (الرابضة على صدر الشعب) القديمة وعصورها وجميع اعمالها منذ ان ظهرت على مسرح الحياة العامة في سوريا ، انها محاكمة عهد بكامله ، عقليته وقيمه وسلوكه . واما شرطها النفسي الوجودي فهو يبدو مباغتا غريبا للوهلة الاولى .

فهذه الفئة قبل ان تنقاد الى قفص الإتهام الحديدي ، حكم عليها الشعب، تحت تأثير ذهنيته الانقلابية الجديدة ، من قديم ، منذ ان وعى قيمه التي يجب عليه ان يحققها والقيم الرجعية والاستعمارية الاستبدادية التي تحاول فرضها عليه وخنق كرامته وحيويته وصيرورته ضمن قوالبها الصماء، حكم على ذهنية هذه الفئة وعمدها في الاقطاعية والعائلية والطائفية والتعاونية والرجعية . منذ ان كشفتها له طليعته الواعية بعد خروج المستعمر ومحاولة هذه الفئة حكم الشعب بنفس وسائل المستعمر والتواطؤ معه ، بشكل يجعلهم حراسا على مصالحه دونما حاجة الى جنود واستعمار مباشر .

اقول ان الذهنية الانقلابية التي تملك منها الشعب العربي في سوريا قد فضحت ذهنية هذه الفئة من قديم وحكمت عليهم بالخيانة والتجسس والعمل لصالح الاجنبي . وللتناقض الذي وقعت فيه هذه الذهنية الانقلابية عندما تخلت عنها قيادتها عجز الشعب عن زجهم مباشرة فى السجن والقضاء عليهم . وكان للظروف الغامضة التي جعلت التعاون يدب بين نماذج هذه الفئة ونماذج القيادية الانقلابية ، اكبر الاثر في حماية هذه الفئة التي تغطت بستار التقدمية واختبأت مع زملائها الجدد ابناء الشعب وممثلي ثقته ، ومارست سلطتها الماضية باساليب جديدة اخرى غامضة من نوع الغموض الذي وقع فيه حدس الشعب . وهكذا اطيل بحياتها ، بل بعثت من قبورها مرة اخرى ، بعد القضاء على حكم الطاغية الاخير ، وبعد ان ظن الشعب انها اختفت من مسرح مصيره الى الابد .

وكان لابد من مناسبة ، كبورسعيد ، لجعل الذهنية الانقلابية تحقق بعض اعمالها الجذرية بحق هذه الفئة ، ولكن فى هذه المرة سيكون العمل من القاعدة . من الشعب ومن حراسه الامناء من ابناء الجيش ، فسلطت الانوار على رؤوسهم اللامعة وجرت اعناقهم الى مشنقة الشعب ، لولا ان حبل المشنقة لم يمسك به الشعب تماما . وعرضت فضائح هذه الخيانه على الملأ ، وامتحن الوجدان العربي وشحذت فواه وامكانياته على حد هذه الفضيحةالهائلة، وتفرج الشعب على اخر ضربة تجهز على اخر نفس من امكانيات عهد فاسد بكامله ، عاش بقيمه ربع قرن تام . ونفرج الشعب على مهزلة من نوع آخر حققنها آخر فصول هذه المحاكمة التاريخية الفاصلة . فلقد انهارت

النشاط الثقافي في الوطن العربي

طبقة كاملة امام اعينه ، وفي الوقت نفسه ما انهار منها شيء !

وذلك هو عجز الذهنية القيادية ، وتلك هي ضربة اليأس التى ابتلعها الشعب وهو صامت ذاهل .. فقد كل قدرة على المقايسة بين الحاكمين والمحكومين . وما زال الذهول يرين ، وحبل المشنقة في يد مجهولة ابدا !

الذهنية والتعبير

حول اتفاقية الوحدة الثقافية

ما كانت الثقافة مجرد انعكاس تجريدي لحياة واقعية لامة من الامم . ان الثقافة ، فضلا عن انها تؤلف روحية الامة بما فيها من مثل عن الوجود والانسان ، فهي حياة الامة ذاتهاوقد وعت سموها وطريقها ، واكتشفت عناصر انسانيتها ، عندما تنقلب هذه العناصر الى بذور رسالة توجهها نحو اجيالها الصاعدة ، وهذه هي فعاليتها الداخلية ، وعندما تضيف الى ثقافة الانسانية نتائج تجربتها العملية والذهنية ، وهذه هي فعاليتها الخارجية .

والامة العربية وقد استيقظت من وهلة نوم ، شبه ازلي ، وجدت نفسها عارية من الشكل والمحتوى ، الا من رغبة هائلة في معاودة الوجود ، وليس اي وجود ، بل هذا الوجود الذي يليق بحدسها عن قيمتها الانسانية وجدارتها الحضارية بناء على خصب تاريخي هو جزء من تاريخ الانسان ، كان شاهدا على قدرتها في الوجود والابداع وتطوير خط التقدم في التاريخ العام . ان هذه الرغبة ، تمثل مصيرها الحديث . وهي التي عليها ان تنشيء روحية الامة ، وان تعطيها الاشكال المناسبة لمعاودة انتاجها .

ولقد اتخذت هذه الرغبة لذاتها ، رغبة في البعث ، في البدء ، فعالية سلبية لمقاومة عناصر القتل والكبت وضغط بذرة الحياة فيها التي كانت تلقاها الامة من مستعمر خارجي ، ورواسب انحطاطية داخلية .

وآن لها اليوم ان تبدأ بمرحلة جديدة ، مرحلة وعي لقواها واسلوب حياتها وهدفها من هذه الحياة . ولعل هذا الوعي ، رغم انه وظيفة الفئة النيرة من الامة ، فانه يشكل عمقا عاما للامة كوحدة .واعني بالوحدة ، ليس التجميع البشري او الاقتصادي او الجغرافي ، بل الوحدة الخلاقة التي تبدأ من اعماق وجدان الامة لبعث دم عصري في جسد عصري آخر ، وحدة الدفقة الربيعية في مشروع موسم جديد .

وفي الوقت الذي كانت تنشق فيه بذرةهذه الوحدة،كان المستعمر يقوم باكبر عملية تهجين للامة ، عن طريق تجويفها من هذا الشعور بالذات ، من هذا الايمان بالشخصية المتفتحة من ركامها مرة اخرى ، وكان الجمهور العربي ينتبه الى الاحتلال المادي عن طريق الجند والمؤسسات الاستعمارية، ولا ينتبه الى الخطر الماحق الذى كان سيعطل نهضته حتما ، ويشل عصب الحياة فيه ، وهو الثقافة التي يرضعها كل يوم جيل جديد يراد منه قلب واقع الامة .

ومن هنا كان واقع الثقافة بمناهجها ومعلوماتها واهدافها واساليبها مدروسة تماما بناء علىمعطيات بسيكلوجيا الاستعمار. فلم يسمح الاستعمار بنمو الذهنية العربية بحسب مقاييسها الخاصة . ولم يعطها بالمقابل ذهنيته الخاصة ببلاده كما هي ، بل شوه فيها وغير من معالمها وادخل فيها الفوضى والاضطراب والغموض ، ثم القاها الى الذهن العربي الغض . هذا فضلا عن ان كل جزء من الامة قد القم نوعا من الثقافة الاستعمارية بحسب خضوعه للاتين او للانغلسكسون . وظن مصلحونا ان المشكلة هي اننا لانحسن الانتقاء بين عقليتين ، وصوروا المشكلة ضمن هذه الحدود السطحية : فلو اننا نجمع بين الاتجاهين معا ، خير ما فيهما على الاقل ، لكان لنا زبدة المنهجين . ولكن لم يدر هؤلاء الذين اسسوا ثقافتهم الشخصية على اسس الثقافة الاستعمارية الشائعة في بلادهم ، ان ذهنيتهم لاتؤهلهم بعد لان يتعرفوا على حقائق هاتين الثقافتين كما هما خلال تجربة شعوبهما الحضارية . وكان ذلك مبعث التردد في تبديل تعديل المناهج بين حين وآخر في سوريا . ولم تطرح ابدا مسألة دراسة الحاجةالانقلابية التي تثيرها ذهنية الاجيال الصاعدة لخلق وحدة الامة وفتح الطرق العلمية لانشاء الانسان العربي المعاصر ، وما يناسب هذه الحاجة من المعلومات والثقافات والتوجيهات التربوية والقومية .

وتجيء اخيرا اتفاقية الوحدة الثقافية بين سوريا والاردن ومصر ، مدفوعة بالاسباب السياسية الجزئية من جملة دواعي الوحدة ، فهي قد استطاعت اذن ان توحد صور الثقافة بين هذه الاقطار العربية ، ولكن المسألة هي هل اتت هذه الوحدة لتعبر عن الذهنية الانقلابية التي تعانيها حاجات الوحدة الصميمية للامة .. هل لديها فلسفة معينة تريد تحقيقها ؟

ان ثقافات العالم تقوم كلها على مثل هذه الفلسفة التي تتبناها كل امة في الحياة والحضارة وتريد ان تغذيها وان تحافظ عليها خلال اجيالها المتتابعة .

ولا شك ان هذه الاتفاقية نصر لسياسة الوحدة ، ولكن هل تعي المناهج التفصيلية التي ستنفذ هذه الوحدة مسؤولية ان تكون مناهج انقلاب في الحياة العربية ، وهل تعي اهداف هذا الانقلاب واساليب تحقيقه العلمية والتربوية ؟

هذا هو السؤال الذي لا نجد له جوابا في جميع بنود هذه الاتفاقية سوى نوع من التعميمات حول التربية القومية ودراسات مقومات الحياةالعربية. والبرهان الذى يوضح هذا النقص فيتقصير هذه الاتفاقية عن ان تكون تعبيرا عن الذهنية الانقلابية انها تسوق نفسها لتبني مشكلة عامية مبعثها دعوى استعمارية ، هي مشكلة التوجيه النظري او العملي في العلم ، وخوفا من ان تقع في البحران النظري رأت ان تقضي مثلا على دروس الفلسفة ، وان تقلل من ساعاتها ، وان تحولها الى بعض الدراسات الاجتماعيةالمجتزأة غير الكافية . فكيف يمكن ان ننشيء منهجا تربويا دون ان ندرك اسس هذه التربية النظرية ، وكيف يمكن لهذه التربية انتتضح ان لم يكن خلفها نظرة فلسفية عميقة تشكل الزاوية العقلية التي ننظر من خلالها الى مقومات الوجود والى عقيدتنا في الحياة والانسان ؟ وكيف بالتالي يمكننا ان نخلق ذهنا علميا ان لم نتعرض لقيمة العلم ومشاكل الذهن الانساني ؟ وهذه كذلك شطحة تقليد اخذناها عن ميركا .. في منع الفلسفة خوفا من خلق الذهن النقدي عند اجيال اميركا فتناقش نظم مجتمعها وقيمه المادية .

والواقع ان المقدمة التربوية الصحيحة لكل منهج عربي ينبغي ان تبين بوضوح الى اي حد نحن فقيرون من النظر الصحيح والعمل الصحيح ، اذ لانملك بعد الوحدة المذهبية عن مبررات ثقافتنا وعن اهدافها الحقيقية .

فالخطوة الاولى اذن في هذه الوحدة الثقافية هي انها قد حققت الوحدة

في شكلها السياسي ، ويبقى امام المربين العرب ان يجهدوا للكشف عن حاجات الذهنية الانقلابية لانشاء فلسفة واضحة عما نبغيه من علومنا ومدارسنا وعما نريده لاجيالنا ومستقبلنا ان يتلقفوه من الفهم والعلم والتوجيه التربوي والقومي ٠

علينا ان نطرح مشكلة انشاء الانسان العربي المعاصر ، ما هي مقوماته وما هي قيمه ، وكيف يمكن ان نجعل من اجيالنا نماذج حية له ، تتجاوزه بحريتها ، وبطرحها مشكلة الوجود العربي حسب تقدمها دائما ، لتغنيه اكثر فاكثر ، وتجد له المناهج الملائمة ٠

ان طرح مشكلة الانسان العربي المعاصر وانشائه ، هو الذي يكفل لنا الكشف عن اتجاهنا الحضاري الجديد وعن مبررات هذا الاتجاه التي تؤلف لنا شخصية فلسفتنا الخاصة ضمن مخطط الفلسفة العالمية التي تسير عليها مراحل الانسانية التاريخية ٠

وبالتالي يمكننا ان نحدد موقفنا من العلم بناحيتيه النظرية والعملية ٠ وليس من امة استطاعت ان تحقق لها اي قالب مشخص حضاري دفعة واحدة قبل ان يكون هذا القالب هو المنعكس المادي لوجهة نظرها في الوجود٠

ولعل اكبر خطأ ارتكبته هذه المناهج انها ادعت لنفسها قدرة تربوية على فهم مشاكل الجيل اكثر مما ينبغي ، وكان من نتيجة هذه المبالغة انها سمحت لنفسها بوضع تشريع ثقافتنا كهيكل ، واما روحه فشيء سديمي غائم لم يتشكل بعد ، اللهم الا من بعض مقدمات ولواحق تبريرية تغرق في تعميمات لا جدوى منها ٠

وكان القضاء على الفلسفة ، التي هي محصلة كل ثقافة علمية ، والتي هي المقوم العميق لانساننا المعاصر من حيث خلق العقل النقدي والوسيلة العلمية لهذا النقد لقياس قيم حياته في جميع اشكالها ومعرفته المقارنة للواقع الفاسد الذي يعيش فيه وللواقع الذي يجب ان يخلقه بحريته ووعيه

كان القضاء على الفلسفة اسطع برهان على تقصير هذه المناهج عن ادراك السؤال الحقيقي الذي نريد منه وحدة ثقافية وتعليما وتربية قومية ٠

فهذه المناهج في الواقع ما زالت تعتقد ان عقل الناشئة اسفنجة لغباء المعلومات ووعاء لاحتواء مفاهيم مجهزة من قبل ، وبالتالي يمكن اغراق هذا الانسان على دعائم من الحرية والتكامل ، لا يمكن ان يطلع على الفلسفة ، او قتلت ساعاتها بهذه القلة المجحفة ، قطعت عليه سبيل الوصول الى ثمرة هذا التعلم طيلة اثنتي عشرة سنة من الدراسة : وما هي هذه الثمرة ؟ انها انشاء العقل النقدي الذي يستطيع ان يحقق انقلاب الحياة العربية ، العقل التركيبي الذي يمكنه ان ينظر الى العلوم كوحدة تعمل على رقي الانسان وتطوير واقعه ، العقل النقدي الذي يؤسس قيمة الانسان على دعائم من الحرية والتكامل ، لا يمكن ان يطلع على افاقها الا بواسطة المنهج الجدلي المقدم له من قبل الدراسة الفلسفية لمسائل النفس والحضارة والعلم والتقدم . فالشاب يظل طيلة الدراسة الثانوية سلبي الفعالية ، متقبلا لما يقال له في الدرس ومن الاستاذ . والفرصة الوحيدة التي تسمح له ان يصبح طرفا ايجابيا في انشاء المعرفة وفي تحديد سلوكه وابراز مثله كفرد وكخلية من جيل انقلابي ، هي ساعات الفلسفة في الصفوف العليا ...

كل هذا يدلنا في الواقع على اننا لم نزل نحاكم امورنا كما يقال لنا عنا من الغرباء : اننا مقتنعون بضرورة افساح المجال امام التقنية العملية ، ولكن متى كانت هذه التقنية حتى بالنسبة للغرب الا نتيجة فلسفة عميقة ومناقشة لكل خطوة ، ومذهبية في الحياة والعمل والعلم ؟ فكيف يمكننا ان نتعرف الى موقفنا والى قيمة وجودنا والى مذهبنا في الحياة ، ان نحن قطعنا عن اجيالنا ثمرة تعليمهم : وهي ان يعرفوا الطبيعة وان يعوا قيمة الانسان العالم تلقاءها .

ان الدور الذي نعيش فيه لا يتطلب منا فقط ان ننشيء المختبر العلمي، وان نوضح الطبيعة حولنا ، ولكن ان نخلق الانسان الذي يتمكن قبل كل شيء من صنع المختبر ومن السيطرة على الطبيعة ، بعد ان يكون هو نفسه قد وجد بالمعنى الصحيح المليء لهذه الكلمة ، وكيف يوجد ان لم نسمح لعقله بحرية التأمل والجدل وبوضع ذاته طرفا في قضية الثقافة والتقدم ؟

ان هذا يدفعنا ان نعتبر اخيرا ان هذه الوحدة قد حققت لنا شرطا اساسيا كان لا بد منه لكي ننطلق الى طرح مسائل ثقافتنا العربية الجديدة ونصل الى حلول تدريجية تقربنا من التعبير عن الذهنية الانقلابية التي تعيش عليها اجيالنا ، وتنظم لنا هذه الذهنية ضمن وسائل علمية . لقد كان كل اصلاح في عرفنا لا يقوم الا على اساس الوحدة .. وهذه هي الوحدة الثقافية قد تحققت ، فليبادر المصلحون الى تقوية دعائمها بالكشف عن اصالتها وتغذية شرايينها في جسد الامة .



مصر

حول الثقافة المصرية

لا شك في ان اساليب الاستعمار متعددة متغيرة طبقا لتغير الظروف ورقي الوعي ٠ ومن هذه الاساليب تأسيس دور للنشر ومحطات اذاعية ومجلات ونشرات دورية وغير دورية غرضها الاساسي تحويل اذهان العرب عن قضاياهم الحقيقية او القاء بعض الظلال على موقفهم منها ـ محاولة اجتذاب ضعاف النفوس والمترددين ببريق الدولار ـ والجنيه والفرنك ـ وكان لا بد لنا ان نعي كل هذه الاساليب الاستعمارية التي تقوم بها كل من امريكا وانجلترا وفرنسا وربيبتهم اسرائيل ، لا بد ان نعي افعالهم وندرسها بالاسلوب العلمي الصحيح ونحصن انفسنا منها بل ونحبطها في مهدها ٠ فمنذ الاعتداء على مصر والمواقف السياسية اصبحت واضحة ولم تعد الخيانة في استطاعتها ان تتقنع او تختفي وراء اشياء او شخصيات! فقد عرف كل مصري من هم اعداؤه ومن هم اصدقاؤه . اننا لن نخدع بعد ذلك فقد صممنا على ان نقف على ارجلنا معتمدين على قوانا نحن العرب ... هاتفين بأعلى اصواتنا اننا موجودون ... ذوو رأي وموقف وثقافة تشع في انحاء العالم من اجل الحرية والسلام ... لقد قررنا تحللنا من كل ما يربطنا بالاستعمار فلم يعد علينا اوصياء ولم نعد نقبل النصح الا ممن نعتقد ونثق في نصحه ورأيه لذلك كان علينا ان ندعم ثقافتنا ونعمقها بل ونعيد النظر في تاريخنا . ان تاريخنا يجب ان يكتب ويدرس من جديد ... يدرس بوعي وبنظرة علمية سليمة . وكذلك ادبنا الذي يتأرجح بين القديم والحديث ، بين مفاهيم متخلفة واخرى صاعدة متفتحة،

النشاط الثقافي في الوطن العربي

وبالرغم من تعثرنا نتيجة لوجود الاستعمار وتخلف افكارنا فى الماضي ، ما زالت هناك عوائق تقف فى طريقنا ويجب ان ننتبه اليها بشدة وحرص — واذا كنا سنضرب الامثلة على ما يجري فى مصر فليس معنى هذا انها وحدها هي التي تعاني هذه العوائق او لاننا نفصلها عن أخواتها العربيات بل لان أمثلتها حاضرة امامنا اكثر من اي دولة عربية اخرى . واذا تكلمنا عن مصر فنحن نعني كل دولة عربية بل وكل دولة تريد ان تدعم استقلالها وتحتفظ بشخصيتها رغم الظروف العصيبة التي يمر بها العالم ما بين تهديدات امريكا مرة وروسيا مرة اخرى ..

ان من هذه العوائق نشاط السفارات على اختلاف مذاهبها واجتذاب الجمهور الساذج او غير الواعي او الطلبة الصغار ، وكل سفارة حسب طريقتها اما بالكتب والمجلات او الافلام والحفلات او انشاء مؤسسات كبيرة تمرقل ثقافتنا ، وذلك مثل مؤسسة فرانكلين التي اجتذبت كثيرا من الشبان ولونت تفكيرهم بلونها ثم ظهور « المختار » وبرأس تحريره رجل مصري (محمد زكي عبد القادر) حتى يوهموا الناس بنواياهم . وقد كتب عن خطر هذه المؤسسة وظهور مجلة « المختار » شبان كثيرون وكان احسن واعمق ما كتب فى هذا الموضوع ما كتبه الاستاذ رجاء النقاش (راجع الآداب مايو سنة ١٩٥٥ ، نوفمبر ١٩٥٥) والحق ان مثل هذه المقالات ضرورة نحن فى أشد الحاجة اليها فمؤسسة فرانكلين تصفي اعمالها هنا لكي تبدأ فى لبنان .. وهكذا فهي تتنقل بين الدول العربية كل حسب ظروفه التي تسمح لها بمزاولة نشاطها ، على هذا يجب محاربتها والكتابة عنها فى كل مجال حتى لا يصبح لها مجال فى الشرق . وقد فوجيء القاريء فى اوائل هذا الشهر بمجلة « الشرق » وهي مجموعة مقالات سوفييتية ، مترجمة للعربية ويرأس تحريرها رجل له مكانته فى حياتنا الثقافية وكان له دور خطير فى حياتنا السياسية حين كان يرأس « صوت الامة » فما زلنا نذكر مواقفه المشرفة ضد مشروع صدقي — بيفن (١٩٤٦ — سنة ١٩٤٧) انه : « الدكتور محمد مندور » .

على ان فى مجلة « الشرق » اخطاء لا نستطيع التجاوز عنها — وهي ان دلت على شيء فهي تدل على جهل القائمين بالترجمة فى المجلة جهلا تاما باعمالنا الادبية حتى عنوان بعض القصص او اسماء بعض الكتب لا يعرفون عنها شيئا . اننا نحمل الدكتور مندور هذه المسئولية وهذه هي بعض الاخطاء :

فى مقالة « فى الادب العربي » ص ١٣٨ — ١٣٩ وهذا على سبيل المثال لا الحصر . مجموعة شوقي بغدادي «حينا يبصق دما» نجدها بالمجلة « حينا يطفح الدم » وقصة « دمية المطاط تبكي » نجدها « الدمية الباكية » و « العنق داخل انشوطة » نجدها « الحبل فى الرقبة » و « الانسان والمدينة » نجدها « الانسان والمدنية » اما مواهب الكيالي الكاتب السوري فلم يستطيعوا ان يهتدوا الى ترجمة اسم مجموعته القصصية « المناديل البيض » فوجدناها بالمجلة « Foulards البيضاء » اما « ارخص ليالي » مجموعة يوسف ادريس فاسمها بالمجلة « الليالي الرخيصة » و « الشارع الجديد » لعبد الحميد جودة السحار فهي بالمجلة « الطريق الجديد » . اما كتاب «الثقافة المصرية» للاستاذ محمود امين العالم والدكتور عبد العظيم انيس فمؤلفاه حسب راي المترجمين هما عبد الرحمن الرافعي وراشد البداوي . ثم نرى فى ص ١٣٩ فقرات ليست لها معنى ولا ندري ماذا يريدون بها . اننا نؤمن ان الكاتب الروسي يترجم « ارخص ليالي » بأسماء تدل على المعنى او قريبة منه او كما يريد ولكن اذا كنا نحن مصريين والمجلة ظهرت بمصر وباللغة العربية واذا كان الكاتب صاحب المجموعة مصريا فهل نطلق اسما غير اسمها الحقيقي ؟.

هذه ملاحظة بسيطة لا نقصد اليها قصدا ، وانما نريد ان نشير الى الضرر الذي يلحق بثقافتنا من جراء صدور امثال هذه المجلات — فرغم عمق هذه المقالات فهي لم تكتب خصيصا للقاريء المصري — خذ مثلا — المقال الذي كتب عن « برناردشو » فالكاتب يتحدث عن موقف شو بالنسبة للروسيا وادبائها والذي يهمنا نحن من شو موقفه من مصر ... موقفه اثناء محاكمة دنشواي .. موقفه من انجلترا المستعمرة — هذا هو الذي يهم المصري ويحب ان يعرفه . ان امثال هذه المقالات تكتب من وجهة نظر الكاتب الروسي للقاريء الروسي — لا من وجهة نظر المصريين — وقد يكون من الممكن ان تصدر مثل هذه المجلات ، ولكن فى الوقت الذي تقف ثقافتنا على ارجلها قوية وفى الوقت الذي يعي القاريء الاحداث ويصل الى مستوى عال من الثقافة بحيث لا يجذبه تيار نتيجة جهله بتيارات اخرى . اننا فى دور التكوين نريد ان نحمي انفسنا وادبنا وثقافتنا نستفيد بخبرات الشعوب ولا نقلدها ، نتبع مناهجها الرشيدة فى التفكير بامكانياتنا لا بامكانياتها ، نكتب بارادتنا وعن انفسنا لا عن الاخرين وباملاء منهم . وان ما نقوله عن مجلة «الشرق» نقوله عن « دراسات سوفييتية » التي تصدر عن دار الفكر — فنحن نقدر عمق ابحاثها ولكنها هي ايضا وجهات نظر روسية ونحن مصريون لا روس ومشاكلنا نحسها اكثر من غيرنا لاننا نحياها . ان جهودا كبيرة من جهود شبابنا تضيع او تعطل او على الاقل نشاطها لا يأتي بالفائدة المرجوة وكان نتيجة ذلك ان توقفت « كتابات مصرية » وتعددت المجالات وتفرقت الجهود .

اما دار الفكر كدار للنشر فقد خيبت امالنا ، فقد ظهرت فى وقت كنا فى احتياجها فعلا ، فالابواب مغلقة اما المثقف المصري المخلص ، واذا كان لا بد من الكتابة — فهو يكتب فى مجلات غير مصرية (مجلات الآداب،الاديب، الثقافة الوطنية) وقد وقعنا فى اشكال ان هناك كتابا كبارا فى هذه المجلات والقاريء المصري لا يعرف عنهم شيئا . اما اصدار الكتب فشيء مستحيل امام هؤلاء المخلصين ...

لقد رأينا فى كتاب « باندونج » للشرقاوي ... جمعا لاحداث كتبتها الصحف حين انعقاد المؤتمر ومقالات انفعالية تفقد حماستها بعد قراءتها مباشرة ، وكتاب لنعمان عاشور سماه « رواد الفكر » وتحدث عن جوركي وبرناردشو واراجون وهي فى حدود التعريفات البسيطة السطحية ، ومع اعتذاري فهي مقالات مترجمة حرفيا كذلك . اما « فنون الادب الشعبي » (جزءان) لرشدي صالح ، وكتبه الصغيرة المترجمة مثل الاستعمار البريطاني او قناة السويس او كتابه عن السودان ، فقد اتت كلها بعد كتابه « الادب الشعبي » الذي اصاب رواجا طيبا فارادوا استغلال هذا الامر ورأوا انه لا مانع ان يصدروا لرشدي صالح اجزاء من هذا اللون الناجح وبأثمان مرتفعة ... فالقاريء يريد (وفقا لقانون العرض والطلب) . وهذا ما فعلوه فى ديوان البياتي ... ثم نرى كتابا لعلى الدالي « امريكا

النشاط الثقافي في الوطن العربي

والعدوان على مصر » انه شتائم وتعليلات سطحية تافهة وفهم متعجل للامور ولا يملك القاريء الا ان يمزقه بعد قراءته كما نفعل عادة فى كتب ماهرنسيم ـ مع اختلاف مذاهب الكتاب ـ ولكنهما يشتركان فى السطحية والشتائم. اننا نريد الموضوعية فى التفكير ، وان الاحصائية تقول ان دار الفكر صدر عنها حوالي ٥٠ كتابا ، ولكن القاريء يتساءل : اي هذه الكتب ما زال حيا.. وايها كان له ادنى اثر فىحياتنا الثقافية ؟. اننا ننسى الكتاب بمجرد صدور آخر ولا يعلق فى ذهننا الا اخر ما صدر عن هذه الدار لاننا نراه فى كل مكان مع الباعة .

وهناك دار اخرى هي « دار النديم » تشارك السابقة فى بعض الاشياء ككثرة الترجمات كثرة تضر بالكاتب والقاريء المصري . الا انه صدر عنها بعض الكتب التي كانت موفقة فيها مثل « الصبن الشعبية » ، « ثورة مصر القومية » الاول لمحمد عودة ، الثاني لابراهيم عامر ، وكذلك « ثورة الجزائر » لعلى الشلقاني . ان هذه الكتب مهما كان فيها من اخطاء تحتفظ بميزة انها تعالج القضايا من زاوية مصرية وكتابها مصريون والقراء يريدون ان يعرفوا كتابهم وافكارهم ، وهذه الدار تشارك زميلتها « دار الفكر » احيانا فى السرعة مستغله الموضوع او الكاتب فيصدر عنها « شهر فى روسيا » لاحمد بهاء الدين وهي انطباعات سريعة لزيارة حقيقية لا تخلو من قيمة ـ ولكن كفى قراءتها فى روز اليوسف . اما « انت اسود » لمازن الحسيني فلا ندري لماذا خرج هذا الكتاب .. ان فيه مقدمة اخطاؤها واضحة وكثيرة .. وفيه ترجمة بعض فصول من مسرحيات او قصص كبيرة ـ لا ندري بماذا تفيد القاريء هذه الفصول المنتزعة ـ مع ان القاريء قرأها كاملة مترجمة للعربية ؟

لقد كنا نود ان تتجمع هذه المجهودات الضائعة لكي تصدر مجلة قوية تعطي صورة كاملة وواضحة عن ادبنا وتنير الطريق امامنا ـ نحن القراء ـ بالنقد الموضوعي والحديث عن مشاكلنا بطرق علمية سليمة فى اطارنا الاجتماعي والاطار العالمي ، وترسم الطريق وتحدده لبناء ثقافتنا . اننا نريد ان نحمي حياتنا الثقافية خوفا من ان تضيع بين هذه الامكانيات المادية الكبيرة والافكار الراسخة للثقافات الخارجية ، كما انه يجب ان يكون هناك اشراف دقيقة على الكتب المترجمة واختيار سليم يمثل فعلا ثقافتنا حتى لا تكون هناك فرصة للاخرين ان يحكموا احكامهم الخاطئة ، وهذا ما حدث فى المجلة الادبية السوفييتية حين تحدثت عن ادب مصر الحديث فجعلت روادا للادب غير رواده الحقيقيين بل ولم تشر ادنى اشارة للرواد الحقيقيين امثال نجيب محفوظ ، ويحيى حقى ، ومحمود البدوي ، وعادل كامل.(راجع صباح الخير العدد ٥٦ ص ١٩ لرجاء النقاش)

اننا نطالب حماة الثقافة فى مصر الذين يتمثلون فى مصلحة الفنون واساتذة الجامعات وبالذات كلا من محمد مندور ، عبد العظيم أنيس ، لويس عوض . عبد الرزاق حسن ، محمود أمين العالم . مصطفى سويف . يوسف مراد . محمد انيس ، زكي نجيب محمود . رجاء النقاش نجيب محفوظ . يحي حقي وزكريا ابراهيم . علي الراعي . رشدي صالح.

ـ اننا نطالب الجميع بالاشراف التام على اختيار الترجمات سواء من العربية للغات الاخرى او العكس ، كما اننا نضعهم امام محكمة التاريخ فى تقصيرهم عن اشياء كثيرة يحتاجها القاريء المصري .. اننا نريد ان نقرأ تاريخنا الحقيقي ، نريد ان نعرف كفاحنا لكي نعرف ما لنا وما علينا

اننا نريد تخطيطات جديدة فى كل المجالات الثقافية ... نريد قادة تنير لنا الطريق ... الطريق الى الثقافة ، نريد ابحاثا عن ادبنا وادبائنا .. نريد ان نعرف المنابع الحقيقية للثقافة .. نعرف اقتصادياتنا وامكانياتنا ... نريد كشف الاعداء المستترين لنا .

اليس من المؤسف انه لم يكتب عن نجيب محفوظ كتابة تكشف لنا اعماق هذا الكاتب الكبير ؟ الم يكن من الظلم ان ننسى عادل كامل ، البدوي ، يحي حقي ، واذا بحثنا لا نجد كتابا واحدا يضع تخطيطا اقتصاديا حسب امكانياتنا ، ولا كتاب تاريخحقيقيايوضحعلاقتنا بالاستعمار طوال فترته . ثم بعد ذلك نقرأ عن : ـ من الذي حرض المتمردين فى المجر « دراسات سوفييتية ». والولادة بلا الم « مجلة الشرق » . هذا خلاف ما نجده فى المختار من احاديث ان وصفت بشيء فلا توصف الا بالسخف والبهلوانية والارهاب والاوهام ... الخ . اننا فى حاجة الى مندور يتتبع خطوات الشعر الحديث ويساعد على تطوره حتى يسكت السنة على الجندي والخميسي وغيرهما من الذين يهاجمون الشعر الحديث لا لشيء سوى للدفاع عن ذواتهم المتخلفة . ونحن فى احتياج الى نشاط دار الفكر ودار النديم لكي تصدرا انتاج الشبان بل تكلفانهم بموضوعات تفيد حياتنا الثقافية وتساهم فى الوصول الى حياة ديموقراطية سليمة . فتخرج الكتب تحدثنا عن واقعنا وتاريخنا واقتصادياتنا من زاوية مصرية وتدرس امكانياتنا وتطورها .

ولا نجد اخيرا افضل تعبيرا عن ارائنا من قول غاندي ـ «لا اريد لبيتي ان يكون سورا من جميع الجهات ولا اريد ان تكون نوافذي مغلقة . اريد ان تهب على بيتي ثقافات كل الامم بكل ما امكن من حرية ، ولكن انكر على اي منها ان تقتلعني من اقدامي » .

القاهرة ـ نبيل السيد

السودان

لمحة ادبية سريعة

لست ارمى ، من هذه الكلمة ، الى تقديم بحث عن الادب السوداني المعاصر ، وانما ارمى ، الى اعطاء فكرة ، فى الاطار العام ، عن النهضة الادبية فى السودان .

ان كثيرا من شعوب بلداننا العربية ، وقد اوشكت ان اكتب كثيرا من المثقفين العرب ، يجهلون الكثير عن هذا القطر العربي الصميم العروبة . ومرد هذا الجهل يعود الى عوامل كثيرة يأتي منها الاستعمار فى المنزلة الاولى . ونحن هنا فى السودان ان ندرك كل الادراك الاهمية العظمى من تلاحم الشعوب العربية ، كجزء لا يتجزأ ، لبناء القومية العربية كأضخم ما يكون البناء وأمتنه . هذا التلاحم خليق بأن يقف سدا منيعا امام الاخطبوط الاستعماري الزاحف ، في جميع اشكاله والوانه ومفاهيمه .

ونحن ، السودانيين ، قد بدأنا نحس بهذه الحقيقة الكبرى . فقد ناضلنا حتى اصبحت بلادنا حرة مستقلة منذسنة ١٩٥٣ وخرجنا من القمقم الذي وضعنا فيه الاستعمار البريطاني طيلة خمسين سنة او تزيد .

انطلقنا نحو العالم الفسيح العريض واصبحنا نؤثر فيه ونتأثر به ونفعل فيه وننفعل به . لقد لعب الوعي السياسي الدور الاساسي في ما نتمتع به الان من استقلال . ولكن الادب ، بمفهومه الواسع الشامل العميق،كان يقف بمعزل عن الحركة السياسية . بيد ان ذلك الادب الذي كان يقف على الهامش ، غير عابيء ، اخذ يبرز الان بوجهه المشرق المتفائل . فبلادنا – طيلة حكم الاستعمار البريطاني – كانت محرومة من الثقافة . كانت منطقة « مقفولة » امام الثقافة الانسانية البناءة . ولكن الامر لم يعد كما كان عليه من قبل . لقد تغير كل شيء . فالمكتبات السودانية ، على حالتها ، تستقبل اليوم جميع الثقافات ، وقد ازداد عدد القراء والمهتمين بالادب تزايدا ملحوظا . وصحفنا المحلية ، وقد تجاوزت العشرين صحيفة ومجلة ، تهتم وتفرد له بعض صفحاتها . وبالرغم من ضعف وسائل النشر في بلادنا ، دعك من تكاليفها الباهظة ، فان هنالك نتاجات لادبائنا السودانيين تبشر بمستقبل ادبي طيب .

ولقد كانت لمعركة بور سعيد فعاليتها في تنشيط حركة الادب في السودان . فالشعر والبحوث والمقالات والمسرحيات كانت ، ولا تزال ، جميعها تعيش المعركة وتتفاعل مع المد الثوري الذي انتظم البلدان العربية، فكرا وعملا ، ابان الاعتداء الوحشي على بور سعيد ، على حرية شقيقنا الشعب المصري الذي تربطنا واياه عرى لا تنفصم .

وقد برزت ، في الآونة الاخيرة ، منظمات ادبية تسهم في مجال الادب بقسط وافر نذكر منها « رابطة الكتاب السودانيين » و « الندوة الادبية بام درمان » و « نادي القصة بالخرطوم بحري » عدا الاندية الثقافية والمجهودات الفردية . كما ان اتحاد الشباب السوداني يقوم بدور واسع، يشمل الاقاليم ، لخلق حركة ادبية نشطة ذات فعالية . وهنالك فرق التمثيل والموسيقى لا تزال في بداية الطريق اذ انها تفتقر الى الكثير من المقومات التي تجعل منها فرقا تمثيلية موسيقية بادق معاني التعبير . ويأتي المسرح في مقدمة المشكلات التي تقابل هذه الفرق وتعترض طريق تقدمها وازدهارها .

وبعد فان هذه الكلمة هي لمحة خاطفة ، توضيحية في المجال الاول ، عن النهضة الادبية الثقافية الجديدة التي انبعثت في قطرنا العربي لكي نستطيع ان نلحق بركب النهضة الادبية الثقافية الشاملة التي تضم البلاد العربية . وآمل ان تتاح لي الفرصة كيما اتمكن من عرض بعض جوانب هذه النهضة على قراء مجلة « الآداب » .

محجوب عبد الملك

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص . ب ٤١٢٣ – تلفون ٣٢٨٣٢

★

الادارة

شارع سوريا – رأس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣



حول ثورة الجزئر ...

الى الاستاذ رئيف خوري

عند ميلاد القرن التاسع عشر ، كانت على الارض ثورة لا يزيد امتدادها الزماني من حيث ساعة انطلاقها ، عن احد عشر عاما ، بينما كان امتدادها المكاني من حيث التحقق لا يتعدى ارض ميلادها .

هذه هي الثورة الفرنسية التي بدأت شعبية دموية ، وانتهت الى يد نابليون بعد أحد عشر عاما من ميلادها .

ابتدأت تنادي بحق الجميع في التحرر ، حق كل مواطن ، وكل امة ، وانتهت بالغزو والاعتداء على الجميع ، على من كانوا يرون فيها الخلاص من عبودية الاقطاع والاستعمار والاستثمار .

وبمقدار ما كانت دموية في محاربة الاقطاع والتحكم والسيطرة مدة السنين الخمس الاولى ، كانت دموية في توكيدها للاغتصاب فيما بعد .

وفي خلال الخمسة عشر عاما الاولى من القرن التاسع عشر كان يسيطر على أوربا جو من التوتر والفزع والاستعداد الدائم للقاء نابليون في ميادين القتال . وهذا ما كان يستلزم الاعداد القومي والتهيؤ .

وعندما هزم نابليون وعادت الملكية الى فرنسا .. أخذت الثورة تنمو وتتحقق في مجالات كثيرة ولا سيما بعد مؤتمر « فينا » الذي فرض على الشعوب وصايات وحدودا مناقضة للوعود التي اعطيت قبل الحرب ، ومعارضة لتفتح الوجود القومي .

« وهكذا .. أصبحت أوربا معبأة بالبخار الذي يعثر من حين الى آخر على منفذ له » ، كما قال نهرو .

وكان من نتيجة ذلك تحالف القوى الرجعية باسم « المحالفة المقدسة » التي يعتبر هدفها الاول المحافظة على الاوضاع القائمة بما يعنيه ذلك من بطش وتحكم وارهاب وقمع للحركات الثورية .

وطبيعي ان تستمر الثورات القومية على الاستعمار والتجزئة والاستثمار وعلى الرغم من ذلك فقد استمر الفشل ..

وفي هذا الوقت كانت الثورة الصناعية تقفز بالمجتمع ووسائله بسرعة فائقة .

وما كان عام ١٨٤٨ حتى خرج البيان الشيوعي ... رد فعل شديدا لهذه « الانتكاسات القومية » قائما على اساس التصور الطبقي للمشكلة التصور الذي ينطلق من خلال هذه الانتكاسات نقمة وحقدا على الفكرة القومية كوجود وكتصور كلي للثورة والنضال .

وهكذا سار النضال القومي على غموض أسسه وتفاصيله في جهة ، والصراع الطبقي مسلحا بالنظرية الماركسية في جهة اخرى منافية مغايرة .

وعندما كانت المانيا تنشد وحدتها ، وايطاليا تحاول لم أشتاتها ، كان رواد الماركسية يعملون على جمع العمال لابراز خطوط هذا الصراع وتعميقه .

« والدولية الاولى » التي ولدت عام ١٨٦٤ هي نتيجة هذه المساعي في سبيل طبقة ، والقضاء على طبقة .

وما كانت سنة ١٨٧٠ حتى انتصرت اكثر الدعوات القومية وتحققت وحدة ايطاليا والمانيا ، ولكن على أشلاء فرنسا وفي قصر « فرساي » في باريس .

ومضت المعركة . مضت في الداخل والخارج .

ذلك لان الثورات القومية لم تحقق الا الاستقلال وبعض الاصلاحات . أى لم تكن ثورات اجتماعية جذرية تنظم فعالية القوى المنتجة في المجتمع وتوزعها توزيعا عادلا سليما ، بالقضاء على الاستغلال والاستثمار والاستعباد .

وبهذا أصبحت الثورات القومية جافة لا حياة فيها ، ولا سيما وانها وقفت كقوة شعبية ، بينما كانت قوة الآلة تنمو باستمرار .

وامد هذا الوضع يرافقه الازدياد المطرد فى الانتاج ، والازدياد المطرد في الاستعباد و الاستثمار ، الى ان كانت الحرب العالمية الاولى فضحا لهذا النمو غير المتكافيء فى القوى الاجتماعية القومية .

وانتصر الشيوعيون في روسيا .. خرجوا من خلال الهزيمة .

وانتصر الحلفاء .

واجتمعت « عصبة الامم » كما اجتمع « مؤتمر فيينا » قبل مائة عام وابتدأت عملية الاقتسام والاقتراع .

وابتدأت الثورة هذه المرة ، ولكن في الشرق الذي كان ينتظر التحرر فمبادىء الرئيس الاميركي ويلسون حتى هذا الوقت كانت على كل شفة ولسان .

ومضت الفكرة القومية العربية تجمع قوتها لتبدأ بعد الهزيمة وبعد اتفاقية « سايكس بيكو » ووعد « بلفور » .

ولما كانت كل ثورة عملية انسانية تتطور بتطور فعاليات المجتمع ، وتنمو بنمو الطاقات الخالقة فيه ، ولما كانت كعملية خلق ايجابية مرتبطة بظروف وشروط ومكان وزمان وحضارة ، فلقد كنا نحن العرب ومنذ اللحظة الاولى امام المثلث البغيض ، امام الاستعمار والتجزئة والاستثمار.

ومن هذه العناصر المتلاحمة الثلاثة استمدت ثورتنا وعيا انسانيا وقوميا ثوريا تقوم عليه أسس عملنا النضالي .

وهكذا كان النداء للوحدة والتحرر والاشتراكية كحقائق مترابطة متكاملة من حيث المبدأ ، ومن حيث التحقق ، تجسيما حيا لهذا الوعي الثوري .

اننا ثرنا على الاستعمار والتجزئة والاستثمار كعناصر متلاحمة لا لان القضية بالنسبة لنا قضية استعمار خارجي ، وما جاء بعد ذلك فهو تابع كما يقول الاستاذ رئيف خوري ، ولا لان القضية بالنسبة لنا هي قضية اية طبقة تحكم ، بل لان القضية بالنسبة لنا هي الثورة القومية بكل ما تعنيه من ايمان بشعبنا وبالانسانية ، وانقلاب على النظم الفاسدة والقيم الجامدة ، وعمل دائب من اجل اطلاق طاقاته وتفجير امكانياته ، بكل ما يستلزم ذلك من حرية وانسجام في الداخل ، وتعاون وتفاهم في الخارج .

ونحن هنا ننطلق من نقطة بدء تختلف عن نقطة الانطلاق عند الشيوعيين وعند غيرهم من « القوميين » الذين ينادون بالتحرر والوحدة بأي ثمن وبأي شكل .

واختلافنا مع الاولين ينبع من نظرتنا للانسان والحياة والتاريخ ولكل المفاهيم المتعلقة بعمليات التطور والثورة ، على الرغم من التطورات الاخيرة التي ظهرت بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي والتي فضحت الاخطاء والتناقض الذي قامت عليه النظرية الماركسية . انه تطور طيب ولكنه ما زال فجا . انه يحبو ويتعثر .

ونحن مثلا ما كنا لنعتقد ان الصراع الطبقي ـ بمعناه الماركسي ـ الا مضادا للنضال القومي . فهو ليس منافيا له وحسب بل وينطلق من اضعف نقطة فيه . من هزيمته .

ولكن هذا ليس معناه ان نؤيد الاستغلال والاستثمار وان نتجاهل التفاوت الطبقي والتمايز الاجتماعي والاستعلاء العنصري.

ان الثورة القومية ، ثورة الشعب فى سبيل حريته وحياته ، تعني

التحرر ، والتحرر من كل انواع العبودية ، ونعني حق كل مواطن وكل امه بأكبر مقدار من الديمقراطية والحرية ، مع اكبر مقدار من الرخاء والرفاهية . فالثورة القومية بطبيعتها ضد الاستثمار والتمايز الاجتماعي والأستعلاء العنصري والعدوان ، كل انواع العدوان اذن .

وعلى هذا نقول بان ثورة الجزائر قومية لانها تنشد الاستقلال مرتبطا بالمعنى السلفي للقومية . بهذا المعنى البدائي والذى اخذ به اصحاب فكرة الوحدة والتحرر « بأي ثمن » وعلى أي شكل تأثرا بالثورات القومية الاوروبية في القرن التاسع عشر ، التي كان من نتيجة نموها الاستعباد والاستعمار .. كانت الحربان العالميتان ، ومأساة فلسطين ، وقصة الجزائر ، وكل قصص الشعوب المناضلة .

انه معنى ضاو هزيل لا يتكافأ مع ما تزخر به قوميتنا من تطلع وانسانية وعمق وشمول .

وهو اليوم محاولات فاشلة لابراز وجه مشوه للفكرة القومية ولقضية التحرر .

انها فكرة المتخلفين عن القافلة .

الفكرة التي استغلها « الماركسيون » في محاربتهم للقومية والتي ابتدأت منذ صدور البيان الشيوعي سنة ١٨٤٨ واستمرت الى يومنا هذا .

فالذي أراه اذن هو أن الثورة القومية تعني الانقلاب الجذري على الواقع الفاسد والتنظيم الواعي السليم لكل القوى المنتجة والامكانيات فيه لتتحول الى تاريخ وفعاليات وحضارة .

ان هذا هو « التصور » الذي يرافق كل ثورة قومية ويكون أغنى ينابيعها .. واصفاها .

واذا كان شيء من ذلك لم يتحقق على الوجه السليم فمرد ذلك ليس الى عجز هذا التصور ، بل الى عجز الفلسفة والفكر عن متابعته واستجلاء خطوطه ، وايضاح معالمه ، ليستحيل الى قوى خلاقة مبدعة ، عن طريق النضال والثورة والانقلاب .

« والكومونه » هي المثل الحي لهذا التصور وهذا العجز الفلسفي الذي جعل « انجلز » يقول :

« هل سبق لهم ان رأوا الثورة ، هؤلاء السادة ؟ ان الثورة ، هي ، من دون ادنى ريب ، الشيء الاشد سلطانا بين الاشياء ، فهي عمل يفرض به جزء من السكان على جزء آخر ارادته بطلقات البنادق ، والحراب والمدافع ، وهي وسائل ذات سلطان ان كان ثمة سلطان . ولا بد للحزب الذي انتصر من الحفاظ على سيطرته بالرهبة التي توحيها اسلحته للرجعيين » (كتاب الدولة والثورة . لينين صفحة ٩٤) .

ان الثورة القومية هي التصور الكلي والثوري لقضية الشعب بينما لا يعني الصراع الطبقي ـ في الماركسية ـ الا محاولة للانطلاق من خلال العجز الناتج عن حاجة هذا التصور الى فلسفة .. الى نظرية .

هذه هي النقطة الهامة التي أحببت ان اوجزها للاستاذ رئيف الخوري اما بخصوص الشيوعيين في الروسيا والصين ويوغوسلافيا ، فاني لم افعل اكثر من ابراز « اختلاف حقيقتهم في نظر الواقع التاريخي » وهذا ما يقوله الاستاذ الخوري . فأين الخطأ ؟

وقبل النهاية احب ان أشير الى نقطتين :

١ ـ الصراع الطبقي والنظرية الماركسية التي تجعله شيئا واحدا فتضع له القوانين وتدرس التاريخ على أساسه وهذا ما يبدو جليا انني ارفضه في مقالي وانني لا أخافه لانه محض شيوعي كما يقول الاستاذ ولا اتجاهله .

٢ ـ القومية الواحدة والدول المستقلة ، وهذا قد يكون ، وليس الوضع العربي الا مثلا لذلك .. ولكن هذا الوضع ليس طبيعيا الا بمقدار ما يتطور نحو الوحدة .

واستقلال الجزائر ليس الا دفعا لهذا التطور لان وجود حكومة ثورية في الجزائر يعني حرية المغرب العربي ووحدته . ونحن هنا متفقان .

اما بخصوص المواطنين غير العرب فلهم ما لنا وعليهم ما علينا .

« هذه قوميتنا محررة متحررة اشتراكية مؤمنة بشعبها موحدة له ، مؤمنة بشعوب العالم متعاونة معها ، مؤمنة بالسياسة الاستقلالية غير العدوانية ، كافرة بالاستعمار والعنصرية والاستغلال والتبعية » .

واننا لن نرضى عن ذلك بديلا ..

كويت ناجي علوش

*

حول قصة (قنديل)

من زحام المجتمع ومن قلب الشعب بالذات ينتشل (الكاتب) بطل قصته كانموذج للتجربة نرى من خلاله عالما عامرا بالتقلقل والاضطراب واليأس والامل والثورة المكبوتة على كل سيء في المجتمع .

ونلمح في قنديل هذا انسانا يمقت المتاجرة والتلاعب بحقيقة الانسان ويكره الوساطات وعدم تكافؤ الفرص امام الاشخاص . ونرى فيه رغم فقره وبؤسه انسانا ذا قلب طيب يعتمد على نفسه ويتوق لان يكون له بيت ينعم فيه بالاستقرار والهدوء ، ويحمل في أعماقه حبا كبيرا لفتاة فصلت بينه وبينها انظمة المجتمع الزائفة التي لا تدع مجالا في الحياة الا للدرهم ، ويكن في نفسه حقدا وكرها لهذا السلم الطبقي الذي اشادته انانية الانسان وتعجرفه .. (انه يحلم بارض مستوية ، ليس فيها من درج على الاطلاق) .

لقد اصاب الكاتب شيئا من التوفيق لانحسار ظله وعدم تدخله امام بطله (قنديل) الذي راح يتكلم عما يجيش بخاطره ، او بالاحرى عما يجول بخاطر السواد الاعظم من الشعب الفقير المسكين الذي لا يد له بكل ما يصيبه من تنكيل وانما الذنب كل الذنب على قلة جشعة تمتص دماءه .

وشيء آخر للمؤلف هو هذا الاسلوب الذي يتناسب مع انسان قلق قصير النفس انهكه السير في خضم الحياة . فنشعر أثناء قراءة القصة وكأننا نتلبس شخصية (قنديل) وهذا ما يجعله واقعيا حتى بكل لفظة وكل كلمة ، فما اشبه (قنديل) هذا بقنديل يعكس نوره على ظلمة المجتمع فيكشف لنا عما يعانيه الشعب من حرمان وخذلان .

دمشق سليمان ملوك